سلسلة أساليب التفسير رقم (٤)

المَدْخَلُ المَوْسُوعِيُّ
لِدِرَاسَةِ التَّفْسِيرِ المَوْضُوعِيِّ
(سِلْسِلَةُ أَسَالِيبِ التَّفْسِيرِ)

(بحث محكم)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُّ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

سلسلة أساليب التفسير رقم (٤)

المَدْخَلُ المَوْسُوعِيُّ
لِدِرَاسَةِ التَّفْسِيرِ المَوْضُوعِيِّ
(سِلْسِلَةُ أَسَالِيبِ التَّفْسِيرِ)

(بحث محكم)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

مجلة البحوث الإسلامية

Journal of Islamic Research

إصدار علمي متخصص جامعي محكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin Concerned With Scholarly Research

الرقم: ٩/٤٩٩٨
التاريخ: ٥/٤/١٤٤٤هـ
المرفقات: --.

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفة بن طنطاوي

عميدُ كُلِّيَةِ أُصُولِ الدِّينِ والدراساتِ الإسلاميةِ بجامعةِ خاتَمِ المُرْسَلِينَ العالميَّةِ، وأُستاذُ التفسيرِ وعُلُومِ القُرآنِ للدراساتِ العُليا، والرئيسُ العامُ لمركزِ تأصيلِ عُلُومِ التنزيلِ للبُحُوثِ العلميةِ والدراساتِ القُرآنيةِ.

وعنوانه: (المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي).

قد ورد إلى هيئة الإصدار، وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر في ٥/٤/١٤٤٤هـ، هذا وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس تحريره

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس

رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٤٣٦٠/٢٠١٥) - الترقيم الدولي الموحد لها (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)

رابط موقع المجلة على الانترنت: journalofislamicresearch.com

رقم المجلة ضمن قائمة الدوريات المفهرسة في قائمة Islamic Info (٤١٦)

رابط معامل التأثير العربي للمجلة: https://www.arabimpactfactor.com/pages/tafaseljournal.php?id=٨٨٧

جمهورية مصر العربية القاهرة مساكن مدينة نصر رمز بريدي ١١٣٧١. ص. به ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ –Mob: ٠٠٢/ ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail :dr.edris@hotmail.com

ⓒ دار المأثور للنشر و التوزيع ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

طنطاوي ، عرفة عبدالمنعم عبداللطيف
المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي. / عرفة عبدالمنعم عبداللطيف طنطاوي .- الرياض ، ١٤٤١هـ
٢٥٠ ص ؛ ..سم

ردمك: ٨-٦-٩١٢٩٨-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - التفسير الموضوعي أ.العنوان
ديوي ٢٢٧,٧ ١٤٤١/٣٦٠٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٦٠٠
ردمك: ٨-٦-٩١٢٩٨-٦٠٣-٩٧٨

(ملاحظة): لا يتم طباعة الجزء الأسفل مع بطاقة الفهرسة

تأمل مكتبة الملك فهد الوطنية تطبيق ما ورد في نظام الإيداع بشكل معياري موحد ، و من هنا يتطلب تصوير الجزء الاعلى بالأبعاد المقننة نفسها خلف صفحة العنوان الداخلية للكتاب ، كما يجب طباعة الرقم الدولي المعياري ردمك مرة أخرى على الجزء السفلي الأيسر من الغلاف الخلفي الخارجي .

و ضرورة إيداع نسختين من العمل في مكتبة الملك فهد الوطنية فور الانتهاء من طباعته، بالإضافة إلى إيداع نسخة الكترونية من العمل مخزنة على قرص مدمج (CD) وشكرا ،،،

دِيْبَاجَةُ البَحْث

الحمدُ لله الذي أنزلَ كتابَه المجيدَ على أحسنِ أسلوب، وبهرَ بحسنِ أساليبِه وبلاغةِ تركيبِه القلوب، نزَّله آياتٍ بيّناتٍ، وفصَّله سورًا وآياتٍ، ورتَّبه بحكمتِه البالغةِ أحسنَ ترتيب، نظَمَه أعظمَ نظامٍ بأفصحِ لفظٍ وأبلغِ تركيبٍ، وصلَّى الله على من أُنزل إليه لينذرَ به وذكرى، ونزله على قلبِهِ الشَّريفِ فنفى عنه الحرجَ وشرحَ له صدرًا، وعلى آله وصحبِه مهاجرةً ونصرًا.. (1).

أما بعد

مُلَخَّصُ البَحْثِ

" المَدْخَلُ المَوْسُوعِيُّ لِدِرَاسَةِ التَّفْسِيرِ المَوْضُوعِيّ" هو بحثٌ علميٌّ موسوعيٌّ تأصيليٌّ مفيدٌ، تناول فيه الباحثُ مدارسةَ هذا الجانب العظيم من جوانب التفسير، وجمَع شتاته وقدمه بأسلوب سهل المأخذ قريب التناول، وربطه بضرب الأمثال ليقرِّب معانيه، ويجليَّ مقاصدَه، ويوضح مرَاميه، ليدنيه في أبهى حله من طالبيه وراغبيه، سائلًا مولاه أن يجعله موافقًا لشرعه خالصًا لوجه لا سمعة ولا رياء فيه، راجيًا أن يرضى عنه ربه بذلك ويرضيه.

1- يُنظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي:(ص:65). أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: 1 .

Research Summary
"The Encyclopedic Introduction to the Study of Objective Interpretation" is a useful encyclopedic scientific research, in which the researcher studied the study of this great aspect of interpretation, collected its diaspora and presented it in an easy manner, with proverbs, its references, and its placement in a clear, literal, and literal way. One of his seekers and desires, asking his Lord to make him conform to his law purely for a face that has no reputation or hypocrisy in it, hoping that his Lord will be pleased with him and satisfy him.

خطة البحث

وتشتمل على ثلاثة فصول ويندرج تحت كل فصل عدة مباحث ويندرج تحت كل مبحث عدد من المطالب على النحو التالي:

أولًا: أهمية موضوع البحث

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعًا: أهداف البحث

خامسًا: منهج البحث

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعًا: مجموع الفهارس:

وخطة البحث تشتمل ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول

التعريف بالتفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التفسير في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم التفسير في الاصطلاح

المبحث الثاني: تعريف التأويل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التأويل في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم التأويل في الاصطلاح

المبحث الثالث: بيان أنواع التأويل

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان معاني التأويل في القرآن إجمالًا

المطلب الثاني: بيان معنى التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية

المطلب الثالث: بيان معنى التأويل عند المفسرين

المطلب الرابع: بيان معنى التأويل عند المتأخرين

المطلب الخامس: بيان معنى التأويل عند الأصوليين وأنه لابد أن يقترن بالدليل:

المطلب السادس: بيان شروط التأويل الصحيح عند المتأخرين ومن نحى نحوهم وبيان حكمه

المبحث الرابع: بيان الفَرْق بين التفسير والتأويل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان اختلاف العلماء في بيان الفَرْق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما:

المطلب الثاني: بيان القول الراجح من أقوال العلماء في بيان معنى التفسير والتأويل.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: بيان الخلاصة التي توصلت لها الدراسة في مبحث الفرق بين التفسير والتأويل.

الفصل الثاني
أنواع التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع التفسير بحسب ما ورد في" الموسوعة القرآنية المتخصصة "،

وفيه ثلاثة مطالب واعتبارات:

المطلب والاعتبار الأول: من حيث المصادر التي يُستَمَدُ منها التفسيرُ

المطلب والاعتبار الثاني: من حيث التوسع والإيجاز في التفسير

المطلب والاعتبار الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير

المبحث الثاني: أنواع التفسير بحسب اعتبارات أُخر

وفيه ثلاثة مطالب وتقسيمات:

وبحسب تلك الاعتبارات ينقسم التفسير إلى أقسام ثلاثة

المطلب والتقسيم الأول: تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني

المطلب والتقسيم الثاني: تقسيم باعتبار طريقة المفسر ومنهجه في التفسير

المطلب والتقسيم الثالث: باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته وطريقة تناوله

الفصل الثالث
القسم الرابع: منهج التفسير الموضوعي:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: بيان منهج التفسير الموضوعي وتحليل ألفاظه وبيان مفهومها في اللغة والاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم لفظة" منهج" في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: بيان مفهوم لفظة " الموضوعي" في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف التفسير الموضوعي

المبحث الثاني: أهمية دراسة التفسير الموضوعي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان أهميته وأوجه الحاجة إليه

المطلب الثاني: بيان أهم فوائده

المطلب الثالث: أهم مميزات التفسير الموضوعي

المطلب الرابع: بيان أسباب ظهوره ونشأته

المبحث الثالث: بيان أنواعه وأقسامه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام التفسير الموضوعي من حيث الرابطة ومناهج المفسرين

المطلب الثاني: بيان أقسام التفسير الموضوعي بمعناه الحديث

المطلب الثالث: بيان أنواع التفسير الموضوعي حصريًّا

المبحث الرابع: بيان الفرق بين التفسير الموضوعي ومناهج التفسير الأخرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي وأبين الفوارق بينهما.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير الإجمالي

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير المقارن

المبحث الخامس: مناهج البحث في التفسير الموضوعي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج البحث في التفسير الموضوعي من خلال القرآن الكريم بأكمله وخطوات البحث فيه:

المطلب الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة بعينها وخطوات البحث فيها

المبحث السادس: سورة الفاتحة مثالًا للبحث في التفسير الموضوعي من خلال سورة من سور القرآن الكريم: " سورة الفاتحة أنموذجًا "

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها، مع ذكر بعض فضائل القرآن وأنواعه

المطلب الرابع: بيان محور مواضيع السورة وبيان أهم مقاصدها وأغراضها

المطلب الخامس: بيان سبب وزمن نزولها

المطلب السادس: بيان المناسبات في السورة الكريمة

المطلب السابع: بيان المعنى الإجمالي للسورة الكريمة

منهجية البحث

أولًا: أهمية موضوع البحث

يُعد موضوع البحث من أبرز مواضيع البحث في الزمن الحاضر لدى المشتغلين بالتفسير وعلومه، وذلك لكون الحاجة ماسة ومتجددة لدراسة وتناول آي القرآن الحكيم وسورة وفق دراسة موضوعية لأسباب عدة لعل من أهمها وأبينها ما يلي:

1- أنها تبرز الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم وآياته

2- كما أنها تبرز هدايات السور والآيات ذات الوحدة الموضوعية المشتركة

3- تعالج الكثير من قضايا الأمة واهتماماتها المعاصرة في ضوء تناول الوحدة الموضوعية في التفسير

4- تظهر عظمة القرآن ووجه إعجازه من جهة صلاحه لكل زمان ومكان، وذلك في ضوء الدراسات الموضوعية للقرآن وربطها بواقع وحياة الناس ومستجداتها

5- كما أنها تسهم في إزالة ما ظاهره التعارض الذي قد يُظن وقوعه بين الآيات المتشابهة في الوحدة الموضوعية، وتوجيه إزالة هذا التعارض في ضوء الدراسة الموضوعية التأصيلية.

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

إن الناظر والمتأمل في المصنفات العصرية في التفسير الموضوعي يجد متوافرة كثرة - كمًا وكيفًا - وقد تتميز دراسة عن أخرى من جهة الشمولية والموضوعية وفي كل خير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعلنا هنا نعرض عرضًا سريعًا لجملة من أبرز تلك الدراسات التأصيلية على النحو التالي:

الدراسة الأولى:

" التفسير الموضوعي للقرآن الكريم "تأليف: الدكتور/محمد السيد الكومي (ت: 1411هـ)، والدكتور/ محمد أحمد يوسف القاسم (ت: ؟؟)

والتفسير الموضوعي: نوع من أنواع التفسير الذي بدأت أصوله تترسخ، ومناهجه تتضح منذ نصف قرن من الزمن، وأُقِر تدريسه في الجامعات، والمؤلَف الذي بين أيدينا لرجلين أكاديميين أصحاب أقدام راسخة في هذا العلم وقواعد التفسير الموضوعي والتنظير له.

وقد طبع هذا الكتاب طبعة خاصة عام: 14022هـ - 1982م، في جزء واحد، في 172 صفحة.

والكتاب له مكانته وقدره عند الباحثين والمشتغلين بالتفسير لما له من مكانة زمنية أولية، ولما له من مكانة من جهة الصناعة والفن وسبك المادة العلمية وقوة أسلوبه وحسن ترتيبه وجمال عرضه ورسوخ مادته.

والكتاب قد خرج أولًا على هيئة مذكرات مقررة على عدة مراحل، وقد تقرر تدريسه لطلاب الدراسات العليا بكلية أصول بجامعة الأزهر- بالقاهرة

وقد بين فيه المؤلفان معنى التفسير الموضوعي والمراد به، كما بينا أنواعه وساقا أمثلة تطبيقية عليها، وهذا الكتاب له نسخته وحيدة منشورة مصورة ومحفوظة بصيغة مغلقة " PDF "، وليت ورثة المؤلفين يعيدوا طباعته لينضم لمكتبة التفسير، وفي ذلك نوع وفاء لحقيهما وسبقهما في التصنيف في هذا اللون من التفسير.

شاهد عيان على قيمة الكتاب العلمية:

وقد تحدث عن هذا الكتاب تلميذ المؤلف- الكوي - الدكتور عبد الحي الفرماوي (ت: 1438هـ) - رحمه الله - حيث يقول:

"أما عن منهج محدد واضح المعالم مفصل النقاط للدراسة في هذا المنهج من التفسير، فلم يتضح ذلك إلا في القريب على يد أستاذنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي - رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر وبعض زملائه أساتذة القسم وتلاميذهم بقسم الدراسات العليا(2)

وقد طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى عام1402هـ - بالقاهرة.

الدراسة الثانية:

"البداية في التفسير الموضوعي" (دراسة منهجية موضوعية)

تأليف: الدكتور/عبد الحي حسين الفرماوي (ت: 1438هـ)

الناشر: مطبعة الحضارة العربية- القاهرة، الطبعة الثانية، عام: 1977م.

ولم نقف على معلومات وافية عن الكتاب، غير إن المؤلف عمل أستاذًا للتفسير وعلومه بكلية أصول الدين- بجامعة الأزهر، ثم رئيسًا للقسم نفسه، وله العديد من المؤلفات في علوم القرآن.

وقد وثّق مقدمته بشهر المحرم عام 1397هـ وطبع الطبعة الثانية كما هو مثبت عليه في العام نفسه الموافق لعام 1977م وليس كما ذكر الدكتور الخالدي أنه طبع في مصر عام 1984م (3) حتى لو طبع طبعة متأخرة في هذا العام فالأصل هو الإشارة إلى تاريخ أول طبعة أو تاريخ المقدمة حفاظًا على حقه في الأسبقية، ونلاحظ أنه سماه "البداية" وكأنه يؤرخ لميلاد هذا العلم بعنوان كتابه، ونسي أن الميلاد قد سبقه مخاض متمثل فيما كتبه أستاذه الدكتور/ أحمد الكومي، وكما ذكر هو ذلك، وهو من منشورات مكتبة جمهورية مصر بالقاهرة .

الدراسة الثالثة:

"المدخل إلى التفسير الموضوعي"، تأليف: الدكتور/عبد الستار فتح الله سعيد(م)

ويُعد هذا الكتاب من المصنفات المتميزة في هذا اللون من ألون التفسير وأنواعه، ومؤلفه قد تلمذ لشيخه وأستاذه" الكومي" فتلقى عنه فأحسن الأخذ

2- البداية في التفسير الموضوعي – الدكتور عبد الحي الفرماوي– ص 61 .

(3) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق- ص 31 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

والتلقي وأثمر هذا المؤلف المبارك قليل المباني عظيم التأصيل والمعاني، وقد درَّس الدكتور/ عبد الستار فتح سعيد في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر- بالقاهرة ، وبغيرها من الجامعات زمنًا طويًا.

والكتاب منشورة ومصور ومحفوظ بصيغة مغلقة " PDF "، وهو يحتاج إعادة طباعة لقيمته العلمية وسبقه وتقدمه كذلك من الناحية الزمانية

وقد وثّق مقدمته بربيع الأول عام 1406هـ الموافق 1985م ، وقد استفاد من الكتابين السابقين كما أشار بذلك في مقدمة كتابه (4)، ونلاحظ أنه قد سماه "المدخل" وكأنه الطريق النافذ والموصل إلى هذا العلم، وهو من منشورات دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة .

الدراسة الرابعة:

"دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، تأليف الأستاذ الدكتور/ زاهر بن عوَّاض الألمعي.ألف في عام1402هـ.

هذا الكتاب له سبق من الناحية الزمانية حيث يُعد في طليعة المصنفات التي كتبت في هذا اللون والنوع من التفسير وقررت للتدريس في جامعات المملكة العربية السعودية بعد كتاب الدكتور" الكومي"، وقد تولى المؤلف تدريس الكتاب بنفسه لطلاب الدراسات العليا، وقد برز فيه جوانب كثيرة من أبرزها: التعريف بهذا اللون ممن ألوان التفسير ونشأته وتطوره، والفرق بينه وبين بقية ألوان التفسير الأخرى، وتناول طريقة تناوله وكيفية مدارسته.

وقد طبع في الرياض - والطبعة الأولى عام 1405هـ - عن جامعة الملك سعود

الدراسة الخامسة:

"مباحث في التفسير الموضوعي"، تأليف: الدكتور/ مصطفى مُسْلِم محمد: (ت: 1442هـ) الناشر: دار القلم الطبعة: الرابعة 1426هـ - 2005م عدد الأجزاء: 1.

وهذا الكتاب يُعد من الكتب الحديثة المصنفة في هذا اللون، وقد لاقى قبولًا عند طلاب العلم المتخصصين لسهولة عبارته وغزارة مادته، وقد طبع عدة

---

(4) يُنظر: مقدمة كتاب المدخل للتفسير الموضوعي– ص 8 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

طبعات متوالية تترجم هذا القبول، ولمصنفه قلم راسخ وسبق في التعليم والتدوين والتأليف - رحمه الله -.

الدراسة السادسة :

"التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق"(دراسة نظرية تطبيقية)مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي، تأليف الدكتور/ صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي(م)، الناشر: دار النفائس- عمان ، الأردن، الطبعة الرابعة، سنة الإصدار: 2015 م - 1436هـ، عدد الأجزاء: 1، عدد الصفحات: 360.

وهذا الكتاب يُعدُ من المصنفات التي اعتنت بدراسة هذا اللون من ألوان التفسير.

ولقد تناول فيه مؤلفه جانبين اثنين من جوانب تناول التفسير الموضوعي:

أما الجانب الأول: فهو الجانب النظري، والذي تناول فيه بيان المنهج العلمي الموضوعي للبحث في التفسير والتأويل وبين الفرق بينهما.

أما الجانب الثاني: فالجانب التطبيقي العملي، وقد تناول فيه تقديم نماذج تطبيقية عملية للتفسير الموضوعي

وبهذا يكون المؤلف قدم جمع بين الجانب النظري والجانب التطبيقي العملي، وبذلك يخرج الكتاب وقد تطابق اسمه مع مسماه بالفعل.

الدراسة السابع:

دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - للدكتور عبد المنعم القصاص: طبع في مصر عام 1411هـ - 1990م، تحدث مؤلفه في عشرين صفحة حول مقدمة عامة في التفسير ثم ذكر مبحثًا من عشر صفحات حول التفسير الموضوعي خاصة ثم ذكر أربعة مباحث تطبيقية لقضايا قرآنية([5])

وهناك دراسات متعددة ولقد اكتفى الباحث بالتعريف بأشهرها وأبرزها خشية الإطالة، وقد استطرد في بيان جملة منها في ثنايا البحث. والحمد لله رب العالمين.

5- يُنظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي- د. عبد السلام حمدان اللوح- الجامعة الإسلامية - غزة- بحث مختصر- غير منشور. بتصرف

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

الداعي لتصنيف هذا البحث:

لتأليف هذا البحث وجمع مادته العلمية أسباب ودواعي لعل من أبرزها

أنه قد أُسنِدَ إليه تدريس مادة: "التفسير الموضوعي" لطلاب مرحلة الدراسات العليا لمرحلتي: "الماجستير والدكتوراه"، بالجامعة الإسلامية، وبالمعهد العالي للأئمة والخطباء بـ "بمنيسوتا"

فوضع هذه المادة وهذا البحث: " المَدْخَلُ المَوْسُوعِي لِدِرَاسَةِ التَّفْسِيرِ المَوْضُوعِي ".

فكان على الباحث أن يقدم الداعي لتصنيف كتابه هذا، كما أن عليه أن يقدم خطة بحثه ليكون الدارس على بينة من أمره، ولتكون خطة البحث بين يديه كالدليل الْبَيِّنِ والسبيل الواضح للمسافر في طريقه.

رابعًا: أهداف البحث

لقد أفاد الباحث في كتابه هذا من مؤلفات من سبقه من الباحثين وزاد عليها فوائد كثيرة جمة وقد ظهر ذلك من خلال أهداف البحث والتي من أبرزها ما يلي:

1- الإسهام في مدارسة هذا العلم الجليل، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وهذا العلم متعلق بكلام الله تعالى الذي لا يعلوه ولا يماثل كلام

2- الإفادة مما كتبه المتقدمون والانتهاء إلى ما انتهى إليه المتأخرون

3- تقديم مادة علمية سهلة المأخذ قريبة التناول تناسب أسلوب العصر في تقديم مادة علمية سهلة مصحوبًة بعبارة جزلة وبألفاظ قريبة التناول بعيدة عن التقعر والتكلف وغريب الألفاظ ووحشيها، ليسهل تناول الدارسين لها.

4- بيان طريقة تناول منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة بعينها وخطوات البحث فيها واتخاذ سورة الفاتحة مثالًا عمليًا تطبيقيًا للبحث في التفسير الموضوعي من خلال سورة واحدة من سور القرآن الكريم

5- التدليل على أن التفسير الموضوعي لا غنى عنه عن التفسير التحليلي الذي هو الأصل في تناول تفسير سور القرآن وآياته

6- إبراز أهم الأساليب الإيمانية والتربوية الأخلاقية وربطها بأسلوب يتناسب مع مادة الكتاب العلمية، تتناسب مع الفئة المستهدفة من بحثه

7- الإسهام في التعريف بأشهر المصنفات في علم الوجوه والنظائر وبمؤلِّفيها، وتحقَّق نسبتها لأصحابها، والمُقارنة بين بعضها البعض

8- بيان أثر التفسير الموضوعي في علم التفسير عمومًا، وبيان أثره في إعجاز القرآن.

9- عرض تعاريف الباحثين للتفسير الموضوعي ومناقشها وبيان ما تميزت به تلك التعاريف، والتوضيح لما أُخِذَ عليها من مآخذ، ووضع تعريفًا شاملًا في ضوء التعاريف السابقة التي وضعها الباحثون، برجاء الوصول إلى تعريف جامع مانع.

10- إبطال المزاعم القائل بأن علم: "التفسير الموضوعي": علم حادث، ورد تلك المزاعم بدوامغ الحجج وقواطع البراهين، وإثبات أن هذا العلم قد سطع نجمه مع شروق شمس الرسالة الأولى، ثم التأكيد على أن حداثته في مسماه، لا في مضمونه وفحواه.

11- العناية بالجانب العقدي والانتصار لمعتقد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة منتصرًا له، مع الرد على من خالف منهجها وعقيدتها عندما يقتضي المقام ذلك.

12- العناية بتخريج الأحاديث وعزوها لمصادرها الأصلية مع الحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين وذلك لتلقي الأمة لهما بالقبول لكونهما أصح الكتب المصنفة، متبعًا في ذلك الأصول العلمية في التخريج والحكم على الأحاديث، وهذا الهدف قلت العناية به، وإن كان هو من صلب عمل الباحث، ولكنه وضعه في الأهداف لإبراز أهميته وبيان ضرورته، ولكون البحث مقرر على مرحلة الدراسات العليا .

خامسًا: منهج البحث

المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يقوم على جمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية، ثم يقوم عرضها عرضًا تحليليًا استقرائيًا، ثم يعقبها في خاتمة البحث باستخراج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلالها.

الفصل الأول التعريف بالتفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التفسير في اللغة

التفسير لغة: الشرح والبيان. وفسّر الشيء: وضحه وأبانه، وآيات القرآن الكريم: شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام. (6)

قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ (الفرقان: 33) أي بيانًا وتفصيلًا. (7) وهو مأخوذ من الفسر وهو البيان والكشف.

قال ابن منظور(ت: 711هـ) - رحمه الله - في اللسان:

الفَسرُ: البيان، فسر الشيء يفسِره-بالكسر-ويفسُره-بالضم-وفسره: أبانه، والتفسير مثله.... والفسُر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. (8)"

وقال أبو حيان(ت: 745هـ) - رحمه الله- في البحر المحيط:

6- المعجم الوسيط، (2/ 688).

7- وهذا المعنى بهذا اللفظ، وقريب منه أيضًا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف: منهم: مجاهد، والضحاك، وابن جريج. وللاستزادة: يُنظر: تفسير الطبري: (268/19).

8- لسان العرب لابن منظور الإفريقي: مادة: "فسر". لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ عدد الأجزاء: 15.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويطلق التفسير أيضًا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرتُ الفرسَ: عريتُه لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده من الجري. ([9]).

وعلى ذلك: فالمادة تدور حول معنيين: ([10])

المعنى الأول: الكشف المادي المحسوس

والمعنى الثاني: الكشف المعنوي المكشوف

المطلب الثاني: مفهوم التفسير في الاصطلاح

وأما التفسير في الاصطلاح:

فعرفه الزركشي (ت: 794هـ)- رحمه الله - بأنه:

علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من عِلْم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفِقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسِخ والمنسوخ. ([11])

وعرفه الزرقاني (ت: 1367هـ)- رحمه الله - بأنه:

9- البحر المحيط: (13/1). البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.

10- التفسير: معالم حياته. منهجه اليوم أمين الخولي: (ص:5)، التفسير والمفسرون للذهبي: (15/1)، الإتقان للسيوطي: (294/2)، تفسير البغوي: (18/1)، واللسان: مادة: "فسر".

11- يُنظر: المرجع السابق: (11/1)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (462/4)،الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م عدد الأجزاء: 4 . ، البرهان في علوم القرآن؛ لبدر الدين الزركشي: (1 /13).البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: 4.

شبكة الألوكة www.alukah.net

علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. (12)

ولأول وهلة في هذين التعريفين الآخرين يظن أن علم القراءات وعلم الرسم لا يدخلان في علم التفسير. والحق أنهما داخلان في علم التفسير، وذلك لأن المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات. (13)

وعرفه بعضهم بأنه:

علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكِّيِّها ومَدَنِيِّهَا، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها. (14)

وهذه التعريفات تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية؛ فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد. (15)

وسمي علمُ التفسير، لما فيه من الكشف والتبيين. واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم، مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين، لجلالة قدره واحتياجه إلى زيادة الاستعداد وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه. (16)

12- مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص: 324)؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2/ 148). مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م عدد الأجزاء: 1 .

13- محمود سالم عبيدات، دراسات في علوم القرآن:(ص: 238). بتصرف

14- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، (4/ 462)؛ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون: (1/ 11). التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة عدد الأجزاء: 3 (الجزء 3 هو نُقول وُجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د محمد البلتاجي).

15- التفسير والمفسرون، المرجع السابق نفسه، (1/ 11).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعرّفه محمد الطاهر بن عاشور(ت: 1393هـ)- رحمه الله- في مقدمة تفسيره بقوله:

"هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه" ([17]).

ويرى بعض العلماء:

"أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها". ([18])

المبحث الثاني: تعريف التأويل

وفيه: مطلبان:

ثمانية مطالب

المطلب الأول: مفهوم التأويل في اللغة

تدور كلمة (التأويل)حول مادة (أول).

ومادة (أول) تدور حول معان: منها: الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير.

ويعني هذا: أن تأويل الكلام هو الرجوع به إلى مقصود المتكلم به، وإلى حقيقة ما أخبر به.

وورد في لسان العرب لابن منظور(ت: 711هـ)- رحمه الله، تحت مادة (أول) ما نصه:

«الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومالا رجع. وآل إليه الشيء رجعه. وآلت عن الشيء ارتددت ... وقوله عز وجل: (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس: 39] أي لم يكن معهم

16- الزرقاني- مناهل العرفان: (10/2). مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: 2 .

17- يُنظر: مقدمة "تفسير التحرير والتنوير" لـ محمد الطاهر بن عاشور. تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ عدد الأجزاء : 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

18- محمد حسن الذهبي، التفسير والمفسرون:(10/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

علم تأويله. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل التغيير والمعنى واحدًا ([19]).

والتأويل: من أَوَّل يُؤَوِّلُ تأويلاً، وثُلاثيُّه آل يَؤُول؛ أي: رجع وعاد، يقال: آل الشيء جمَعه وأصلحه، فكأنَّ التأويل جمعُ معانٍ مشكلة بلفظ واضحٍ لا إشكالَ فيه.

ويقال: تأولتُ في فلان الأجْر: تحرَّيْته وطلبته.

وعن الليث: التأوُّل والتأويل تفسيرُ الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحُّ إلا ببيان غيرِ لفظه. ([20]).

وأوَّل الكلام تأوَّله دبَّره وقدَّره، وأوَّله وتأوَّله: فسَّره. ([21])

وعند أبي حيان (ت: 745هـ)- رحمه الله- في القاموس المحيط:

«آل إليه أولا ومالا، رجع، وعنه ارتد. ثم قال: وأول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة عن الرؤيا» ([22]).

وقال الزمخشري(ت: 538هـ):

«آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة وائتالها، وهو مؤتال لقومه قتال عليهم أي سائس محتكم ...» ([23]).

المطلب الثاني: مفهوم التأويل في الاصطلاح

أمَّا التأويل اصطلاحًا عند السلف، فله معنيان

التأويل بمعنى التفسير أما المعنى الأول:

تفسير الكلام وبيان معناه؛ سواء وافَق ظاهره أو خَالَفَه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفَين.

19- لسان العرب: (13/ 33).

20- العين((369/8)، تهذيب اللغة (329/15)، لسان العرب(33/11).

21- لسان العرب(33/11).

22- القاموس المحيط: (3/ 331).

23- الزمخشري، أساس البلاغة: (1/ 15) أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 2 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

التأويل: يكون بمعنى التفسيرُ: كما تجد في تفسيرِ شيخ المفسرين الإمام الطبريّ حيث يُكثر من قوله:

"القولُ في تأويل هذه الآية" أي: تفسيرِها، وبنحو الذي قلنا: قال أهل التأويل، أي: أهل التفسير

والنصوص الواردة عن العلماء في هذا الصدد كثيرة لا تكاد تحصر، ومنها قول الشافعي في كتابه الأم في أكثر من موضع: (وذلك -والله أعلم -بيّن في التنزيل مستغنىً به عن التأويل". ([24])

وأما المعنى الثاني:

فإما هو نفْس المراد بالكلام، فإنْ كان الكلام طلبًا كان تأويله نفسَ الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله نفسَ الشيء المخبَر به، وبيْن هذا المعنى والذي قبله فرْقٌ ظاهر.

المبحث الثالث: بيان أنواع التأويل

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان معاني التأويل في القرآن إجمالًا

فالتأويل لفظ مجمل يحتاج إلى تفسير وبيان؛ وله أربعة معان في كتاب الله تعالى على التفصيل التالي:

المعنى الأول:

التفسير والمرجع وما يؤول إليه الكلام؛ يقول الجوهري (ت 393هـ): التأويل: تفسير ما يَؤُولُ إليه الشيء... أي: تفسيره ومرجعه." ([25])

المعنى الثاني:

عاقبة الشيء؛ يقال: "آل الأمر إلى كذا" إذا صار إليه ورجع ([26])؛ ومنه قوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [النساء: 59]،

24- الأم للشافعي 319/7، ويُنظر أيضًا: 28/2، و242/4.

25- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (4 /1627).

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الطبري (ت 310هـ)- رحمه الله-:

يعني: وأحمد مَوْئلا ومغبّة، وأجمل عاقبة". ([27])

وبنحو قول الطبري يقول الشوكاني (ت 1255هـ)- رحمه الله-:

أحسن تأويلًا: أي أحسن عاقبة من آل إذا رجع وعليه يكون المعنى: أحسن مرجعًا ومآلًا. (28)

المعنى الثالث:

وهي: الحقيقةُ التي يصيرُ إليها الشيء ويرجع، حقيقة الشيء المخبر عنه؛

ومنه قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَه يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْل} [الأعراف: 53]، قال ابن زيد: "يوم يأتي حقيقته؛ وقرأ قول الله تعالى: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: 100]، قال: هذا تحقيقها، "يقول: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها"، أي: تحقيق رؤياي. ([29])

وقوله: "يوم يأتي تأويله" (الأعراف: 53) أي: تحقيقه ووقوعُه، أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ([30]) والمعني بذلك والذي يعود عليه الضمير: هو يوم القيامة.

المعنى الرابع:

26- يُنظر: تفسير الطبري:(6 /205). - تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 24.

27- تفسير الطبري :(8 /506).

28- فتح القدير: (824/1). تفسير الشوكاني: فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1255هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

29- تفسير الطبري(271/16).

30- تفسير ابن كثير: (426/3). تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل؛ ومنه قوله تعالى فيما قصه علينا من قصة الخضر مع موسى -عليهما السلام-: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: 78]. (31)

قال الطبري (ت 310هـ)- رحمه الله-:

يقول: بما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع على تَرك المسألة عنها، وعن النكير على فيها صبرًا، والله أعلم. (32) (33)

وقال البغوي (ت 510هـ)- رحمه الله-:

تأويل الشيء مآله أي قال له: إني أخبرك لم فعلت ما فعلت". (34)

إذًا فالتأويل: "رجوع الشيء إلى مآله". (35). وهي معان متقاربة في لفظها ومعناها.

31- ينظر: الصواعق المرسلة: (1 /177). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1408هـ عدد الأجزاء: 4.

32- تفسير الطبري: (81/18).

33-ويُنظر كذلك: موقع- مركز سلف للبحوث والدارسات- مقال رقم: (173) بتصرف غير يسير من الباحث.

34- تفسير البغوي: (406/10). تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م عدد الأجزاء: 8.

35- فتح القدير للشوكاني: (871/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: بيان معنى التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية

أما التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ)- رحمه الله - فيأتي على معان:

المعنى الأول:

يأتي بمعنى التفسير، وهذا الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله-من المصنفين في التفسير-واختلف علماء التأويل-ومجاهد إمام المفسرين-قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره.

وكلام شيخ الإسلام هنا هو معنى ما ذُكِرَ آنفًا حول المعنى الأول للتأويل عند السلف وأنهما: أي التفسير والتأويل: مترادفا المعنى

المعنى الثاني:

يأتي بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالى: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] [الأعراف: 53]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون: من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك كما قال الله تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: [يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ] [يوسف: 100] فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

وهو نفس المعنى الثالث من معاني التأويل في القرآن سالفة الذكر.

المعنى الثالث:

يأتي بمعنى تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله، وهذا (التأويل الثالث) هو عين ما هو موجود في الخارج ومنه قول عائشة: (كان النبي يقول: في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى (يتأول القرآن)[36] يعنى قوله: [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ] (النصر: 3) وقول سفيان بن

36- البخاري: (794) مسلم: (484).

شبكة الألوكة www.alukah.net

عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي، فإن نفس الفعل المأمور به: هو تأويل الأمر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر والكلام خبر وأمر. ([37])

المطلب الثالث: بيان معنى التأويل عند المفسرين

أمَّا التأويل عند المفسرين، ففيه قولان مشهوران في قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) (آل عمران: 7)

القول الأول: أن يراد بالتأويل هنا:

ما تؤول إليه حقائق الأخبار، ومنها العلم بالكيفيات، كتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة كقوله:

[هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ] [الأعراف: 53] أي: ما يعلم كنهه وحقيقته وما يؤول إليه إلا الله. ([38])

ويترتب على هذا القول: أن يكون الوقف على قوله: [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ]، ويبتدأ بـ [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ]. ([39])، وهو اختيار شيخ الإسلام، وكذلك جمهور السلف والخلف.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: 728هـ)- رحمه الله-:

"وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ]وهذا هو المأثور عن أبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم". ([40])

وهو كذلك اختيار الشوكاني(ت: 1255هـ) حيث يقول - رحمه الله-:

37- يُنظر:مجموعة الفتاوى لابن تيمية: (29/1). مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م.

38- يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (6/2: 12)، وفتح القدير: (1/ 473)، ومجموع الفتاوى: (29/1).

39- يُنظر: علل الوقوف لا بن طيفور السجاوندي: (ت 560): (363/1).

40- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (29/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"الذي عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله، وأن الكلام تم عند قوله: [إِلاَّ اللَّهُ]هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيد وحكاه ابن جرير الطبري عن مالك واختاره وحكاه الخطابي عن ابن مسعود وأبي بن كعب" ([41])

واختاره من المعاصرين - كذلك العلامة - الفقيه شيخنا ابن عثيمين(ت: 1421هـ)، حيث يقول - رحمه الله- :

"الوقف على [إِلاَّ اللَّهُ] عليه أكثر السلف، وعلى هذا، فالمراد بالمتشابه المتشابه المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، وذلك مثل كيفية وحقائق صفات الله، وحقائق ما أخبر الله به من نعيم الجنة وعذاب النار، قال الله تعالى في نعيم الجنة: [فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ]

[السجدة: 17]، أي: لا تعلم حقائق ذلك. (42).

ومما سبق بيانه يتبين أن هذا القول عليه جماهير السلف والخلف ويشهد لقولهم ويؤيده أقوال علماء الوقف والابتداء ومن ذلك:

قول ابن الأنباري(ت: 577هـ)- رحمه الله -:

الوقف على"(إلا الله) تام: لمن زعم أن الراسخين فى العلم لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم".

ويقول مجاهد بن جبر المخزومي(ت: 104هـ)- رحمه الله -: في قوله تعالى [وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]:

"الراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنابه ...، فعلى مذهب مجاهد [والراسخون]مرفوعان على النسق على [الله].

41- فتح القدير للشوكاني: (473/1).

42- القول المفيد على كتاب التوحيد: (196/2). القول المفيد على كتاب التوحيد المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، محرم 1424هـ عدد الأجزاء: 2.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والوقف على [في العلم]حسن غير تام، لأن قوله: [يقولون أمنا به]حال من الراسخين، كأن قال: قائلين آمنا به.

ويقول مجاهد – رحمه الله –أيضًا: "إن الراسخين في العلم يعلمون التأويل أي التفسير". (43)

ومن قال: الراسخون في العلم لم يعلموا تأويله، رفع الراسخين بما عاد عليهم من ذكرهم، وذكرهم في [يقولون]، ولا يتم الوقف على [في العلم] من هذا المذهب، ولا يحسن لأن الراسخين مرفوعان بما عاد من [يقولون]ولا يحسن الوقف على المرفوع دون الرافع.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لمذهب العامة: [إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون] وفي قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه (ويقول الراسخون في العلم) (44)

ويقول ابن طيفور السجاوندي (ت: 560هـ) – رحمه الله – في علل الوقف والابتداء: "وقف لازم في مذهب أهل السنة والجماعة، لأنه لو وصل فهم أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه-كما يعلمه الله-[وهذا ليس بصحيح]، بل المذهب أن شرط الإيمان بالقرآن العمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، [والرَّاسِخُونَ]مبتدأ ثناء من الله عليهم بالإيمان على التسليم بأن الكل من عند الله. (45)

43- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (3811/5). درء تعارض العقل والنقل المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411هـ - 1991 م عدد الأجزاء: 10.

44- يُنظر: إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري (ت: 328): (ص: 292، 239).

45- يُنظر: علل الوقف والابتداء لابن طيفور السجاوندي: (363/1). علل الوقف والابتداء، المؤلف: محمد بن طيفور السجاوندي أبو عبد الله، المحقق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1427 – 2006، عدد المجلدات: 3، رقم الطبعة: 2.

شبكة الألوكة www.alukah.net

القول الثاني: أن يراد بالتأويل هنا:

التفسير والبيان والتعبير عن الشيء فالوقف على قوله: [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]، لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه كقوله: [نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] [سورة يوسف: 36] أي: نبئنا بتفسيره، وعن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. (46)

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس (ت: 68هـ) رضي الله عنهما قال: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعتُ له وَضُوءًا (47)، قال: "من وضع هذا؟"، فأُخْبِر، فقال: "اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين" (48) زاد أحمد في المسند: (وعلمه التأويل) (49)

ويترتب على هذا القول: أن يكون الوقف على قوله [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]، ويبتدأ بـ [يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ]، وإن كان القولان معتبران إلا أن القول الأول أقوى وعليه جماهير السلف والخلف، وكذلك عليه جماهير أهل العلم من أئمة المفسرين والنحاة والقراء، وأعلام الوقف والابتداء، وكذلك عليه رسم أكثر المصاحف المتداولة بين المسلمين إلى يومنا هذا.

والخلاصة مما سبق:

أن المراد بنفي علم الراسخين بالتأويل في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ} هو: نفي

علم الكيفية؛ ولذلك كان جمهور الأمة -سلفها وخلفها-على أن الوقف عند قوله تعالى: {إِلا اللَّهُ}، ثم الابتداء بقوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}؛ وهو الثابت عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، ولا تلازم بين نفي علم التأويل -بمعنى

46- الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية: (39/1)، وتفسير ابن كثير: (6/2: 12).

47- الوَضوء بفتح الواو: الماء الذي يُتوضأُ به، والوُضوء بضم الواو: غسل أعضاء الوضوء. الباحث.

48- صحيح البخاري: (1/ 41) رقم (143)، صحيح مسلم: (4/ 1927) رقم (2477).

49- مسند الإمام أحمد 4/ 225 رقم 2397، 5/ 65 رقم 2879، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 2589

شبكة الألوكة www.alukah.net

الكيفية-وإثبات المعنى؛ يقول ابن تيمية(ت: 728هـ) - رحمه الله -: نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنى. (50)

المطلب الرابع: بيان معنى التأويل عند المتأخرين

وأما التأويل عند المتأخِّرين فيعرفه محمد حسين الذهبي(ت: 1397هـ) - رحمه الله - بقوله:

هو: صَرْف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يَقْتَرِن به، وعلى هذا فالمتأوِّل مطالَب بأمرين:

أما الأمر الأول:

أن يبيِّن احتمالَ اللفْظ للمعنى الذي حمَلَه عليه، وادَّعى أنه المراد

وأما الأمر الثاني:

أن يبيِّن الدليلَ الذي أوجب صرْفَ اللفْظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح لدليل يقترن به، وإلا كان تأويلاً فاسدًا، أو تلاعبًا بالنصوص. (51)

ويجلي هذا المعنى من التأويل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ) فيقول - رحمه الله -:

وهذا هو التأويل المستعمل عند الأشاعرة والماتريدية، وهو معنى محدث لم يوجد الخطاب به عند السلف من الصحابة والتابعين؛ فلا يجوز أن يقال: إن هذا اللفظ متأوّل، بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فضلًا عن أن يقال: إن هذا التأويل لا يعلمه إلا الله، اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف الظاهر المختص بالمخلوقين، فلا ريب أن من أراد بالظاهر هذا فلا بد أن يكون له تأويل يخالف ظاهره. (52)

50- مجموع الفتاوى: (13/ 306).

51- التفسير والمفسرون (1/ 19) ، ط: مكتبة وهبة. بتصرف يسير.

52- التدمرية (ص: 115).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول في موضع آخر- رحمه الله -:

"وأما التأويل المذموم والباطل: فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقًا ممكنا

المطلب الخامس: بيان معنى التأويل عند الأصوليين وأنه لابد أن يقترن بالدليل:

ولذا عرفوه بأنه: "صرف اللفظ عن ظاهره بدليل". ([53]) والدليل لابد أن يكون دليلًا صحيحًا صريحًا بينًا.

وفي نحو ذلك يقول السبكي (ت 771 هـ)- رحمه الله-:

" فإن حمل ([54]) لدليل فصحيح، أو لما يظنه دليلًا ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل". ([55])

يقول الباحث- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - ومن المقرر عند الأصوليين

عدم تأويل النص، وعدم العدول باللفظ عن ظاهره، –وأن صرفه عن ظاهره – أي تأويله-لا يكون صحيحًا أبدًا إلا إذا بني على دليل شرعي صحيح، من نص صريح، أو قياس معتبر صحيح، أو أصل عام من أصول الشريعة، فإذ ابُنِيَ التأويلُ على انتصار لآراء وأهواء ولم يبن على دليل صحيح صريح، كان تأويلًا باطلًا وفاسدًا غير صحيح.

وفي نحو ذلك قال ابن حزم الأندلسي(ت 456 هـ) - رحمه الله- في هذا المعنى من معاني التأويل:

53- يُنظر: تعريف التأويل في المستصفى (1/ 387)، المحلي على جمع الجوامع وحاشية البناني عليه (2/ 53)، شرح الكوكب المنير (3/ 460)، الإحكام، الآمدي (3/ 52)، شرح العضد (2/ 169)، كشف الأسرار (1/ 44)، تيسير التحرير (1/ 144)، البرهان (1/ 511)، التعريفات للجرجاني ص 28، الحدود للباجي ص 48، إرشاد الفحول ص 176، علم أصول الفقه ص 164، تفسير النصوص (1/ 356، 366)، أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي(1 /313).

54- يعني بذلك: التأويل.

55- جمع الجوامع: (ص 88) مع حاشية الصبان وغيره.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر؛ فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقِلُه واجبَ الطاعة -فهو حق.

وإن كان نقله بخلاف ذلك اطُّرح، ولم يلتفت إليه، وحُكم لذلك النقل بأنه باطل. ([56])

ويقول ابن القيم (ت 751 هـ)-رحمه الله-:

"أما لفظ التأويل إذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به، فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا، ولا هو معنى التأويل في كتاب الله عز وجل" ([57])

المطلب السادس: بيان شروط التأويل الصحيح عند المتأخرين ومن نحى نحوهم وبيان حكمه.

يشترط لصحة التأويل بمعناه عندهم شروط وهي:

1- أن يكون اللفظ المرادُ تأويله يحتمله المعنى المؤول لغة أو شرعًا؛فلا يصح على هذا تأويلات الباطنية التي لا مستند لها في اللغة أو الشرع، بل ولا العقل.

2- أن يكون السياق محتملاً، مثل لفظ (النظر) فهو يَحْتَمل معانيَ في اللغة، ولكنه إذا عدِّي بـ: (إلى) لا يحتمل إلا الرؤية.

3- أن يقوم الدليل على أن المراد هو المعنى المؤول

4- أن يسلم دليل التأويل من معارض أقوى؛ فإذا اختل شرط من الشروط فهو تأويل فاسد

مثال للتأويل الصحيح:

قال تعالى: (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) (التوبة: 67)

فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النسيان هنا هو الترك.

56- ينُظر: الإحكام لابن حزم: (43/1). الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت عدد الأجزاء: 8.

57- ينُظر: دقائق التفسير لابن القيم: (330/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد دل على هذا التأويل تصريحًا قوله -تعالى -: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: 64)

وقوله: (فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى) (طه: 52). (58)

أي: لا يخطئ ربي ولا ينسى، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما كذلك. (59)

يقول سماحة شيخنا الإمام ابن باز(ت 1420هـ) - رحمه الله-:

"لا يجوز نسبة تأويل الصفات إلى السلف بحالٍ من الأحوال، ولا يجوز أن يُنسب التأويل إلى أهل السنة مطلقًا بل هو خلاف مذهبهم". يعني هنا في باب تأويل صفات الرب جل في علاه.

ثم يعقب سماحته فيقول -رحمه الله-:

وإنما يُنسب التأويل إلى الأشاعرة وسائر أهل البدع الذين تأوّلوا النصوص على غير تأويلها"(60)

وأما بيان حكم التأويل بمعناه الحادث عند المتأخرين

فقد يكون صحيحًا إذا اجتمعت فيه الشروط -كما مر- 1

2- وقد يكون خطأ كتأويلات بعض العلماء الذين أخطأوا في تأويل بعض نصوص الصفات.

3- وقد يكون بدعة كعموم تأويلات الأشاعرة، والمعتزلة ومن نحى نحوهم

4- وقد يكون كفرًا كتأويلات الباطنية ([61]).

إشارة وتنبيه من الأهمية بمكان

58- يُنظر إرشاد الفحول للشوكاني ص177، والتوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية للشيخ فخر الدين المحيسي ص185.

59- تفسير ابن كثير: (319/18).

60- مجموع فتاوى ابن باز: (75/3-76).مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز- رحمه الله - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر عدد الأجزاء: 30 جزءًا .

61- يُنظر: التأويل: مفهومه - معانيه-أمثلة عليه- محمد بن إبراهيم الحمد-عن موقع: ملتقى أهل التفسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

إن غالب ذكر لفظ "التأويل" يكون في باب الاعتقاد مقترنًا بآيات وأحاديث الصفات، حيث خاض أهل التأويل والتعطيل والتشبيه في بعض صفات الرب جل في علاه بتأويلها عن ظاهرها وخالفوا طريقة السلف في ذلك، فأولوا يده الله تعالى إلى قدرته، ومجيئه ونزوله جل في علاه إلى مجيئ ونزول رحمته، كما أولوا الاستواء على العرش بالاستيلاء، وغير ذلك كثير ومعلوم لا يخفى.

وأن الكلام هنا عن معنى التأويل أولًا من جهة اللغة، واصطلاحًا عند المفسرين من جهة أخرى، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معنى التأويل في باب الاعتقاد عند تعريفه لتوحيد الأسماء والصفات بقوله:

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه -سبحانه وتعالى-؛ فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه. ([62])

ولم يتعرض الباحث هنا لمعنى التأويل في الاعتقاد بالاستدرار والإكثار، كتأويل الأسماء والصفات، لأنه ليس محل البحث، وبحثه يتم في مظانه عند الكلام على مناهج المفسرين في إثبات صفات الرب جل في علاه.

62- العقيدة الواسطية لابن تيمية: (ص:15). العقيدة الواسطية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ) الناشر: مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: بدون طبعة أو عام نشر عدد الأجزاء: 1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع: بيان الفَرْق بين التفسير والتأويل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان اختلاف العلماء في بيان الفَرْق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما:

1- قال أبو عُبَيدة ابن المثنى النحوي(ت: 209 هـ) - رحمه الله- وطائفة: ([63])

هما بمعنًى واحد، وعليه فهُما مترادفان، وهذا هو الشائعُ عند المتقدِّمين من علماء التفسير، كالإمام ابن جرير وغيره. ([64])

2- قال الراغب الأصفهاني(ت: 502 هـ):

التفسيرُ أعمُّ من التأويل، وأكثرُ استعماله في الألْفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمَل، وأكثر ما يُستعمَل في الكتب الإلهية، والتفسير يُستعمل فيها وفي غيرها([65])، فالتفسير إمَّا أن يُستعمل في غريب الألفاظ كالبَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحَام، أو في تبيين المراد وشرْحه؛ كقوله - تعالى- : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: 43]، وإمَّا في كلام مضمَّن بقِصَّة لا يمكن تصوُّرُه إلا بمعرفتها؛ نحوَ قوله - تعالى- : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ (التوبة: 37).

وأمَّا التأويل: فإنَّه يُستعمَل مَرَّةً عامًّا، ومرةً خاصًّا، نحو (الكفر) المستعمَل تارةً في الجحود المطلَق، وتارةً في جحود الباري خاصَّة، و(الإيمان)المستعمل في التصديق المطلَق تارة، وفي تصديق دِين الحقِّ تارة، وإمَّا في لفظ مُشْتَرك بين معانٍ مختلفة، ونحو لفظ(وجد)المستعمل في الجد والوجد والوجود. ([66])

63- أبو عُبَيدة: هو معْمَر بن المثنى النحوي العلامة، يقال: إنَّه وُلِد سنة 110هـ، توفي سنة 213هـ، تاريخ بغداد: (252/13). وقيل(ت: 209هـ) وهو الأشهر.

64- مجاز القرآن (1/ 86)، تحقيق: سزكين، ط: الخانجي، الإتقان في علوم القرآن: (167/4).

65- الإتقان في علوم القرآن(167/4).

66- البرهان (149/2)، والتفسير المفسرون(20/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

3- ويقول السيوطي (ت: 910هـ) - رحمه الله- في الإتقان:

قيل إن التفسير: هو ما وقع مبينا في كتاب الله تعالى، أو معينا عليه في صحيح السنة لأن معناه قد ظهر واتضح. والتأويل: هو ما استنبطه العلماء-ولذا قال بعضهم التفسير هو ما يتعلق بالرواية والتأويل هو ما يتعلق بالدراية ". (67)

4- وقال قوم:

التفسير بيان وضْع اللفظ؛ إما حقيقةً وإما مجازًا، كتفسير(الصراط)بالطريق و(الصيب)بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذٌ من الأَوْل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبارٌ عن حقيقة المراد، والتفسير إخبارٌ عن دليل المراد؛ لأنَّ اللفظ يكشِف عن المراد، والكاشف دليل، مثال ذلك: قوله - تعالى- : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِا لْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14]، تفسيره: أنَّه من الرَّصْد، يقال: رصدته؛ أي: رقبته، والمرصاد: مِفْعال منه، وتأويله التحذير مِن التهاون بأمر الله والغَفْلة، والاستعداد للعَرْض عليه، وقواطع الأدلَّة تقتضي بيانَ المراد منه على خِلاف وضْع اللفظ في اللغة (68)، وعلى هذا فالنِّسبة بينهما التباين.

5- وقال قوم:

التأويل:

صرْف الآية إلى معنًى محتمل موافِق لِمَا قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسُّنة من طريق الاستنباط، فقد رُخِّص فيه لأهل العلم، والتفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنِها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعدَ ثبوته من طريق النقْل (69)، وعليه فالنسبة بينهما التباين أيضًا.

67- يُنظر: الإتقان للسيوطي: (173/2-174).

68- الإتقان في علوم القرآن (168/4)، التفسير والمفسرون(20/10).

69- مقدمة تفسير البغوي (46/1)، البرهان في علوم القرآن (150/2)، الإتقان: (169/4).

شبكة الألوكة www.alukah.net

6- وقال قوم:

التفسير يتعلق بالرِّواية، والتأويل يتعلَّق بالدِّراية ([70])، والنسبة بينهما التباين أيضًا

7- وقال قوم:

ما وقع مبيَّنًا في كتاب الله، ومعيَّنًا في صحيح السنة، سُمِّي تفسيرًا؛ لأنَّ معناه قد وضح وظهر، وليس لأحد أن يتعرَّض إليه باجتهاد ولا غيره؛ بل يحمله على المعنى الذي ورَد لا يتعدَّاه، والتأويل: ما استنبطه العلماءُ العاملون لمعانِي الخطاب، الماهرون في آلاتِ العلوم. ([71])

8- وقال قوم:

التفسير: هو بيان المعاني التي تُستفاد من وضْع العبارة، والتأويل: هو بيانُ المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة، فالنِّسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهورُ عندَ المتأخرين، وقد نبَّه إليه الألوسي في مقدِّمة تفسيره. ([72])

المطلب الثاني: بيان القول الراجح من أقوال العلماء في بيان معنى التفسير والتأويل.

لعلَّ أظهر الأقوال وأولاها بالقَبول:

هو أنَّ التفسير: ما كان راجعًا إلى الرِّواية، والتأويل: ما كان راجعًا إلى الدِّراية؛ وذلك لأنَّ التفسير معناه الكشْف والبيان، والكشْف عن مراد الله - تعالى - لا يُجْزَم به إلا إذا وردَ عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أو عن بعضِ أصحابه الذين شَهِدوا نزولَ الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادثَ ووقائع، وخالطوا رسولَ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم -ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل: فملحوظٌ فيه ترجيح أحدِ محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يَعتمِد على الاجتهاد، ويُتوصَّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لُغة العرب، واستعمالها بحسب السِّياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كلِّ ذلك. ([73])

70- الإتقان للسيوطي: (196/4).

71- الإتقان: (168/4، 169).

72- روح المعاني (6/1)، التفسير والمفسرون:(21/1).

73- التفسير والمفسرون: (22/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال أبو نصر القُشَيري ([74]) قال الزَّركشي(ت: 794هـ) - رحمه الله -:

ويُعتبَر في التفسير الاتباع والسَّماع، وإنما الاستنباط فيما يَتعلَّق بالتأويل ([75])

قال الزَّركشي(ت: 794هـ) - رحمه الله -:

وكأنَّ السبب في اصطلاح كثير على التفرِقة بين التفسير والتأويل التميزُ بين المنقول والمستنبَط؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط، تجويزا له وازديادًا، وهذا من الفروع في الدِّين. ([76])

المطلب الثالث: بيان الخلاصة التي توصلت لها الدراسة في مبحث الفرق بين التفسير والتأويل

أولًا: فإنَّ التأويل أعمُّ من التفسير؛ وذلك لأنَّ كلمة التأويل وردت في القرآن الكريم بأكثر من معنى، في حين أنَّ الله تبارك تعالى لم يذكرْ كلمةَ التفسير ومشتقاتها إلا مرَّةً واحدة فقط في القرآن كله في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: 33).

ثانيًا: إذا ذُكِر أحد اللفظين منفردًا قُصِد به المعنى الشامل للفظين معًا إذا اجتمع اللفظان معًا.

ثالثًا: إذا اجتمع اللفظان معًا "التفسير والتأويل" في شيء يخصُّ القرآن الكريم، كان المراد -والله أعلم -بالتفسير بيانَ المعاني التي تُستفاد من وضْع العبارة، وبالتأويل بيانَ المعاني التي تُستفادُ بطريق الإشارة، والله تعالى أعلم. ([77]) والحمد لله رب العالمين

74- هو: الإمام المفسِّر أبو نصر عبد الرحيم بن شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري النحوي المتكلم، مات سنة 524 هـ، سير أعلام النبلاء :(424/19).

75- البرهان في علوم القرآن (165/2)،دار الكتب العلمية.

76- الإتقان في علوم القرآن (167/3)، والبرهان (172/2)، والتفسير والمفسرون :(22/1).

77- يُنظر: الفرق بين التفسير والتأويل-د. هاني البشبيشي-تاريخ الإضافة: 2013/4/4 ميلادي - 1434/5/23 هجري-عن موقع الألوكة - بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

وفيه مبحثان

المبحث الأول: أنواع التفسير بحسب ما ورد في" الموسوعة القرآنية المتخصصة "، وفيه ثلاثة مطالب واعتبارات:

فـ "إن المتصفح لكتب التفاسير التي خلَّفها علماء الإسلام، يرى تنوعًا كبيرًا بينها، بحيث يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام، بالنظر إلى عدة اعتبارات، ولقد أرجع المتخصصون تلك الأقسام إلى اعتبارات ثلاثة. (78)

المطلب والاعتبار الأول: من حيث المصادر التي يُستَمَدُ منها التفسيرُ

وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، ويدخل تحت التفسير بالرأي كل أنواع التفسير بالرأي المحمود، والمذموم، بسائر اتجاهاته الفقهية، والصوفية، والبلاغية، والأدبية، والموضوعية، والتحليلية، والإجمالية، والعلمية، وغير ذلك.

المطلب والاعتبار الثاني: من حيث التوسع والإيجاز في التفسير

وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير تحليلي، وتفسير إجمالي.

المطلب والاعتبار الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير

وهي التي تقابل المفسر في كل سورة، ومن حيث خصوص موضوع بعينه في القرآن الكريم كله، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير عام، وتفسير موضوعي.

وتستخلص الموسوعة أنه لا مانع أن يدرج تفسير معين، تحت أكثر من قسم من هذه الأقسام، باعتبارات مختلفة، لأن هذه الاعتبارات لم يراع فيها المقابلة، فلم تكن العلاقة بينها علاقة تناقض".

78- يُنظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مرجع سابق: (ص: 277 -278)

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: أنواع التفسير بحسب اعتبارات أُخر، وفيه ثلاثة مطالب وتقسيمات:

فبحسب تلك الاعتبارات فإن التفسير كذلك ينقسم إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني.

والقسم الثاني: تقسيم باعتبار طريقة المفسر ومنهجه في التفسير

والقسم الثالث: باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته، وكذلك بطبيعة منهج المفسر وطريقته في تناول التفسير

المطلب والتقسيم الأول: تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني

إن موضوع أقسام التفسير من الموضوعات التي اهتم بها العلماء منذ زمن، ولعل أول تقسيم للتفسير هو الذي ورد عن حبر الأمة وترجمان ابن عباس (ت: 68هـ) - رضي الله عنهما-، فقد ورد عنه أنه جعل التفسير أربعة أقسام: روى الإمام عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، قال حدثنا الثوري قال: قال ابن عباس(ت: 68هـ) - رضي الله عنهما-،

" تفسير القرآن على أربعة وجوه:

الأول: تفسير يعلمه العلماء،

والثاني: تفسير تعرفه العرب،

والثالث: تفسير لا يعذر أحد بجهالته-يقول من الحلال والحرام-،

والرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب". ([79])

وهذا الأثر قد تُكُلِمَ فيه. ([80])، إلا أن قبوله اشتهر عند علماء التفسير لأنه منطبق وموافق لواقع وحال التفسير.

79- تفسير السيوطي: الدر المنثور: 462/3. الدر المنثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: 8 .

80- وأثر ابن عباس (ت: 68هـ) - رضي الله عنهما-: قد أخرجه الطبري في تفسيره (34/1) من طريق أبي الزناد عن ابن عباس به.

قلت: وهذا إسناد منقطع؛فأبي الزناد لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أورد الزركشي شرحه في البرهان فمن أراد زياد إيضاح فليراجعه في البرهان.

وتقسيم الحبر ابن عباس رضي الله عنهما: إنما هو تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني.

المطلب والتقسيم الثاني: تقسيم باعتبار طريقة المفسر ومنهجه في التفسير

وتقسم هذا النوع إلى قسمين اثنين:

أما القسم الأول: فتفسير بالرواية وهو ما يسمى التفسير بـ "المأثور"

وأما القسم الثاني: فتفسير بالدراية وهو ما يسمى التفسير بـ "الرأي"

أما القسم الأول: الذي هو: التفسير بالمأثور أو التفسير بـــــ "المنقول" أي التفسير بـــ"بالرواية"

فتعريفه: هو تفسير القرآن بالقرآن نفسه، وبالسنة وبالآثار عن الصحابة والتابعين.

وقيل في تعريفه أيضًا: هو "التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح". ([81])

أنواع التفسير بالمأثور، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: بيان أنواعه

المسألة الثانية: بيان مكانته

المسألة الثالثة: بيان أسباب الضعف الواردة عليه

المسألة الرابعة: ذكر جملة من أشهر ما صُنِف فيه

وبهذه العلة ضعف الأثرَ الشيخُ المحقق عبد الله الجُدَيْع في كتابه النفيس ((المقدمات الأساسية في علوم القرآن)) (ص/280).

إلا أن الأثر له إسناد آخر صححه بعضهم، وقد أخرجه الفريابي في القدر (414)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (1285) من طريق :مُحَمد بن حرب الخولاني، حَدَّثَنَا أبو سلمة سليمان بن سليم، حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

81-نقلًا عن الموسوعة الحرة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما المسألة الأولى: بيان أنواعه

فالتفسير بالمأثور خمسة أنواع:

أما النوع الأول: فتفسير القرآن بالقرآن

والنوع الثاني: تفسير القرآن بالسنة

والنوع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

والنوع الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين، وفي تفسير تابعي التابعين خلاف مشهور

والنوع الخامس: تفسير القرآن باللغة وعلومها.

المسألة الثانية: بيان مكانته

التفسير بالمأثور هو أحسن الطرق في التفسير

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: 728هـ) رحمه الله:

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. (82)

وذلك لأن تفسير القرآن بالقرآن " من أبلغ التفاسير وإنما يُرْجَع إلى القرآن لبيان القرآن؛ لأنه قد يَرِدُ إجمال في آية تبيّنه آية أخرى، وإبهام في آية توضّحه آية أخرى، وهكذا". (83)

ولقد وسمها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بـ (طرق التفسير)، وقد ذكر منها أربعة طرائق، وهي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين في التفسير. (84) فبدأ بالقرآن الكريم.

ولقد اجتهد أئمة التفسير في تحري بيان معاني آيات القرآن من القرآن، فما أُجمِلَ منه في موضع بُيِّن في موضع آخر، وبين أهل التفسير في هذا النوع من أنواع التفسير من التفاضل والتَّباين الشيء البين الواضح فيما بينهم. (85)

82- مقدمة أصول التفسير: (ص:94).

83- يُنظر: مقال: التفسير بالمأثور، للدكتور: مساعد الطيار، عن موقعه الرسمي.

84- يُنظر: مقدمة في أصول التفسير، (تحقيق: د. عدنان زرزور)، (ص:93).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الثالثة: بيان أسباب الضعف الواردة عليه

إنما ترجع أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور إلى أسباب ثلاثة:

السبب الأول: كثرة الوضع في التفسير

السبب الثاني: دخول الإسرائيليات

السبب الثالث: حذف الأسانيد

وإنما كان الوضع في التفسير ودخول الإسرائيليات وتسربها إلى رحاب كتب التفسير لأسباب عظام من أهمها وأبينها وأظهرها وأجلها الغفلة التي وقعت عن حراسة جناب التفسير.

وإنما ذُكِرت هذه الأسبابُ مختصرة ولم يُتوسع فيها ذكر تفاصيلها لأن المجال لا يتسع، والمقصود هنا هو إعطاء تصور عام للباحث والدارس عن أنواع التفسير فحسب، والبحث أيضًا يُعدُ تمهيدًا بين يدي المبحث الرئيس ألا وهو دراسة التفسير الموضوعي.

وقد بُحِثَت تلك الأسباب بإسهاب في مظانها فلتراجع هناك لمن طلب الإفادة والزيادة. ([86])

المسألة الرابعة ذكر جملة من أشهر ما صُنِف فيه

ومن أحسن وأشهر ما صُنِف في التفسير بالمأثور

1- جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبي جعفر الطبري (ت: 310هـ)

2- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: 373هـ)

3- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسن بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)

85- للاستزادة يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير مبادئ علم التفسير، وفيه (تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين)، (ص:27).

86- ومنها على سبيل الحصر لا القصر ما ذكره الدكتور محمد حسن الذهبي في الفصل الأول من الجزء الثاني بحثه الشهير الموسوم بـ" التفسير والمفسرون"

شبكة الألوكة www.alukah.net

4- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: 510هـ)

5- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)

6- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين بن أبي بكر عبد الرحمن السيوطي (ت: 911هـ)

7- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي(ت: 786هـ)

8- فتح القدير، الجامع بين فَنَّى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني(ت: 1250هـ)، وهو كما هو ظاهر من عنوانه شامل للتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

ويعتبر تفسيره أصلاً من أصول التفسير، ومرجعًا من مراجعه، حيث أجاد فيه مؤلفه في باب الرواية، وتوسع في باب الدراية.

9- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني (1393هـ).

مع التحفظ على بعض ما في بعض تلك التفاسير من خلل في الجانب العقدي، أعني من جهة جانب تأويل صفات الرب جل في علاه وغيرها.

ومن أحسن التفاسير بالمأثور - كذلك- تفاسير الأولين:

كتفسير: سفيان ابن عيينة (ت: 198هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت: 160هـ)، ويزيد بن هارون (ت: 206هـ) ووكيع بن الجراح، (ت: 197هـ) وغيرهم كلها كانت تفاسير معتمدة لمنهج التفسير بالمأثور.

ولا شك أن هذا النوع من التفسير هو أعلى أنواع التفسير كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: 728هـ) في رسالته الماتعة الموسومة بـ مقدمة التفسير".

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما القسم الثاني: فهو التفسير بالرأي، أي التفسير بـــ"بالدراية"

وينقسم هذا القسم من أقسام التفسير: إلى نوعين، محمود، ومذموم.

أما النوع الأول: فهو التفسير بالرأي" المحمود" ([87])

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريفه

المسألة الثانية: موقف العلماء تجاهه

المسألة الثالثة: ضوابطه

المسألة الرابعة: بيان حكم الأخذ به

المسألة الخامسة: ذكر جملة من أشهر المصنفات فيه

أما المسألة الأولى وهي: تعريفه

فالتفسير بالرأي: المراد به التفسير بالاجتهاد.

وهذا الـ " نوع قام على أصل لغوي ورد عند العرب، أو برهان عقلي وافق الشرع.

وهو التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية، والقواعد الشرعية، أو الأصولية: "أصول الدين، وأصول الفقه"، وعلم السنن والأحاديث، ولا يعارض نقلًا صحيحًا، ولا عقلا سليمًا، ولا علمًا يقينًا ثابتًا مستقرًا، مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب، وتجريد النفس من الهوى، والاستحسان بغير دليل، ومع مراقبة الله غاية المراقبة في كل ما يقول. ([88])

وهو ما اعتمد المفسر فيه على الاجتهاد والاستنباط ويكون مستنده فيها إلى أصول الشريعة وعلوم اللغة وفق ضوابط دقيقة واضحة، وقد بين الله أن التدبر من أجل الحكم التي أنزل من أجلها كتابه، فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29)

87- البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: يوسف أحمد علي، ص: 260-262.

88-الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: (د. ص)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الذي يعمل فيه المفسر اجتهاده على الاستنتاج العقلي للحكم والأحكام المستنبطة من الآيات التي يتعرض لتفسيرها مع علمه واستضاءته بعلوم القرآن من معرفة الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص، ملمًا بمعاني الآيات، عالمًا أسباب النزول، عالمًا كذلك بالسنة رواية ودراية مدركًا لصحيحها من ضعيفها، بصيرًا كذلك بأصول الفقه، معتمدًا على مدلولات اللغة-نحوًا وصرفًا وبلاغة- بيانًا وبديعًا ومعاني-، وأن يكون نقيًا تقيًا ذا مواهب ومؤهلات ومقومات إيمانية وعلمية ومواهب مكتسبة وقدرات خلقية جبلية من بعد النظر ورجاحة العقل وقوة التميز، ولا يتأتى ذلك إلا بالخشية والتقوى ليفتح الله عليه من خزائن فضله ويعلمه ما لم يكن يعلم، وفي نحو ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: 282).

المسألة الثانية: موقف العلماء تجاهه

موقف العلماء تجاه التفسير بالرأي:

اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي، ووقف المفسرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين:

فقوم تشددوا في ذلك فلم يجرأوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالمًا أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي - صلى الله عليه وسلم-، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة - رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأسًا من أن يفسروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده.

والفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، وكل يعزز رأيه ويقويه بالأدلة والبراهين". ([89])

فـ" الرافضون لتفسير القرآن بالرأي معتبرين ذلك نوعًا من القول على الله بغير علم، وأنه مهما ما بلغ إليه من نتائج يبقى ذلك في حدود الظن، والظن لا يغني عن الحق شيئًا،

89- التفسير والمفسرون: (1/221-222).

وهو منهي عنه في الكتاب والسنة. واستدلوا بقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم) (الإسراء: 36). وقوله عز وجل: (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (البقرة: 169).

أما السنة فقد استدلوا بقوله – صلى الله عليه وسلم-: "من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ". ([90])

كما استدلوا بمسلك الصحابة والتابعين في تعاملهم مع القرآن الكريم، حيث عرف عنهم تمسكهم الشديد بمنهج التحري والتثبت في إحجامهم القول في القرآن بغير علم.. وقد ساقوا عدة مرويات عن الصحابة والتابعين تدعم موقفهم هذا، من ذلك ما يروى عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – عندما سئل عن حرف من القرآن فقال: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟". ([91])

ثم ما ورد عن سعيد بن المسيب: "أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئًا" ([92]) إلى غيرها من الحجج التي استند عليها هؤلاء.

وقد رد المجيزون لهذا النوع من التفسير على هذه الأدلة. واستدل على جواز التفسير بالرأي من القرآن والسنة، المجوزون للتفسير بالرأي بما ورد في القرآن من آيات كريمات تحث على التدبر وإعمال الرأي كقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد: 24)، وقوله عز وجل: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (ص: 29).

ثم إن الاجتهاد بالرأي هو الطريق الذي يفسح المجال لتحقق استمرارية الأحكام القرآنية، ويمنحها نوعًا من المرونة والتكيف مع مختلف المستجدات والنوازل.

كما استدلوا باجتهادات الصحابة في التعامل مع القرآن الكريم، والدليل على ذلك ما أثر عنهم من اختلاف في بيان المسألة الواحدة.

90- ضعفه الألباني في ضعيف المشكاة (235)، ضعيف أبي داود (789 / 3652)

91- رواه ابن أبي شيبة (136/6)، ويُنظر كذلك: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.

92- يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (315/2)، وللاستزادة يُنظر: التفسير والمفسرون(260/1)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويبقى أن من التفسير بالمأثور ما هو مقبول وهو الذي توفرت فيه الضوابط العلمية. أما المرفوض فهو المبني عن مجرد الرأي والهوى.. ([93])

إذًا فلابد للمفسّر – الذي له علم بالتفسير– من إعمال جهده وفهمه حين تعرضه لتفسير كلام الله تعالى، مع لزومه السبيل الرشيد السديد والطريق الواضح السديد

متقيدًا بضوابط وقواعد وأصول التفسير.

إذًا فالتفسير بالرأي يبقى كذلك كغيره من أنواع التفاسير الأخرى، بحاجة إلى تجلية ضوابطه وحدوده وأبعاده..

وفي نحو ذلك يقول الزركشي في البرهان:

للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة

الأول: النقل عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما قاله الحاكم في تفسيره.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل (بلسان عربي مبين) (الشعراء: 195). وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه – وقد سئل عن القرآن تمثل له رجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد.

وقيل: الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبًا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال:

لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا". ([94]) "

93- أقسام التفاسير: مقال عن موقع الألوكة، جمعه واختصره من كلام أهل العلم أحمد يخلف.

94- أثر مالك أخرجه البيهقي شعب الإيمان: (425/2)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذي دعا به النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس في قوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). ([95])

وروى البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي: هل خصكم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل. (96)

وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل، فالنزول قد مضى، والتنزل باق إلى قيام الساعة.

ومن ها هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى. (97)

ويقول السيوطي (ت: 910هـ)– رحمه الله –:

"التفسير بالرأي هو الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، وفق قواعد وشروط أهمها: 1- معرفة كلام العرب ومناحيهم في القول،

2- معرفة الألفاظ العربية والوقوف على دلالتها ومقتضياتها.

3- العلم بأسباب النزول، والناسخ المنسوخ، والحديث والأصول والفقه.

95- والحديث مروي بروايات وألفاظ متباينة ومتقاربة المعنى منها:

أ-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا ، قَالَ : (مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟) ، فَأُخْبِرَ ، فَقَالَ : (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) رواه البخاري: (143) ، ومسلم: (2477)

ب- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ) "رواه البخاري(75).

ج- ما رواه الإمام أحمد في " المسند " (4 / 225) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي - أَوْ عَلَى مَنْكِبِي ، شَكَّ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: (اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ) ، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (6 / 173).

96- صحيح البخاري، باب فك الأسير، حديث رقم: (2911).

97- البرهان: (293/2).

شبكة الألوكة www.alukah.net

4- أن يكون المفسر بعيدًا عن الهوى ونزعة التعصب. (98)

ويقول الزرقاني (ت: 1367هـ)- رحمه الله -:

"فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفًا بقوانين اللغة، خبيرًا بأساليبها، وأن يكون بصيرًا بقانون الشريعة؛ حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه". (99)

المسألة الثالثة: ضوابطه

ضوابط التفسير بالرأي "المحمود"

ومن مجموع ما سبق ذكره من كلام أهل العلم، ومن تأصيل غيرهم كذلك، يتبين لنا أن للتفسير المحمود بالرأي ضوابط لا تنفك عنه أبدًا، فإذا خرج عنها المفسر أصبح تفسيره مذمومًا، ومن أهم تلك الضوابط ما يلي:

1- عدم مخالفته التفسير بالمأثور، وعدم معارضته له بوجه من الوجوه.

2- الاعتماد على مقتضى الكلام وما يدل عليه من عام وخاص ومطلق ومقيد وناسخ ومنسوخ، فلا يخرج تفسيره عن أصول التفسير وقواعده، وألا يتعارض تفسيره كذلك مع عموم السياق للآيات.

3- الاعتماد على اللغة ومدلولاتها، وعدم مصادمة تفسيره لها، ولا لما اشتهر من كلام العرب، فاللغة عماد من أعمدة فهم كلام الله، فبلسانها نزل كما قال ربنا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2)

4 -وكذلك عدم القطع بأن مراد الله من الآية كذا، من غير برهان ساطع أو دليل شافع.

5- وألا يكون من أهل البدع والأهواء، فيصطدم مع أصل من أصول أهل السنة ولا سيما في جانب الاعتقاد، فيلوي عنق النصوص ويؤولها حسب معتقده

98- موازنة بين تفسيري المحرر الوجيز لابن عطية، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تأليف: منصور بن فضيل كافي، ص: 254.بتصرف يسير

99- مناهل العرفان للزرقاني: (43/2)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومذهبه وهواه، فيصدر تفسيره عن هوى في نفسه، منتصرًا بذلك لمذهبه ومعتقده.

6- وألا يتعرض للغيبيات بتأويلات باطنية، أو يخوض كذلك فيما استأثر الله بعلمه.

وعموم القاعدة في ذلك أن كل مفسر التزم في تفسيره أصلاً بدعيًا يحاكم إليه النصوص فتفسيره من قبيل التفسير بالرأي المذموم.

ومن سلك هذا المسلك فليتجنب تفسيره تمامًا، كتفسير الكشاف للزمخشري المعتزلي، إلا من كان من أهل العلم والبصيرة فإنه يستفيد مما فيه من علوم اللغة والبلاغة، والتي كان الزمخشري إمامًا من أئمتها، كما أنه كان إمامًا من أئمة الاعتزال كذلك.

المسألة الرابعة: بيان حكم الأخذ به

حكم الأخذ بالتفسير بالرأي المحمود:

أغلب أهل العلم على جواز التفسير بالرأي المحمود إذا توافرت فيه الأصول المعتبرة التي سبق ذكرها آنفًا.

المسألة الخامسة: ذكر جملة من أشهر المصنفات فيه

ومن أشهر الكتب المصنفة في التفسير بالرأي المحمود ما يلي

1- مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي: (ت: 606هـ).

2- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ).

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ).

4- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710 هـ).

5- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن (ت: 741 هـ).

6- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ).

7- إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ).

8- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، وقد جمع فيه بين التفسير رواية ودراية، ولذا أطلق عليه اسم " فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"(ت: 1250 هـ).

9- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ)، وبعض أهل العلم ألحقه بالتفسير الإشاري كذلك.

وهذه من أبرز ما كُتِبَ في التفسير بالرأي المحمود، وأغلب تلك التفاسير قد خاض مصنفوها في تأويل صفات الرب جل في علاه، وعليها ما عليها من مآخذ كذلك في الجانب العقدي عمومًا.

وذكر التفاسير بالرأي لا يعني أن مصنفيها تركوا التفسير بالمأثور، فإن أغلب التفاسير بالرأي تحتوي على الكثير من روايات التفسير بالمأثور، أما ترجيحًا لرأي على آخر، أو إيضاح لمعنى، أو لبيان مبهم، ونحو ذلك، ومن ذلك تفسير الشوكاني الذي جمع بين نوعي التفسير بـ " بالرواية والدراية".

النوع الثاني: التفسير بالرأي " المذموم"

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريفه

المسألة الثانية: ذكر جملة من أهم ما صُنِفَ فيه

أما المسألة الأولى وهي: تعريفه:

فالتفسير بالرأي " المذموم" هو: الرأي المُخالف للعربية، وللأدلة الشرعية؛ سواء منه ما ليس له أصلٌ صحيح، أو ما ضَادَّ النصوصَ الثابتة، أو ما ضَعُفَ مأخَذُه ([100])

100- للاستزادة يُنظر: قانون التأويل، لابن العربي (ص: 366)، وإعلام الموقعين، لابن القيم 2 / 125 ط: مشهور حسن آل سلمان، والموافقات، للشاطبي 4 / 279 ط:مشهور حسن آل سلمان.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا النوع لم يقم على أصل لغوي ولا برهان ساطع عقلي موافق للشرع، وإنما قام على الرأي المجرد الذي لا شاهد له من الشرع وأصوله، ولا من اللغة وعلومها، فأصحابه من أهل الأهواء والمذاهب العقدية الهدامة.

وقد ساق بعض أهل العلم تلك الشروط بصيغ مختلفة المعنى، إلا أنها متقاربة في المضمون والفحوى. ([101])

وفي نحو ذلك يقول العلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين (ت: 1421هـ) - رحمه الله-:

"وتفسير القرآن بالرأي: تارة يفسره الإنسان بحسب مذهبه، كما يفعله أهل الأهواء. فيقول المراد بكذا وكذا، كذا وكذا، مما ينطبق على مذهبه، وكذلك هؤلاء المتأخرون الذين فسروا القرآن بما وصلوا إليه من الأمور العلمية، الفلكية أو الأرضية، والقرآن لا يدل عليها، فإنهم يكونون قد فسروا القرآن بآرائهم، إذا كان القرآن لا يدل عليه، لا بمقتضى النص ولا بمقتضى اللغة، فهذا هو رأيهم، ولا يجوز أن يفسر القرآن بهذا.

وكذلك أيضًا لو لم يكن عند الإنسان فهم للمعنى اللغوي، ولا للمعنى الشرعي الذي تفسر به الآية، فإنه إذا قال قولًا بلا علم، فيكون آثما، كما لو أن أحدًا من العامة فسر آية من القرآن الكريم على حسب فهمه، من غير مستند -لا لغوي ولا شرعي-، فإنه يكون حرامًا عليه ذلك؛ لأن مفسر القرآن يشهد على الله بأنه أراد كذا، وهذا أمر خطير، لأن الله حرّم علينا أن نقول عليه ما لا نعلم، كما قال ربنا: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (الأعراف: 33)، فأي إنسان يقول على الله ما لا يعلم، في معنى كلامه أو في شيء من أحكامه، فقد أخطأ خطأ عظيمًا ". ([102])

101- كالبرهان للزركشي (156/2)، والإتقان للسيوطي (1204/2)، ومناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (42/2).

102- شرح مقدمة التفسير: (ص/142)

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الثانية: ذكر جملة من أهم ما صُنِفَ فيه

من أهم ما صُنِفَ في التفسير بالرأي المذموم:

من الكتب التي أدرجها العلماء في باب التفسير بالرأي المذموم لاحتوائه على مخالفات لمذهب أهل السنة، كتب التفسير المعتمدة لدى المعتزلة، ومنها

1- تفسير أبي بكر الأصم، لعبد الرحمن بن كيسان الأصمّ (ت: 279هـ)

2- تفسير أبي علي الجبائي، لمحمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي (ت: 303 هـ) ([103])

3- تفسير الكشاف للزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري المعتزلي (ت: 538 هـ) ومنها بعض كتب التفسير

وتفاسير الفلاسفة.لمحيي الدين بن عربي كالتفسير الصوفي المنسوب

ومنها تفسيرات إخوان الصفا ([104]) وابن سينا. ([105]).

103- هو محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء عصره،، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة(235)، وتوفي في خوزستان في مدينة جُبّى، وتوفي في البصرة سنة (303هـ).

104- التعريف بإخوان الصفا: -

أ- إخوان الصفا جماعة سرية باطنية.

وقد مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية، وبالتالي فهي أولى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي ستاراً لنشر رسائلها وأفكارها، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

وقد ألفوا ما يقارب من الخمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة عمليا وعلميا، وأفردوا لها فهرسا وسموها رسائل إخوان الصفا، وهي تعتبر برنامج العمل السري الذي يستهدف القضاء على الإسلام ودولته؛ لتأسيس دولتهم التي تضم شتى العقائد الوثنية والمجوسية والإباحية.

يُنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (950/2). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1420 هـ عدد الأجزاء: 2 .

ب- وعن إخوان الصفا يقول ابن تيمية:

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتفسير الكشاف مع احتوائه على آراء مخالفة لأهل السنة فإنه لقي اهتمامًا من علماء السنة أنفسهم فعلقوا عليه وكتبوا الهوامش التي تنقد ما خالفهم فيه، وهذا مما لا شك فيه يدل على وسطية أهل السنة، ومن أشهر من تعقبوا اعتزاليات الزمخشري الإمام ناصر الدين أحمد المنير المالكي (ت: 863هـ).

التفسير الإشاري، وهو مما يلحق بقسم التفسير بالرأي كذلك

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعريفه

المسألة الثانية: شروطه وضوابطه

المسالة الثالثة: أشهر أقوال العلماء فيه

المسألة الرابعة: ذكر جملة من أهم الكتب التي اهتمت به

أما المسألة الأولى: تعريفه

هم "جماعة في دولة بني بويه ببغداد، وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة، جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين، وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير". يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (79/4)

وللاستزادة والتوسع يُنظر كذلك ما يلي:

1- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (950/2)

2- مجموع الفتاوى لابن تيمية:(79/4)

3- أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية-شوقي أبو خليل: (ص:401)

4- الفرق الباطنية التاريخ والمنهاج للدكتور محمد أمحزون: (ص:81)

5-الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (201/1)

6- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها، وحكم الإسلام فيها،للدكتور محمد أحمد الخطيب: (ص:173).

7- ملخصا عن: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: (ص:179-191)

105- يُنظر: مدخل إلى علم المكتبات، تأليف: سعود عبد الجابر وآخرون، الناشر: دار المأمون للنشر والتوزيع، ص: 67-68.

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الصابوني: (ت: 1436هـ) ([106])

106- الأستاذ محمد علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة، كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير، ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، أكثرها مختصرات ، كـ " مختصر تفسير ابن كثير " ، و " مختصر تفسير الطبري " ، و " التبيان في علوم القرآن " ، و " روائع البيان في تفسير آيات الأحكام " ، و " قبس من نور القرآن " ، و " صفوة التفاسير " ،، وهو الكتاب الذي أثار ضده ضجة كبرى تحرك من جرائها جمع كبير من كبار العلماء وغيرهم للرد عليه.

منهم سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - والشيخ الألباني - رحمه الله - والشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - والشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - والشيخ محمد جميل زينو - رحمه الله - ، وغيرهم.

وهذه الردود والتعقبات دفعت وزارة الأوقاف في المملكة العربية السعودية أن تمنع تداول الكتاب وتأمر بمصادرته، وذلك في: " تعميم وزارة الحج والأوقاف برقم 945 / 2 / ص، في 16 / 4 / 1408 هـ من المديرية العامة للأوقاف والمساجد في منطقة الرياض المتضمن مصادرة " صفوة التفاسير " وعدم توزيعه حتى يصلح ما فيه من أخطاء عقدية.

ومن هذه الردود الكثير على سبيل المثال لا الحصر رد الشيخ بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء حيث يقول - رحمه الله -:

صفوة التفاسير: "اسم فيه تغرير وتلبيس، فأنَّى له الصفاء وهو مبني على الخلط بين التبر والتبن، إذ مزج بين تفسيري ابن جرير وابن كثير السلفيين، وتفسير الزمخشري المعتزلي، والرضي الرافضي، والطبرسي الرافضي، والرازي الأشعري، والصاوي الأشعري القبوري المتعصب، وغيرهم، ولا سيما وهذا المزج على يد من لا يعرف الصنعة ولا يتقنها كهذا الذي تسوَّر هذا الصرح بلا سلَّم ، وإلا فإن أهل العلم يستفيدون من المفسرين المتميزين بما لا يخرج عن الجادة : مسلك السلف ، وضوابط التفسير، وسَنن لسان العرب " . الردود: (ص:311)

وقال - رحمه الله -:

فيفيد وصفه بالجهل أنه: يصحح الضعاف، ويضعِّف الصحاح، ويعزو أحاديث كثيرة إلى الصحيحين، أو السنن الأربعة أو غيرها وليس في الصحيحين – مثلاً – أو ليس في بعضها، ويحتج بالإسرائيليات، ويتناقض في الأحكام.

ويفيد وصفه بالإخلال بالأمانة العلمية: بتر النقول، وتقويل العالم ما لم يقله، وتحريف جمع من النصوص والأقوال، وتقريره مذهب الخلَف في كتب السلف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة".

وقيل هو:

" التفسير بالإشارة ويسمى أيضا التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي، هو نوع من تفسير القرآن الكريم ينتمي إلى نمط مُعَيَّن من الفهم، وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأوَّلِ وهلة وإنَّما تحتاج لتَدَبُّر وتأمُّل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم. ([107])

المسألة الثانية: شروطه وضوابطه

والحقيقة أن بعض هذا الألفاظ التي ذكرها الصابوني عفى الله عنه فيها من التجاوز ما هو ظاهر استعماله عند الصوفية وأهل الوجد.

ويفيد خَلْفيته في الاعتقاد: مسخه لعقيدة السلف في مواضع من تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وبأكثر في " صفوة التفاسير "، وما تحريفه لعدد من النصوص إلا ليبرر هذه الغاية. الردود: (ص:313-314)

وقد نصحه الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – قائلاً:

نوصيك بتقوى الله، والحرص التام على التقيد بمذهب السلف الصالح في جميع مؤلفاتك، ونوصيك أيضًا بالإكثار من تدبر القرآن الكريم، والسنَّة المطهرة، وكلام سلف الأمَّة، والاستفادة مما كتبه الإمام العلاَّمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلاَّمة ابن القيم، ونوصيك بمطالعة رسالتيْ " التدمرية " و " الحموية " لشيخ الإسلام ، و " الصواعق " و " اجتماع الجيوش الإسلاميَّة " لابن القيم ، وغيرها من كتب السلف. الردود: (ص:375)

107-"فتاوى بحثية -التفسير الإشاري" .بوابة دار الإفتاء المصرية.

شبكة الألوكة www.alukah.net

شروط وضوابط التفسير الإشاري:

يقول ابن القيم (ت: 751هـ)- رحمه الله -:

"وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب.

وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.

والأصل الثاني: تفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف.

والأصل الثالث: تفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية [108] وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

الشرط الأول: أن لا يناقض معنى الآية

والشرط الثاني: أن يكون معنى صحيحًا في نفسه

والشرط الثالث: أن يكون في اللفظ إشعار به

.والشرط الرابع: أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا". [109]

وقد جعل جلال الدين السيوطي (ت: 910هـ) - رحمه الله -: شروط قبول التفسير الإشاري على ما يلي: [110] [111]

1- ألّا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم والمقرر في لسان العرب.

108- ولفظة التصوف أو الصوفي معناها المعروف عند السابقين هو الزهد والتقشف والعبادة ونحو ذلك، أما المعنى عند المتأخرين فمغاير لذلك تمامًا، فالصوفي عند المتأخرين هو صاحب الشطحات والترهات والخرافات والخزعبلات والمكاشفات، وهم في ذلك بين مكثر ومقل. الباحث.

109- التبيان في أقسام القرآن: (ص: 24)، بتصرف يسير.

110- مصطفى ديب البغا ."الواضح في علوم القرآن"موقع نداء الإيمان.

111- التفسير الإشاري للقرآن الكريم، فؤاد حمدو الدقس، موقع الأهرام اليومي.(28 نوفمبر2002م).

شبكة الألوكة www.alukah.net

2- ألّا يدّعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لابد من الاعتراف بالمعني الظاهر أولًا، إذ لا يطمع في الوصول إلى الإشارة قبل إحكام العبارة، ومن ادعي فهم أسرار القرآن الكريم ولم يضع نصب عينيه التفسير الظاهر والواضح يكون كمن ادعي بلوغ صدر البيت قبل أن يجاوز بابه.

3- ألّا يكون تأويلًا بعيدًا سخيفًا، كتفسير بعضهم قوله تعالى: {وإن الله لمع المحسنين} بجعل كلمة (لمع) فعلًا ماضيًا، وكلمة (المحسنين) مفعولا به.

4- ألّا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

5- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

وبناء على ذلك فإن التفسير الإشاري مقبول بالشروط السابقة المنقولة عن العلماء.

المسالة الثالثة: أشهر أقوال العلماء فيه

أشهر أقوال العلماء في التفسير الإشاري

قال أبو عمرو ابن الصلاح(ت: 643هـ) - رحمه الله -: في فتاويه:

وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي (ت: 421هـ) المفسر([112]) حقائق في التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.

وقال - رحمه الله -أيضًا:

وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئًا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية

وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير،

ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس.

وقال نجم الدين عمر النسفي(ت: 537هـ): - رحمه الله- في عقائده:

112- أبو عبد الرحمن السلمي، هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي، السلمي الأم، أبو عبد الرحمن النيسابوري، الصوفي، صاحب التصانيف. ولد 10 جمادى الآخرة سنة 325 هـ في نيسابور.

يُنظر: مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، تقديم: مصطفى عطا، ص15، دار الكتب العلمية، ط200

شبكة الألوكة www.alukah.net

" النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد." (113)

قال مصطفى ديب البغا (ت: 1432هـ)- رحمه الله-: (114)

"هو تفسير باطل وإثم كذلك، بل يخشى الخروج عن الإسلام لمن اعتقد ذلك، معاذ الله.

ولو ألحق بالتفسير الباطني لا يُعدّ بعيدًا، وقد عرفت الحكم في ذلك التفسير.

اللهم إلا أن يكون التفسير الإشاري قائمًا على الاعتراف بمعاني ظواهر النصوص على ما تقتضيه اللغة والنصوص الشرعية الأخرى، فالمرجو ألّا يكون بأس وإثم بإذن الله، ويقرب من هذا التفسير ما قاله علماء الأصول في قوله تعالى: {وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف} [البقرة: 233] الآية نص في وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وهي تشير إلى أن الولد ينسب إلى أبيه، والله أعلم." ([115])

وندع القوس لباريها، والقافية لناظمها وتاليها، والإبل لقائدها وحاديها، والماء الظمآنُ واردها وشيخُ الإسلام ابن تيمية(ت: 728هـ) بيده الكريمة ساقيها، حيث يحسم القول في المسألة فيقول- رحمه الله-: "ومتى كان المعنى صحيحًا والدلالة ليست مرادة فقد

113- يُنظر :مناهل العرفان للزرقاني: (310/2).

114- مصطفى ديب البغا الميداني الدمشقي الشافعي السوري، وهو من أبرز فقهاء الشافعية ، وله جهود في نشر الفقه الشافعي، وله تأويلات لبعض صفات الرب جل في علاه على منهج الأشاعرة، وقد تعرض رحمه الله لذلك في تعليقاته على صحيح البخاري كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم :(4919)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا".

يُعلق فيقول:(سَاقِهِ) الله تعالى أعلم بهذا مع اعتقادنا بتنزيه الله تعالى عما يشابه المخلوقات وللعلماء المحققين تأويلات لمثل هذه المتشابهات لا تخرج عن قواعد الشريعة وأصول الدين منها ما ذكر في شرح الآية السابقة ومنها أن المراد بالساق نور عظيم يكشف عنه سبحانه يوم القيامة وغير ذلك.

ولا شك أن هذا تأويل صريح لصفة الساق الثابتة لله تعالى على الحقيقة على وجه يليق بذاته العلية كما هو معتقد أهل السنة والجماعة في صفاته جل وعلا.

115- مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن" .موقع نداء الإيمان.

شبكة الألوكة www.alukah.net

يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير من هذا قطعة" انتهى ([116])

ويقول - رحمه الله-أيضًا:

فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى: "

إشارة حالية:

وهي إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه وتنقسم إلى:

الإشارات المتعقلة بالأقوال:

مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك.

فان كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفًا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات....." انتهى ([117])

ويقول تلميذه ابن القيم: (ت: 751هـ)- رحمه الله-:

"الإشارات: هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد ، ومن وراء حجاب، وهي تارة تكون من مسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها.

فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام، وسببها : صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية-(ت: 728هـ)- قدس الله روحه - يقول: الصحيح منها : ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى.

116- يُنظر: مجموع الفتاوى:(560/10).

117- المرجع السابق: (376/6).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قلت: مثاله قوله تعالى: (لا يمسه إلا المطهرون) (الواقعة: 79)، قال [ابن تيمية] : والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة ... لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر.

لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله فهذه الصحف أولى ألا يمسها إلا طاهر....

ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب، فتوجه المصلى إليها ببدنه وقالبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن ؟ بل وجه بدنه إلى البيت ووجه قلبه إلى غير رب البيت.

وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل . والله أعلم ". ([118]) انتهى

ويقول – رحمه الله – أيضًا –:

"قال صاحب المنازل: ([119]) قال الله تعالى: (واذكر ربك إذا نسيت) (الكهف: 24) يعني: إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثم نسيت ذكرك في ذكره ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر"... كلام صاحب المنازل يحمل على الإشارة لا على التفسير ... " انتهى ([120])

يقول الحافظ ابن حجر(ت: 852هـ)– رحمه الله –:

إبان تعرضه لشرح حديث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: (إذا جاء نصر الله) (النصر: 1)

118- مدارج السالكين، لابن القيم: (406/2)

119- يعني أبا إسماعيل عبد الله الهروي صاحب كتاب منازل السائرين.

120- مدارج السالكين، لابن القيم: (431/2). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م عدد الأجزاء: 2.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وخبره المعروف والمشهور مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفي مجلسه أهل الشورى رضي الله عنهم أجمعين، وذلك لما سأله عمر عنها فأخبره أن الآية فيها إشارة لأجَل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ويوضح الحافظ - رحمه الله - الأمر فيقول:

"وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال على رضي الله تعالى عنه: أو فهمًا يؤتيه اللهُ رجلًا في القرآن". ([121]) ([122]).

المسألة الرابعة: ذكر جملة من أهم الكتب التي اهتمت به

من أهم الكتب التي اهتمت بالتفسير الإشاري ما يلي: ([123]) ([124])

1- تفسير القرآن العظيم، لسهل بن عبد الله بن يونس التستري (ت: 283هـ)

2- حقائق التفسير، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي، المتصوف صاحب كتاب طبقات الصوفية (ت: 412هـ).

3- لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ)

44- تفسير الجيلاني، لمحيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني (ت: 651هـ)

5- عرائس البيان في حقائق القرآن، لأبي محمد البقلي الشيرازي، وهو روزبهان بن أبي النصر الفسوي الشيرازي الكازروني، صدر الدين، أبو محمد البقلي (ت: 606هـ)

121- صحيح البخاري، كتاب الديات، باب العاقلة: (6507)

122- يُنظر: فتح الباري: (736/8). فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: 13.

123-فتاوى بحثية -التفسير الإشاري . بوابة دار الإفتاء المصرية. بتصرف يسير

124-عامر توفيق القضاة(2013). التفسير الإشاري عند الإمام البقاعي 885 هـ. في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (الطبعة الأولى). وزارة الثقافة الأردنية. بتصرف يسير

شبكة الألوكة www.alukah.net

6- التأويلات النجمية في التفسير الإشاري، لنجم الدين الكبرى (ت: 618هـ) ([125])

7 - تفسير القرآن الكريم، لمحي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (ت: 638هـ) ([126])

8- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، لعز الدين عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني الحنبلي (ت: 661هـ)

9- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، وهو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت: 728هـ)

125- وهو أبو الجناب نجم الدين الكبرى أحمد بن عمر بن محمّد الخوافي الخيوقي الخوارزمي، الملقب "بالطامة الكبرى" و"نجم الكبراء" و"نجم الدين الكبرى". أصله من "خِيوق" من قرى خوارزم، وقد ولد سنة 540 هـ، طاف في طلب الحديث، وسمع من أبي طاهر السلفي، وأبي العلاء الهمذاني العطار، ومحمد بن بنيمان، وعبد المنعم بن الفراوي. حدّث عنه عبد العزيز بن هلالة، وخطيب داريا شمخ، وناصر بن منصور العرضي، وسيف الدين الباخرزي تلميذه، وآخرون.

توفي مقتولاً بخوارزم على يد المغول في شهر صفر سنة 618 هـ، وقيل سنة 619 هـ، وقيل حدود سنة 610 هـ.

يُنظر: سير، الذهبي، ص118-119، ط2006م، دار الحديث، القاهرة . نسخة محفوظة 5مارس 2016م.

126- محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين" بالشيخ الأكبر" ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية

.ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام 558 هـ الموافق 1164م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني .وتوفي في دمشق عام 638هـ الموافق 1240م .ودفن في سفح جبل قاسيون. وهو أحد غلاة الصوفية، القائل بوحدة الوجود.

وللاطلاع على ضلالاته وعقيدته وأقواله الكفرية وللاستزادة من ذلك يُنظر: " عقيدة ابن عربي وحياته " لتقي الدين الفاسي (ص:15، 16)،. مجموع الفتاوى: ج:2 ص 143، منهاج السُّنَّة 22/8، لابن تيمية، مقدمة ابن خلدون، ميزان الاعتدال للذّهبي 659/3، لسان الميزان لابن حجر 311/5،مصرع التَّصوُّف ص1، موقف ابن القيِّم من الصوفيَّة ص151.

شبكة الألوكة www.alukah.net

10- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، وهو إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)

11- روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي البروسوي، هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت: 1127هـ)

12- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن عجيبة، وهو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي (ت: 1224 هـ)

13- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، وهو شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)

المطلب والتقسيم الثالث: باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته وطريقة تناوله

وهذا التقسيم يُعد من التقسيمات المعاصرة أو الحادثة:

وينقسم تفسير القرآن بحسب هذا الاتجاه إلى أنواع أربعة:

القسم الأول: التفسير التحليلي

والقسم الثاني: التفسير الإجمالي

والقسم الثالث: التفسير المقارن.

والقسم الرابع: التفسير الموضوعي

لم تكن هذه الاصطلاحات معهودة عند السلف، وإنما أطلقها بعض المعاصرين وذلك باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته، وكذلك بطبيعة منهج المفسر وطريقته في التفسير.

فهو تفسير من حيث مناهج المفسرين أو طرائق المفسرين وينقسم هذا النوع إلى عدة أربعة أقسام كما أسلفنا:

النوع الأول: التفسير التحليلي

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريفه من جهة اللغة

المسألة الثانية: تعريفه من جهة الاصطلاح

المسألة الثالثة: أهم طرقه وخطواته

المسألة الرابعة: بيان أهم مزاياه

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الخامسة: ذكر جملة من أهم المصنفات التي صُنِفَت فيه

أما المسألة الأولى والتي هي: تعريفه جهة اللغة

فـ "التحليل في اللغة مأخوذ من الحَل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد؛

قال ابن منظور : وحلّ العقدة يحلها حلا، فتحها ونقضها، فانحلت" ([127])

وأما المسألة الثانية وهي: تعريفه من جهة الاصطلاح:

فالتحليلي" نسبة إلى التحليل، والمراد تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معان و إعراب و أحكام و غيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها و هكذا..، -وهو- أي أن يعمد المفسر إلى تفسير الآيات حسب ترتيبها في السورة

ويذكر ما فيها من معاني و أقوال و إعراب و بلاغة و أحكام و غيرها مما يعتني به المفسر". ([128])

والتفسير التحليلي:

"هو الذي يتتبع فيه المفسر آيات القرآن- من أوله إلى آخره- يقف عند كل كلمة ولفظة فيفسرها و يقف عند كل آية فيحللها من جميع الوجوه: فيذكر ما يتعلق بالمعاني اللغوية و الجوانب الإعرابية و يبين معاني الجمل و التراكيب و يذكر ما ورد في أسباب النزول و إن وردت آثار و أقوال عن السلف في تفسير الآية ذكرها..

و يعتبر هذا النوع من التفسير السمة البارزة والنوع المهيمن على أغلب التفاسير إلى زماننا، فأشهر التفاسير كلها من هذا النوع، فتفسير ابن جرير و ابن كثير والمحرر الوجيز لابن عطية وجامع الأحكام للقرطبي وأحكام القرآن لابن العربي و غيرها كلها من هذا القبيل، و كل من يؤلف في التفسير فإنه غالبًا ينهج الأسلوب التحليلي". ([129])

127- الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -مصر؛ عام النشر: 1423هـ / 2002م؛ الصفحة: 278.

128- مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية ..التفسير الموضوعي وإخوانه أنموذجًا، د. مساعد الطيار، عن ملتقى أهل للتفسير، بتاريخ،1427/5/8هـ.

129- وللاستزادة يُنظر: أقسام التفسير- ناصر عبد الغفور- مقال عن- ملتقى أهل للتفسير، بتاريخ-1439/4/13هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الثالثة: أهم طرقه وخطواته

أهم طرق وخطوات التفسير التحليلي:

أولًا: تقسيم الآيات القرآنية وتجزئتها إلى وحدات موضوعيّة تحمل عناوين واضحة.

ثانيًا: الإشارة إلى المعنى الإجماليّ للسورة الكريمة. وتفسير اللغويّات وتوضيحها.

ثالثًا: التطرّق إلى الأسباب التي أدت إلى نزول الآيات القرآنيّة، والتأكّد من أصح ما جاء في هذا السياق واستبعاد الأسباب الضعيفة، والتطرق لقصص الأنبياء وما شهده التاريخ الإسلامي من أحداث ومعارك.

رابعًا: التفسير والبيان للآيات التي يتعرض لها المفسر.

خامسًا: استنباط الأحكام واستخراجها من بطون الآيات القرآنيّة الكريمة.

سادسًا: توضيح معاني الآيات بلاغيًا ونحويًا وإعرابها، والابتعاد عن التعقيد في تفسير المصطلحات. ([130])

المسألة الرابعة: بيان أهم مزاياه

أهم مزايا التفسير التحليلي:

أولًا: يعتبر علم التفسير التحليلي الأسلوب الأقدم بين أساليب التفسير، حيث بدأ التفسير في مراحله الأولى بالتدرج بتفسير السور والآيات القرآنية دون تجاوز أي منها.

ثانيًا: يغلب على تفسير الآيات الكريمة التفسير التحليلي أكثر من غيره، لذلك يعد من أهم مناهج وأساليب التفسير.

ثالثًا: يختلف التفسير في هذا الأسلوب بين الإطناب والإيجاز، لذلك بعض المفسرين اختصروا تفاسيرهم في مجلد واحد فقط ويحتوي على نصوص القرآن الكريم كاملة دون نقصان، ومنهم من صنفها في عشرات المجلدات.

رابعًا: يختلف المفسرون في أسلوبهم في التفسير وخاصة فيما يتعلق بالاتجاهات والمناهج، فبعض المفسرين يلجؤون للاعتماد على ما فسره السابقون من الأئمة، ومنهم من استعان بالمذاهب الأخرى. ([131])

130- مقال لإيمان الحياري عن التفسير التحليلي، عن موسوعة: موضوع، بتاريخ- 2016/1/19م، بتصرف يسير

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الخامسة: ذكر جملة من أهم المصنفات التي صُنِفَت فيه

أهم المصنفات في التفسير التحليلي:

ينقسم التفسير من حيث التوسع في بيان ألفاظ القرآن ومعانيه، وعدم التوسع في ذلك إلى قسمين: تحليلي، وإجمالي. ومعظم ما ذكرناه من كتب التفسير بالرأي يصح أن يكون نموذجًا للمصنفات في التفسير التحليلي. ([132])

والمصنفات في التفسير التحليلي كثيرة، وهي مختلفة في حجمها كثرة وقلة، ومن الممكن تقسيم أبرزها إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

الفئة الأولى: وهي الفئة الأكثر توسعًا، مثل:

1- جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)

2- مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ) وهو مندرج تحت التفسير بالرأي المحمود كذلك

3- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)

4- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)

5- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، وهو إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ) وهو مندرج تحت التفسير الإشاري كذلك

6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ)، وبعض أهل العلم ألحقه بالتفسير الإشاري كذلك

131- نفس المرجع السابق.

132-الموسوعة القرآنية المتخصصة: (ص: 284).

شبكة الألوكة www.alukah.net

7- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)

الفئة الثانية: فئة أقل توسعًا من جهة الحجم من سابقتها، مثل:

1- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: 510 هـ)

2- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774 هـ)

3- إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)

4- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)

الفئة الثالثة: فئة متوسطة الحجم وهي أقل من سابقتها، مثل:

1- تفسير الكشاف للزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري المعتزلي (ت: 538 هـ) ، وأيضًا هو مصنف ضمن كتب التفسير بالرأي المذموم

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710 هـ)

4- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741 هـ)

وهذه التفاسير كلها مندرجة تحت التفسير التحليلي، وهي مختلفة المشارب والمدارس والمناهج والاتجاهات والطرائق والعقائد أيضًا، وهي كذلك مختلفة كثرة وقلة، وقد يندرج بعضها تحت أكثر من قسم من أقسام التفسير، وهي كذلك قد يغلب بعضُها بعضًا في بعض الجوانب، وذلك لمسلك مؤلفها وما غلب عليه من العلم، كتفسير القرطبي

غلب عليه الجانب الفقهي، وكذلك تفسير البحر المحيط غلب عليه الجانب اللغوي وكأنك تقرأ كتاب نحو مثلًا، وكذلك تفسير الزمخشري غلب عليه الصناعة اللغوية والبلاغية خاصة والتي كان إمامًا بارزًا فيها، كما كان إمامًا في الاعتزال والذي طغى على تفسيره كذلك.

القسم الثاني: التفسير الإجمالي

وفيه خمس مسائل:

المسالة الأولى: مفهومه في اللغة

المسالة الثانية: مفهومه في الاصطلاح

المسألة الثالثة: ذكر جملة من أبرز ما صُنِف فيه

المسألة الرابعة: الكلام حول الترجمة المعنوية والتفسير الإجمالي

المسالة الخامسة: الفرق بين التفسير التحليلي والإجمالي

المسالة الأولى: مفهومه في اللغة

يقول الزركشي(ت: 794هـ) – رحمه الله –: "الْمُجْمَلُ لُغَةً: الْمُبْهَمُ، مِنْ أَجْمَلَ الأَمْرَ أَيْ أَبْهَمَ". ([133])

ويجلي معناه في المفهوم اللغوي ابن دريد كذلك فيقول (ت: 321هـ) – رحمه الله –: : "وأجملتُ الشيء إجمالاً إذا جمعته عن تفرّقه، وأكثر ما يُستعمل ذلك في الكلام الموجز، يقال: أجمل فلان الجوابَ". ([134])

المسالة الثانية: مفهومه في الاصطلاح

جاءت عبارات الباحثين في تعريفه الاصطلاحي في معان عدة متقاربة المعنى ومن ذلك:

أنه: "منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم؛ أي أنه أسلوب من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله ومركبًا من مراكبه ، إلى جانب الأساليب الأخرى المعروفة : التفسير التحليلي و التفسير الموضوعي والتفسير المقارن". (135)

133- البحر المحيط: (4: 344).

134- جمهرة اللغة: (1: 245)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الذي يعتني فيه المفسر بتفسير المعنى الإجمالي العام للآيات التي يتعرض لتفسيرها، من بيان معاني الكلمات الكريمة في الآية، أو الآيات، أو في السور التي يفسرها.

ويقوم التفسير الإجمالي على التزام تسلسل النص القرآني -سائرًا مع الآيات حسب ترتيبها في المصحف الشريف-والتعامل مع السورة كوحدات يتناولها المفسر ببيان معانيها إجمالًا مع إبراز مقاصدها ومراميها دون أن يؤدي البيان إلى الخروج عن سياق النص القرآني ([136]) مما يعني أن المفسر لا يدخل في التفاصيل الدقيقة والمباحث المتخصصة، وإنما يهتم ببيان المعنى العام باختصار.

من الآليات التي يتم توظيفها في التفسير الإجمالي والتي تمنع المفسر من الخروج عن السياق: الحفاظ على لفظ أو أكثر في العبارة التي تبين الآية أو مجموعة من الآيات بيانًا إجماليًا. ([137])

وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد الكومي- رحمه الله -: ([138])

والمفسر في التفسير الإجمالي" ينطق بعبارته التي صاغها من ألفاظه يأتي-بين الفينة والفينة-بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيدًا في تعبيره عن سياق القرآن، ولا مجانبًا لمجموع ألفاظه، وحتى يحقق التفسير من جانب آخر، ويكون رابطًا

135- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر؛ المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي؛ الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (1407هـ / 1986م)؛ 3/862

136- نفس المرجع السابق.

137-الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-مصر، عام النشر،1423هـ، 2002م، (ص:278)

138- أستاذ أساتذة التفسير العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي علم من أعلام التفسير البارزين، اسمه: أحمد السيد على الكومي ، ولد في 1912/2/25م الأحد 6 ربيع الأول 1330هـ بـ(أسمانيا) مركز " شبراخيت " بمحافظة البحيرة، وتوفي رحمه الله في:1991/4/25م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، ويكون في الموضع الذي يجانب فيه لفظ القرآن آتيا بلفظ أوضح عند السامعين، وأيسر في الفهم عند المخاطبين". ([139])

وفي نحو ذلك أيضًا يقول أحد الباحثين:

وأمَّا التفسيرُ الإجمالي: فهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالًا، مع بيانِ غريب الألفاظ والربطِ بين المعاني في الآيات، متوخيًا -في عرضها -وضعَها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه؛ ليَسْهُلَ فهمُها وتَتَّضِحَ مقاصدُها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه؛ من سبب نزول أو قصَّة أو حديثٍ، ونحو ذلك. ([140])

المسألة الثالثة: ذكر جملة من أبرز ما صُنِف فيه

أبرز المصنفات في التفسير الإجمالي

1 - المصحف المفسر، للأستاذ محمد فريد وجدي (ت: 1373هـ)

2- التفسير الوسيط -إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

3- التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة (ت: 1404هـ)، وقد خرق خرقًا لا أعلم أحدًا سبقه إليه([141])، ألا وهو ترتيب تفسيره ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا، هذا مع كونه تفسيره تفسيرًا إجماليًا وليس تفسيرًا موضوعيًا، فلم يُرتبه على ترتيب المصاحف العثمانية والتي درج عليه علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، وهي التي استقرت عليه العرضة الأخيرة، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليها إجماعًا سكوتيًا، و تلقتها الأمة بالقبول .

4- التفسير الواضح، الدكتور/ محمد محمود حجازي (ت: 1409هـ)، وهو مندرج كذلك تحت قسم التفسير الموضوعي كذلك.

139- الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر؛ عام النشر: 1423هـ / 2002م؛ الصفحة: 278، بتصرف يسير.

140-علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير، للدكتور/ وصفي عاشور علي أبو زيد .، مقال عن موقع الألوكة، بتاريخ:1438/2/5هـ

141- إلا ما كان من: عبد القادر ملا حويش الدروزي الخلوتي (ت:1398هـ) في تفسيره: "بيان المعاني".، وتبعهم على ذلك عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: (ت:1425هـ) في كتابه " معارج التفكر ودقائق التدبر".

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الرابعة: الكلام حول الترجمة المعنوية والتفسير الإجمالي

ونتناول فيه ما يلي:

أولًا: بيان مفهوم الترجمة في اللغة والاصطلاح

أ- الترجمة في المفهوم اللغوي

يقال ترجم الكلام: بينه ووضحه، و ترجم: بلغ ونقل، وترجم لفلان: ذكر سيرته وتاريخه. ([142])

ب- وترجمة القرآن الكريم في المفهوم الاصطلاحي

هي: بيانه وتوضيحه بلغة أخرى. ([143])

أو هي: التعبير عن الكلام بلغة أخرى. ([144])

ثانيًا: يجب التنبيه إلى أن:

"الترجمة المعنوية للقرآن إلى لغة أخرى " تكون" قريبة من معنى التفسير الإجمالي لأن هذه الترجمة -على عكس الترجمة الحرفية التي تترجم الآية كلمة كلمة -تعتمد على ترجمة الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها. ([145]) وترجمة الآية تمتنه عقًلا وشرعًا كما هو معلوم.

ثالثًا: بيان أنواع الترجمة

والترجمة نوعان

النوع الأول: ترجمة حرفية، وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها

والنوع الثاني: ترجمة معنوية، أو تفسيريَّة، وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: 3)

142- يُنظر: المعجم الوسيط 83/1

143- نفس المرجع السابق

144- تفسير ابن العثيمين:تفسير الفاتحة والبقرة؛: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)؛ الناشر: دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (1423هـ)، مقدمة الجزء الأول - صفحة: 36.

145- نفس المرجع السابق.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فالترجمة الحرفية: أن يترجم كلمات هذه الآية كلمة كلمة فيترجم (إنا) ثم (جعلناه) ثم (قرآنًا) ثم (عربيًا) وهكذا.([146])

رابعًا: بيان حكم ترجمة القرآن حرفيًا وإمكانيته من عدمها:

لا شك أن الترجمة الحرفية ممتنعة بل ومستحيلة عادة وكذلك ممنوعة شرعًا، وذلك لأمور كثيرة لا يسع المقام لبسطها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أن ترتيب الجمل وتراكيبها في لغة القرآن يختلف تمامًا عن ترتيبها في أي لغة أخرى، ولهذا وأمثاله تستحيل الترجمة الحرفية عادة.

وأما امتناعها شرعًا فلأسباب كثيرة من أبرزها.

أنه حين تُترجم الآية ترجمة حرفية قد يُظن أنها ترجمة على المعنى المراد الصحيح وفق مراد الله تعالى منها، وهذا لا شك في استحالته شرعًا، وذلك لأن مراد حقيقة وكمال المعنى وفق مراد الله خارج عن طاقة البشر، والتفسير إنما يقع حسب طاقة البشر.

ومن تعاريف القرآن المتفق عليها كونه معجز بلفظه، ولا شك أن اللفظ هنا هو اللفظ العربي المنزل المتحدى به والمتعبد بتلاوته، وقد قال الله تعالى عن التحدي: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، فلا يطلق على الآية أو السورة المترجمة قرآنا أبدًا بأي وجه من الوجوه، لأنها ليست من كلام الله المنزل باللفظ العربي، ولكنها من كلام البشر المخلوق، وشتان ما بين كلام الخالق جل في علاه وكلام المخلوق.

وخلاصة القول وبشيء من الإيضاح والتبيين فيما مضي يقول شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين (ت: 1421هـ) – رحمه الله –:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها وهي:

أ – وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بإزاء حروف اللغة المترجم منها

ب – وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها

146- نفس المرجع السابق.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ج- تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحققها في بعض آية، أو نحوها، ولكنها وإن أمكن تحققها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله، ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين، ولا ضرورة تدعو إليها؛ للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حسًّا في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعًا، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها، من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس.

خامسًا: بيان حكم ترجمة معاني القرآن وإمكانيته من عدمها:

أما ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسيره أو تفسير معانيه: فهي ممكنة عادة، بل ومطلوبة شرعًا وذلك لأمور، ولعل من أبرزها:

1- أن شريعة الإسلام شريعة خاتمة خالدة، وهي شريعة عالمية غير محصورة في العرب، فبعد الفتوحات الإسلامية دخل فئام عظيمة من البشر في دين الله أفواجًا، وهم من أمم مختلفة اللغات واللهجات، فاحتاجوا إلى تقريب معاني القرآن الكريم وبيان مقاصده ومراميه، وهداياته ودلالاته، ولا يتم ذلك إلا بالترجمة لمعاني كلام الله وتفسيره.

2- إذا لم يقدم المسلمون على تراجم أمينة على القرآن وعلى أحكامه وعقائده الصحيحة، قدم على ذلك الحاقدون على دين الله وعلى كتابه من أعداء الملة من سائر ملل الكفر والإلحاد وقدموا تراجم محرفة قاصدين بذلك الطعن في كتاب الله وفي دينه وفي شريعته الخالدة، وكذلك لا يؤمن جانب أصحاب العقائد الفاسدة والفرق المنحرفة عن عقيدة ومنهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، ولكن يأب الله إلا أن يتم نور ولو كره المجرمون، كما قال ربنا: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة: 32)

3- وتراجم معاني القرآن باللغات الحيَّة فيه معنى عظيم من معاني تحمل أمانة البلاغ والدعوة إلى دين الله وإبلاغ الحق للخلق، وإقام الحجة على الملل الكافرة ووضوح

المحجة لكل من أراد الله يهديه ويشرح صدره للإسلام له ويسلك به سبل السلام ويخرجه من الظلمات على النور.

4- وفي رأي الباحث القاصر يرى أن مثل هذه المهام العظيمة كبيرة الشأن عظيمة الخطب لا يقوم بها أشخاص بل لابد من قيام مجامع علمية موثوقة ومعتمدة في بلاد الإسلام المعنية بذلك، ولابد من إنشاء وتأسيس تلك الجهات في كل دولة مسلمة، وألا تخرج أي ترجمة إلى النور حتى تُعتمد من الجهات المعنية في تلك الدول كما هو المعمول به الآن في طباعة المصحف الشريف، فقبل طباعته يُعتمد من الجهات المعنية بمراجعة المصحف الشريف في عدة دول إسلامية، وهذا مما يعطي تلك الطبعات الثقة والطمأنينة لحد كبير، ولقد وقف الباحث بنفسه على أخطاء كبيرة وعظيمة في بعض المصاحف في أكثر من دولة، بل وفي عدة طبعات منها، وهي مما يؤسف له طبعات مجهولة المصدر وليس لها أي اعتمادات من أي جهة، ولكن بفضل من الله تم الوصول للناشر في بعض الدول ومواجهته وتم معالجة القضية بالوعد بعدم نشر تلك النسخ غير المعتمدة والوعد بسحبها من أماكن نشرها ولله الحمد والفضل والمنة.

ولابد أن يتوفر فيمن يقوموا بالترجمة ما يتوفر في المفسر من حسن الديانة وصحة المعتقد وسلامة المنهج، وذلك من جهات عدة، وهي على النحو التالي:

أ- من جهة ما يتم اختياره من كتب التفسير للترجمة، فلابد من تقديم التفاسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة

ب- من جهة من يقومون بالترجمة لابد أن يتوفر فيهم سلامة العقيدة، وذلك لضمان خروج الترجمة موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة كما أسلفنا

ج- ولابد أن يتحلوا بالمصداقية في اتباع الحق والتحرر من المذهبية واتباع ما صح وثبت من الدليل، وذلك لأن التفسير له تعلق وثيق بالمسائل الفقهية، فلربما كان المترجم صاحب تعصبي مذهبي فينتصر لمذهبه ولو خالف الدليل، فتأتي الترجمة محرفة وغير وافية بل مخالفة للدليل الثابت الصحيح المعتمد.

د- من جهة علمها بالتفسير وعلوم القرآن، وهذا من الأهمية بمكان

هـ - ولابد لها كذلك من العناية بالسنة المطهرة ومعرفة علم الحديث لتميز الثابت الصحيح والحسن المقبول -من الضعيف والموضوع- والذي شحنت به كثير من كتب التفسير، وكذلك لغربلة الإسرائيليات والخرافات والموضوعات التي ندر أن يخلو منها كتاب من كتب التفسير.

وقد يستغرب من سياق تلك الشروط في الترجمة ومن يقوم عليها، وقد يُقال أنه سينقل ترجمة ولا دخل له بمحتواها، لذا يجب أخذا الحيطة كاملة لعظم الأمر وما يترتب عليه، والحقيقة أن هذه الشروط ليس فيها أدنى تكلف أو تعسف بالنظر لعظم كلام الله تعالى من جهة، وعظم شأن وخطر تلك المهمة العظيمة والغالية الجليلة الجسيمة من جهة أخرى.

يقولُ مُحَمَّدَ بْنَ غَالِبٍ تَمْتَامٌ (ت: 283هـ) - رحمه الله -:

كتب إبراهيم بن أدهم (ت: 162هـ) إلى سفيان الثوري (ت: 161هـ): "من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل". ([147])

سادسًا: تنبيه هام:

إن تراجم معاني القرآن وتراجم تفسيره لا يمكن أن تسمى قرآنًا أبدًا، فإنه لا يصح التعبد بتلاوتها على أنها من القرآن أو تقوم مقامه في التلاوة في الصلاة أو في غيرها، ولابد وكذلك من الأهمية بمكان بيان أنه لا يترتب على قراءتها ما يترتب على تلاوة القرآن من الأجر والثواب الوارد في الأحاديث الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الصدد، وإنما كان هذا التنبيه بمكان خاصة لمن كان حديث عهد بكفر وقد امتن الله عليه بالهداية للإسلام.

147- شعب الإيمان للبيهقي، السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ ، حديث رقم: (1529).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسالة الخامسة: الفرق بين التفسير التحليلي والإجمالي

لقد ظهر لنا الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الإجمالي، وكان من أبرز تلك الفوارق أن:

1- التفسير التحليلي يبحث ما اشتملت عليه الألفاظ والمعاني جميعًا

2- وأنه يبين كذلك أهم الجوانب الإعرابية التي تبرز وتوضح وتجلي معاني الآيات وما اشتملت عليه

3- كما أنه يشتمل على البحث عن الإعجاز والبلاغة ويجلى المناحي البلاغية التي تبرز أوجه إعجاز القرآن وتبين عظم آياته وتزيد الآيات وضوحًا وبيانًا.

4- كما أنه يُجلي أسباب نزول الآيات ويبين ويوضح المناسبة التي من أجلها سيقت الآيات.

5- كما أنه يعتني ببيان فقه الآيات واستنباط الأحكام الفقيه منها وما تدل عليه.

وهذا كله لا يوجد في التفسير الإجمالي لأنه تفسير مختصر يشير إلى ما تدل عليه الآيات من المعنى العام باقتضاب واختصار، وقد يُشار إلى بعضه أحيانًا وباختصار شديد للغاية.

القسم الثالث : التفسير المقارن[148]

وفيه ثمان مسائل:

المسالة الأولى: مفهومه في اللغة

المسالة الثانية: مفهومه في الاصطلاح

المسالة الثالثة: ذكر أمثلة ودلائل كلمة القرين في القرآن الكريم وبيان معناها عند أئمة التفسير

148- وبحسب علمي القاصر أن التقسيمات المعاصرة إنما كانت بدايتها من قسم التفسير بكلية أصول الدين-جامعة الأزهر بالقاهرة، وأن اليد الطولي في ذلك إنما ترجع للعلامة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي رئيس قسم التفسير آنذاك وقت دراستنا في نفس القسم بنفس الكلية، وللاستزادة يُنظر: التفسير الموضوعي لفضيلته رحمه الله تعالى: (ص: 17).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الرابعة: ذكر أمثلة ودلائل كلمة القرين في السنة المطهرة وبيان معناها عند أئمة الحديث

المسألة الخامسة: بيان أبرز خصائص منهج التفسير المقارن

المسألة السادسة: بيان أوجه الترابط بين التفسير المقارن والتفسير التحليلي

المسألة السابعة: بيان أنواع التفسير المقارن

المسألة الثامنة: ذكر خلاصة القول في عقد المقارنة بين تفسيرين أو أكثر

المسالة الأولى: مفهومه في اللغة

القرين من القرينة، والقرينة جمعها قرائن، قارن الشيء يقارنه مقارنة وقرانا: اقترن به وصاحبه، وقارنته قرانا: صاحبته، وقرينة الرجل: امرأته، وسميت الزوجة قرينة لمقارنة الرجل إياها. وقرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به. والقرين المصاحب، والشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه، وفي الحديث: "ما من أحد إلا وكّل به قرينه"([149]) أي مصاحبه من الملائكة والشياَطين([150]).

يُقال: "وفلان قَرين فلان، إذا كان لا يفارقه، والجمع قُرَناء. وتقارن القومُ مقارنةً وقِرانًا"([151])

والأقران جمع قرين وهو في اصطلاح المحدثين: الرواة المتقاربون في السن، والإسناد. ([152])

المسالة الثانية: مفهومه في الاصطلاح

التفسير المقارن منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم؛ أي أنه أسلوب من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله و مركبًا من مراكبه، إلى جانب الأساليب الأخرى المتعارف

149- الحديث رواه مسلم، يُنظر شرح مسلم للنووي 17/ 156 وتمامه "قالوا: يا رسول الله وإياك؟ قال: وإيايّ إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير."

150- لسان العرب (حرف النون فصل القاف) ، تاج العروس (فصل القاف في باب النون) ، الصحاح (مادة قرن).

151- جمهرة اللغة - (ج 1 / ص 440).

152-علوم الحديث، ص309، والتقارب في الإسناد أن يكونوا قد أخذوا عن شيوخ من طبقة واحدة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها عند علماء التفسير، التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي و التفسير الإجمالي .([153])

والتفسير المقارن هو بيان الآيات القرآنية من خلال إيراد ما ذهب إليه المفسرون في النص المتناول، آية أو وحدة من الآيات المترابطة فيما بينها، ثم إعمال الموازنة بين آرائهم واستعراض استدلالاتهم للنظر فيها و بناء عليه ينتقد ويرد المفسر القول المرجوح مبينًا تعليله بإيراد الأدلة عليه ثم الاستدلال للراجح بعد بيانه([154])وذلك لأن أقوال المفسرين قد تتباين فيما يذهبون إليه من تحليل النص القرآني إضافة إلى كون الآيات القرآنية حمالة للوجوه المتعددة فلا بد للمفسر الذي يكتب في موضوع ما، ووجد هذه الأقوال في تفسير آية تتعلق بموضوعه، لا بد من وقفة متأنية دقيقة مع إطلاق نظرات ثاقبة للترجيح بين هذه الأقوال ومعرفة المصيب منها وغير المصيب، الراجح والمرجوح، في حالة وقوع التباين، وليختار القول المناسب لموضوعه من هذه الأقوال بغية توضيح عناصر الموضوع والربط بين الأساليب القرآنية في أداء المعنى، وبالتالي للوصول إلى الهدايات القرآنية المتعلقة بموضوع مجال البحث([155]).

المسالة الثالثة: ذكر أمثلة ودلائل كلمة القرين في القرآن الكريم وبيان معناها عند أئمة التفسير

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء: 38)

يقول ابن عطية الأندلسي(ت: 542هـ) – رحمه الله–:

153- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر؛ المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي؛ الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (1407هـ / 1986م)؛ 3/862

154- مجلة البيان؛ الصادرة عن المنتدى الإسلامي؛ العدد: 64، الصفحة: 7

155- مباحث في التفسير الموضوعي؛ المؤلف: د. مصطفى مسلم؛ الناشر: دار القلم؛ الطبعة الرابعة (1426هـ / 2005م) ؛ الصفحة: 54. مباحث في التفسير الموضوعي"، تأليف: الدكتور/ مصطفى مُسْلِم محمد: (ت: 1442هـ) الناشر: دار القلم الطبعة: الرابعة 1426هـ - 2005م عدد الأجزاء:1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"و « القرين »: فعيل بمعنى فاعل، من المقارنة وهي الملازمة والاصطحاب، وهي هاهنا مقارنة مع خلطة وتواد، والإنسان كله يقارنه الشيطان ، لكن الموفق عاص له، ومنه قيل لما يلزمان الإبل والبقر قرينان، وقيل للحبل الذي يشدان به: قرن، قال الشاعر

كَمُدْخِلِ رأَسَهُ لَمْ يُدْنِهِ أَحَدٌ ... بَيْنَ القَرِينَيْنِ حَتّى لزَّهُ الْقَرَنُ."([156])

والمثال الثاني: قوله تعالى: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ (الزخرف: 53)

قرن وقرن من "الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني. قال تعالى: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ (الزخرف: 53)

قال: قرنت البعير بالبعير: جمعت بينهما، ويسمى الحبل الذي يشد به قرنا،]ص: 38 [وقرنته على التكثير قال تعالى: ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾

وفلان قرن فلان في الولادة، وقرينه وقرنه في الجلادة

قال الأصمعي(ت: 216هـ) – رحمه الله-:

هو قَرنه في السن، بالفتح، وهو قِرنه، بالكسر، إذا كان مثله في الشجاعة والشدة.

اللسان (قرن)، وفي القوة، وفي غيرها من الأحوال". ([157])

والمثال الثالث: قوله تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) (الصافات: 51)

يقول سعيد بن جبير(ت: 95هـ) – رحمه الله-: قرينه: شريكه ([158])

ويقول الشوكاني (ت: 1255هـ) – رحمه الله-:

(إني كان لي قرين) أي : صاحب ملازم لي في الدنيا كافر بالبعث منكر له. ([159])

156- المحرر الوجيز: (53/2). تفسير ابن عطية،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ.

157- تحليل كلمة الْقَرِينُ من سورة الزخرف آية 38،، من قاموس المعاني.

158- تفسير القرطبي: (75/15). تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول الطاهر بن عاشور(ت: 1393هـ) – رحمه الله–:

والقرين: المصاحب الملازم، شبهت الملازمة الغالبة بالقرن بين شيئين بحيث لا ينفصلان([160])

والمثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾(فصلت: 25)

يقول البغوي(ت: 510هـ) – رحمه الله–:

(قرناء) نظراء من الشياطين حتى أضلوهم. ([161])

ويقول القاسمي(ت: 1332هـ) – رحمه الله–:

(وقيضنا لهم قرناء)أي: بعثنا لهم نظراء من الشياطين اقترنوا بهم. ([162])

والمثال الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: 36)

وقد مر معنا معنى القرين كذلك في آيات الصافات وبينا معناها في ضوء كلام بعض أئمة التفسير رحمهم الله تعالى أجمعين.

المسألة الرابعة: ذكر أمثلة ودلائل كلمة القرين في السنة المطهرة وبيان معناها عند أئمة الحديث

159- فتح القدير: (1241/1).

160- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور: (116/24). تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: 1984 هـ عدد الأجزاء : 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

161- معالم التنزيل للبغوي: (171/1).

162- تفسير القاسمي: (5200/14).محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المثال الأول: ما ثبت في الصحيحين من حديث ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرُنَ الرَّجُلُ بَيْنَ التَّمْرَتَيْنِ جَمِيعًا، حَتَّى يَسْتَأْذِنَ أَصْحَابَهُ".([163])

وعند أحمد في المسند بلفظ : (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ مَعَ صَاحِبِهِ فَلَا يَقْرِنَنَّ حَتَّى يَسْتَأْمِرَهُ) ([164]) (فَلَا يَقْرِنَنَّ) يَعْنِي بين التَّمْرَ، (حَتَّى يَسْتَأْمِرَهُ) أي حَتَّى يستأذنه.

وهو في صحيح ابن حبان بلفظ: (من أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ تَمْرٍ، فَلَا يَقْرِنْ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ ، فَلْيَسْتَأْذِنْهُمْ ، فَإِنْ أَذِنُوا له فليفعل). ([165]) ولفظة (يَسْتَأْمِرَهُ) عند أحمد، فسرتها لفظة(فَلْيَسْتَأْذِنْهُمْ) هنا عند ابن حبان.

ويتأكد النهي إذا كان الطعام فيه قلة والحاجة إليه شديدة ، وقد بوب ابن حبان رحمه الله للحديث بقوله : " ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنِ الْقِرَانِ فِي الْأَكْلِ إِذَا كَانَ الْمَأْكُولُ فِيهِ قِلَّةٌ وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ شَدِيدَةٌ " انتهى

واختلف العلماء في ذكر الاستئذان في الحديث ، فقيل هو مدرج من قول ابن عمر ، وقيل هو مرفوع بأصله، والراجح أنه صحيح مرفوعًا وموقوفًا.

قال الحافظ في الفتح (ت: 852هـ) - رحمه الله-:

"اَلَّذِي تَرَجَّحَ عِنْدِي أَنْ لَا إِدْرَاج فِيهِ . وَقَدْ اِعْتَمَدَ الْبُخَارِيّ هَذِهِ الزِّيَادَة وَتَرْجَمَ عَلَيْهَا فِي كِتَاب الْمَظَالِم وَفِي الشَّرِكَة، وَلَا يَلْزَم مِنْ كَوْن اِبْن عُمَر ذَكَرَ الْإِذْن مَرَّة غَيْر مَرْفُوع أَنْ لَا يَكُون مُسْتَنَده فِيهِ الرَّفْع " ([166]) ([167])

163- رواه البخاري (2489) ومسلم (2045).

164- رواه أحمد (6149) بسند صحيح.الراوي : عبد الله بن عمر، المحدث : أحمد شاكر، المصدر : تخريج المسند لشاكر، الصفحة أو الرقم: (9/13)، خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح ، التخريج : أخرجه أحمد (6149)

165- رواه ابن حبان في صحيحه (5232). الراوي : زيد بن أبي أنيسة ، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن حجر، الصفحة أو الرقم: (9/483)، خلاصة حكم المحدث: أظهر في الرفع مع احتمال الإدراج.

166- صحيح البخاري" كتاب الأطعمة" باب القران في التمر: (513) (ص: 482).

167- وللاستزادة يُنظر: موقع الإسلام سؤال وجواب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المثال الثاني: ما ثبت عند مسلم من أن عَمْرو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: قَرَأْتُ المُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ المُفَصَّلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ» ([168])

وحذا تصريح من أفصح العرب بل وأفصح الخلق قاطبة صلى الله عليه وسلم فإن عبارة " يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ " وردت في الحديث هنا بمعنى الجمع بين السورتين المتناظرتين، ومن هنا يُتأكد تمامًا معنى التفسير المقارن.

هذا ولله الحمد والمنة، ونسأله الوفاة على الكتاب والسنة

المسألة الخامسة: بيان أبرز خصائص منهج التفسير المقارن

إنـ "المنهج المقارن في التفسير هو الذي يعنى فيه المفسر بإبراز أكثر من رؤية تفسيريه واحدة للآية أو الآيات التنزيلية.

فيستحضر ما كتبه مفسران أو أكثر في تفسير النص في موضع واحد ، ويتعرف على خصائص المعالجة التفسيرية لذلك النص في كل من التفسيرين أو التفاسير التي هي موضع المقارنة.

ثم يبرز المقارن بالنظرة التحليلية النقدية الفاحصة ما هنالك من تمايز أو اتفاق أو اختلاف.

ويجسد أوجه التفوق والقصور والتأثير والتأثر.....

168- أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ رقم 822 (رجل) هو نهيك بن سنان البجلي. (المفصل) أي كله. (هذا) سردا وإفراطًا في السرعة وكانت هذه عادتهم في إنشاد الشعر. (النظائر) السور المتماثلة في المعاني أو المتقاربة في الطول أو القصر. (يقرن) يجمع. (سورتين في كل ركعة) مثل الرحمن والنجم اقتربت والحاقة الذاريات والطور الواقعة ونون سأل والنازعات المطففين وعبس المدثر والمزمل الدهر والقيامة عم والمرسلات التكوير والدخان. روى هذا أبو داود في سننه [كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتبلغ المقارنة مداها باكتمال أداة المفسر المقارن وحيدته وموضوعيته العلمية".([169]) من قصد السبيل.

المسألة السادسة: بيان أوجه الترابط بين التفسير المقارن والتفسير التحليلي

ونؤكد على أن طريقة التفسير المقارن أكثر من يتبعها من يشتغل بالتفسير التحليلي، فتجده بعد أن يستعرض الأقوال الواردة في الآية الواحدة يقارن بينها ثم يرجح ما يراه مناسبًا ويتوصل إلى علمه ما يراه راجحًا، والمقارنة بين الآيات بعضها بعضًا ويحتاج لطول صبر، وغزارة علم وسعة اطلاع، وحسن باع بالتفسير وعلومه، بل ولسائر العلوم كذلك، وممن برز في ذلك الطبري في تفسيره والذي حوى ألوان أخر من ألوان التفسير، وتفسير الألوسي وحاشية الخفاجي وحاشية زاده على البيضاوي، وغيرهم ممن يذكر أقوال المفسرين في الآية الواحدة أو عدة آيات مترابطة فيستعرضها جميعًا ويوازن بين أقوال المفسرين ويعرض استدلالاتهم ويتأمل في أدلتهم وما ذهبوا إليه ويرجح بعضها على بعض.

وبصورة أخرى

هو عبارة عن بيان الآيات القرآنية علي وجه المقارنة بما كتبه جمع من المفسرين، وكيفيته أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد، أو في موضع واحد، ويستطلع آراء المفسرين سواء أكانت من السلف أو الخلف، وسواء أكان تفسيرا بالمأثور أو بالمعقول، ويوازن بين الاتجاهات المختلفة، والمشارب المتنوعة فيما سلكه كل منهم في تفسيره. .. فيري من كان منهم متأثرا بالخلاف المذهبي، ومن كان منهم قاصدًا تأييد فرقة من الفرق. ...

المسألة السابعة: بيان أنواع التفسير المقارن

التفسير المقارن له أنواع لعل من أهمها:

169- أ.د عبد الفتاح محمد خضر، نقلًا عن أستاذه الأستاذ الدكتور/ جوده المهدي، أستاذ التفسير وعميد كلية القرآن بطنطا ونائب رئيس جامعة الأزهر للوجه البحري " سابقا "، ويُنظر: قصد السبيل، نقلًا عن ملتقى أهل التفسير، بتاريخ-1330/11/3هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

النوع الأول: المقارنة بين النصوص القرآنية في موضوع واحد وما جاء في السنة النبوية مما ظاهرها معارضة هذه النصوص.

النوع الثاني: المقارنة بين الآيات المتشابهة في القرآن.

النوع الثالث: المقارنة بين النصوص القرآنية ذات القصة الواحدة، أو الموضوع الواحد.

النوع الرابع: المقارنة بين أقوال المفسرين ومناهجهم في الآية الواحدة

النوع الخامس: المقارنة بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى في موضوع ذُكِرَ في جميعها.([170])

المسألة الثامنة: ذكر خلاصة القول في عقد المقارنة بين تفسيرين أو أكثر

وأنه يجب عقد المقارنة بين أمور من أبينها:

1- تناولها للتفسير بالمأثور بأنواعه وطريقة كل مفسر في تناوله لها

2- أسباب النزول وكيف يتناولها كل مفسر ولاسيما في إثبات ما يدعيه من ذكر سبب النزول.

3- ذكر ما ورد فيها من قراءات وطريقة كل مفسر في تناوله لها وعزو كل قراءة لمن قرأ بها من الأئمة، وطريقة تناوله لتوجيه القراءة، والتي عز ذكرها عند بعض أئمة التفسير.

4- الناسخ والمنسوخ وطريقة تناول كل مفسر له، ولاسيما في بيان دعوى النسخ، وذلك لأن ادعاء النسخ قد يقول به أقوام دون إثبات أو تحقق من دعواهم للنسخ.

5- الإسرائيليات وطريقة كل مفسر في تناولها والتعامل معها والحكم عليها.

6- طريقة تنولها لأنواع التفسير الأخرى كالتفسير بالرأي محمودًا كان أم مذمومًا، وكذلك التفسير الإشاري.

7- علم المناسبات وطريقة تناول كل مفسر له من بيان أوجه المناسبات في السورة بينها وبين سابقتها ولاحقتها، وبين آيتها بعضها البعض، وبين مطلعها وخاتمتها وغير ذلك من أنواع المناسبات، والمقارنة بينها من جهة ما يصح ذكره من تلك المناسبات، وبين مالا يصح منها مما فيه تعسف وتكلف وتحميل النص مالا يتحمله ونحو ذلك، وسيأتي بإذن

170- مناهج المفسرين وأهداف تدريس التفسير: عن الموقع التربوي للدكتور/ وجيه المرسى أبو لبن، بتاريخ:2011/5/28م

شبكة الألوكة www.alukah.net

الله تعالى مبحثٌ تأصيلي تفصيلي متكامل عن علم المناسبات إبان الكلام عن مبحث "بين يدي السور"، ففيه بيان شاف كاف لعلم المناسبات لمن أراد أخذ تصور شامل عن هذا العلم العزيز.

8- التعرض للمسائل الحديثية وطريقة تناولها والحكم عليها وذكر عللها وبيان صحيحها من سقيمها وضعيفها.

9- التعرض للمسائل الفقهية وبيان أقوال الفقهاء وترجيحاتهم واستدلالاتهم وطريقة كل مفسر في تناولها والحكم عليها.

10- التعرض للمسائل العقدية وطريقة كل مفسر في تناولها، مع عقد المقارنة بينهم في الجانب العقدي، ولا سيما في بيان معتقد أهل السنة والجماعة والانتصار له.

11- عقد المقارنة في طريقة تناولهم للمسائل اللغوية بجميع دروبها إعرابًا وتصريفًا وبلاغة-بيانًا وبديعًا ومعاني-.

ومما لا شك فيه أن عمل المفسر في التفسير المقارن لا يتوقف عند المقارنة بين تفسيرين أو أكثر فحسب، بل لابد من النظر والتأمل في أقوال المفسرين ومذاهبهم ومناقشة أدلتهم وما ذهبوا إليه، مع وجوب التأمل كذلك في أوجه استدلالهم، وذلك لأن من لا يعرف وجه الاستدلال فأنى له أن يفقه الدليل. فيعقد الموازنة بين ذلك كله ويبين ما يراه راجحًا أو مرجوحًا، ثم يدلل على ما ذهب إليه ورجحه لتكون حجته دامغة وليتحقق الهدف من التفسير المقارن الذي تناوله المفسر وليجني منه الثمار اليانعة والقطوف الدانية، ويكون بذلك قد أضاف شيئًا جديدًا لعمله اسمه " التفسير المقارن" بين تفسيرين أو أكثر..

وممن نهج هذا النهج في تفسيره الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فهو كثيرًا ما يذكر أقوال المفسرين ويرجح بعضها على بعض، كما مر معنا آنفًا.

ولعل في هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث

القسم الرابع: منهج التفسير الموضوعي:

وفيه مباحث

تمهيد:

ومنهج التفسير الموضوعي: هو القسم الرابع من أقسام التفسير باعتبار طبيعته وطبيعة اتجاهاته، وكذلك بطبيعة منهج المفسر وطريقته في التفسير.

وقد سبق في الفصل السابق لهذا الفصل ألا وهو الفصل الثاني بيان تلك الأقسام والتعريف بها تعريفًا كافيًا مؤديًا للغرض، وتم التعرض لتلك الأقسام بشيء من الإيضاح دون تطويل ممل ولا تقصير مخل، وقد أفرد الباحث منهج التفسير الموضوعي في فصل مستقل، وتعرض له بشيء من البيان والإيضاح الوافي الكافي، وذلك لأن مبحث التفسير الموضوعي هو المبحث الرئيس والمقصود من هذه الرسالة، وأما ما سبق بيانه في الفصلين الماضيين فكان بمثابة التمهيد لهذا المبحث الرئيس، فكان الفصل الأول متضمنًا للتعريف بالتفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما، كما تضمن الفصل الثاني بيان مناهج التفسير والمفسرين واتجاهات التفسير وطرق تناولها، وأما الفصل الثالث والأخير فقد أفرد فيه الباحثُ البحثَ عن التفسير الموضوعي ولوازمه ومتعلقاته وتعرض لمهماته بالإيضاح والتبيين بأسلوب قريب المأخذ وسهل المنال بعبارة جزلة وألفاظ سهلة بعيدة عن التعقيد والغموض وغريب الألفاظ، وذلك ليَبِين فهمُهُ للباحثين ويقترب بيانُهُ للدارسين، والحمد لله رب العالمين.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول: بيان منهج التفسير الموضعي وتحليل ألفاظه وبيان مفهومها في اللغة والاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم لفظة" منهج" في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: بيان مفهوم لفظة" الموضوعي" في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف التفسير الموضوعي:

وأما جملة "منهج التفسير الموضعي" فمكونة من كلمات ثلاث:

1- منهج

2- التفسير

3- الموضوعي

أما التفسير: فقد سبق بيان مفهومه في اللغة والاصطلاح بشيء من التفصيل والإيضاح، وقد أفرد الباحثُ الفصلَ الأول للتعريف بالتفسير تعريفًا وافيًا شافيًا كافيًا.

المطلب الأول: بيان مفهوم لفظة "منهج" في اللغة والاصطلاح

أ- المنهج ومفهومه في اللغة

وأما مفهوم المنهج لغة فهو من: نَهَجَ: مثل "فلس" وهو الطريق الواضح و(المَنْهَجُ) و(المِنْهَاجُ) مثله و(نَهَجَ) الطريق (يَنْهَجُ) بفتحتين (نُهُوجًا) وضح واستبان

و(أَنْهَجَ) بالألف مثله و(نَهَجْتُهُ) و(أَنْهَجْتُهُ) أوضحتُه يستعملان لازمين ومتعديين: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج. وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجًا واضحًا بينًا.

قال يزيد بن الخذَّاق العبدى([171]): ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المسالك (172) والهدى تعدى أي تعين وتقوى. ونهجت الطريق، إذا أبنتُه وأوضحتُه. يقال:

171-يزيد بن خذاق الشني العبديّ، من بني عبد القيس: شاعر جاهلي. كان معاصرا لعمرو بن هند. من شعره أبيات أولها: " هل للفتى من بنات الدهر من واق ... أم هل له من حِمام الموت من راق؟ " قال أبو عَمْرو بن العلاء: هي أول شعر قيل في ذم الدنيا. يُنظر: الأعلام للزركلي، سمط اللآلي 713 والشعر والشعراء 345 - 347 والتاج 6: 327.

172- يُنظر: الصحاح للجوهري: (346/1)..

شبكة الألوكة www.alukah.net

اعمل على ما نهجتُه لك. ونهجتُ الطريق أيضًا، إذا سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلك ([173])

ب- المنهج ومفهومه في الاصطلاح

أما تعريف المنهج في الاصطلاح التفسيري فقد تنوعت وتعددت تعاريفه وطرق تناولها عند الباحثين، و كلمة المنهج تجمع على مناهج.

ومناهج المفسِّرين كما يعرفها الدكتور مصطفى مسلم:

هي الأساليب التي يتّبعها المفسِّرون لبيان مراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم حسب الطاقة البشرِيّة. ([174])

والمنهج التفسيريّ كما يعرفه الدكتور فهد الرومي:

هو السبيل التي تؤدّي إلى الهدف الذي يتّجه إليه المفسِّرون في تفاسيرهم". ([175])

و" قد يُعبَّر عن المنهج التفسيرِيّ بالطريقة الموضوعِيّة التي عالج بها المفسِّر قضايا التفسير المختلِفة، مع إبراز رأيه، وتحديد موقفه، حيال هذه القضايا، بكلِّ ما يمكن من الوضوح". ([176])

وعند الدكتور محمد بكر إسماعيل (ت: 1426هـ) - رحمه الله -:

هو المسلك الذي يتّبعه المفسِّر في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيهما من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالاتٍ، وأحكامٍ، ومعطَياتٍ،

173- صحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين -بيروت. الطبعة: الرابعة 1407 ه -1987 م. 346/1.

174- مناهج المفسِّرين: (القسم الأوّل: التفسير في عصر الصحابة)، تأليف: د. مصطفى مسلم، (ص:15)،دار المسلم، الرياض، ط1، 1415هـ.

175- فهد الرومي، اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: (22/1) ، ط1، 1407هـ - 1986م.

176- المفسِّرون، حياتهم ومنهجهم: (ص: 33)

شبكة الألوكة www.alukah.net

دينيّةٍ وأدبيّةٍ وغيرِها، تَبعاً لاتّجاه المفسِّر الفكريّ والمنهجيّ، ووِفْق ثقافته وشخصيّته. ([177])

وكذلك يمكن أن يُقال هو:

الوسيلةُ المحقِّقة لغاية الاتّجاه التفسيريّ، والوعاءُ الذي يحتوي أفكار هذا الاتّجاه التفسيريّ أو ذاك. ([178])

وممكن أن يُقال كذلك هو:

الطريقة التي يسلكها مفسِّر كتاب الله تعالى، وِفْق خطواتٍ منظَّمةٍ، يسيرُ عليها لأجل الوصول إلى تفسير الكتاب العزيز، طِبْقاً لمجموعةٍ من الأفكار، يُعنى بتطبيقها، وإبرازها، من خلال تفسيره، وبعبارةٍ أخرى: هو عبارة عن خطواتٍ يتبعها المفسِّر للوصول إلى غاياته وأهدافه. ([179])

المطلب الثاني: بيان مفهوم لفظة" الموضوعي" في اللغة والاصطلاح

أ- الموضوعي ومفهومه في اللغة

الموضوعي نسبةٌ إلى الموضوع، والموضوع لغةً مأخوذ:

من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح ([180])، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده. ([181])

---

177 - محمد بكر إسماعيل، ابن جرير الطَّبَري ومنهجه في التفسير: 31، دار المنار، القاهرة، ط1، 1411هـ ـ 1991م.

178- محمد إبراهيم شريف، اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين: 68، دار التراث، القاهرة، ط1، 1402هـ ـ 1982م.

179 -هدى أبو طبره، المنهج الأَثَري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره وتطبيقاته: 23 ـ 24، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1414هـ ـ 1994م.

180- المعجم الوسيط: باب الواو مع الضاد والعين. 2/ 1039و1040.

181- مباحث في التفسير الموضوعي: 15. د. مصطفى مسلم - الطبعة السادسة 2009م -دار القلم -دمشق – سوريا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ):

والموضوعُ مشتقٌ من الوضع، وأصله من "وَضَعَ" الواو والضاد والعين: أصلٌ واحدٌ يدل على الخفض للشيء وحطه، وهو أعمُّ من الحطِ، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، ومنه المَوْضِعُ، قال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ). (النساء: 46)، و(المائدة: 13)، ويقال: وضَعتِ الحمل فهو موضوع، قال تعالى: (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ). (الغاشية: 14)، وقال: (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ) (الرحمن : 10)، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق ، ووضعت المرأة الحَمْلَ وضعًا، قال تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)(آل عمران – الآية 36) .(182)

ويوضح ابن منظور (ت: 711هـ) معنى الوضع فيقول:

الوَضْعُ ضِدُّ الرَّفْع ، وضَعَهُ يَضَعَهُ وَضْعاً ومَوْضوعاً ، والمواضع : معروفة ، واحدها مَوْضِعٌ (183) .

ويوضح السمين الحلبي (ت: 756هـ) ويبين بعض المعاني الواردة في مادة "وضع" فيقول:

أحططنا وأسقطنا، قال تعالى: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) (الشرح: 2)، قال بعضهم: والوَضْعُ أعمُّ من الحَطِّ، ومنها الموضِعُ، ومنها الإيجادُ، ومنها البناءُ والاتخاذُ، قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاس) (آل عمران: 96) أي بُني واتُّخِذَ، ومنها إبرازُ أعمال الخلائق، قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَاب) (الكهف: 49، الزمر: 69) ومنها الحطُ، قال تعالى : (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُم)(الأعراف : 157) أي يحط عنهم أثقال التكليف (184) .

182- يُنظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني-ص 525 .

183- لسان العرب لابن منظور– ح 5 ص 4857 .

184- يُنظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم" - لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي – تحقيق- د. محمد التونجي – عالم الكتب – بيروت – ط 1 – 1414هـ-1993م –(4 / 367).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وبالنظر في التعاريف السابقة ندرك أن مادة "وَضَعَ" استُعملت بعدة معانٍ منها القريب ومنها البعيد ، ولكن بالنظر إلى الاستعمال القرآني لها نجدُ المعاني الممدوحة كالأكواب الموضوعة في الجنة ، والأرض الموضوعة لنفع الأنام ، ووضع مريم بولادتها لعيسى عليه السلام ، ووضع الوزر أي حطه وإسقاطه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع الكعبة بيت الله الحرام بمعنى بناؤه واتخاذه إلى غيرها من المعاني القرآنية التي يغلبُ عليها الخيرُ والمدحُ". (185)

وبعد بيان معاني مادة: "وَضَعَ" واستعمالاتها في القرآن الكريم لابد من بيان وإيضاح علاقتها بالتفسير الموضوعي.

فما هي علاقة مادة: "وَضَعَ"بعلم التفسير الموضوعي؟

يجيب عن هذا التساؤل الدكتور عبد الستار فتح الله فيقول:

"الموضوع عند علماء التفسير: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة". (186)

ويقول- حفظه الله – أيضًا –:

"وقد رجعتُ إلى القرآن الكريم فوجدتُ من معانيها: إيجابُ الشيء وإثباته في المكان، مثل (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) (الأنبياء: 47)، فيكون وصف التفسير "بالموضوعي" ملحوظًا فيه هذا المعنى؛لأن المفسر يثبت كل آية في موضعها من المعنى الكلي للقضية التي يبحثها.

وبالتدقيق في كتب اللغة وجدت إشارةً إلى تصحيح إطلاق "الموضوع" على القضية الواحدة... ، يقال ناقة واضعة: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، فهي واضعة، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، ومنه المَوْضِعُ، وكذلك موضوعة. (187)

185- يُنظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي- د . عبد السلام حمدان اللوح0الجامعة الإسلامية – غزة

186- المدخل إلى التفسير الموضوعي صـ20

187- المدخل إلى التفسير الموضوعي صـ19-21 ولسان العرب ومعجم مقاييس اللغة

شبكة الألوكة www.alukah.net

فعلى هذا يكون "الموضوع" هنا بمعنى الشيء الذي له صفةٌ معينة، وأُلزِمَ مكانًا معينًا، لا يبرحُهُ إلى غيره وهذا المعنى ملحوظٌ تمامًا في تقييد التفسير "بالموضوعي" لأنه يُلزِمُ المفسر الارتباط بمعنى معين وصفة معينة، لا يتعداها إلى غيرها حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به. (188)

ب- الموضوعي ومفهومه في الاصطلاح

يقول أبو البقاء الكفوي(ت: 1094هـ):

"الموضوعُ هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أغراضه الذاتية"(189) .

وقيل: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر". (190)

وقيل: هو" الكشف الكلي عن مراد الله عز وجل في قضية قرآنية حسب الطاقة البشرية". (191)

وقيل هو: " علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع". (192)

وبمفهوم أكثر توسعًا:

يُعدّ إفراد هذا التفسير كنوعٍ مُستقلّ من عُلوم التفسير مُحدَثٌ ولكن لهُ شواهد قديمة وبواعث سابقة، ولكنّهُ ظهرَ مؤخّرًا، ويُرادُ بهِ تفسيرُ القُرآن الكريم من خلال مواضيعه العديدة التي تناولتها الآيات الكريمة، ولتوضيح هذا النوع من التفسير فهوَ يكون كالحديث عن موضوعٍ مُعيّن من خلال ذكر الآياتِ الكريمة التي تناولت هذا الموضوع أو هذهِ القضيّة، ولو كانت آيات في سور مُتفرّقات، ولو كانت بألفاظ عديدة وفي موضع قصصٍ قُرآنيةٍ أُخرى، أي يكون التفسير بطريقة تجمعُ فيها كُلّ ما يدور حول هذا

188- المدخل إلى التفسير الموضوعي صـ21-23

189- الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" لأبي البقاء الكفوي – ص 868 .

190- مباحث في التفسير الموضوعي: 15. د مصطفى مسلم -الطبعة السادسة 2009م -دار القلم -دمشق -سوريا.

191- منهج التفسير الموضوعي في القرآن صـ45

192- المدخل إلى التفسير الموضوعي صـ 20

شبكة الألوكة www.alukah.net

الموضوع كالأدلّة عليه، ويكون من خلال تفسير القُرآن بالقُرآن أي أنّك رُبّما تشرحُ آيةً وتفسّرها من خلال آيةٍ أخرى حولَ الموضوع نفسه أو من خلال الأشباه والنظائر لمُفردات القُرآن الكريم، أو النظر في آيات الأحكام الواردة في سياق الموضوع، ومن الأمثلة على التفسير الموضوعيّ أن تتحدّث عن الإيمان في القُرآن، فيكون في هذا تفسير لهذا الموضوع، أو عن موضوع الربا في القُرآن وبيان خُطورته على الأفراد والجماعات، فهذهِ أمثلة على تفسير القُرآن من خلال موضوع أو قضيّةٍ ما وهو ما يُعرف بالتفسير الموضوعيّ. ([193])

المطلب الثالث: تعريف التفسير الموضوعي:

علم التفسير الموضوعي وإن كان في مضمونه وفحواه قد كتب فيه الأولون وسطروا، إلا أنه بهذا المسمى الجديد يُعد من العلوم الحادثة لفظًا لا مفهومًا ومضمونًا وفحوى، ولذا قد تجد بعض التعاريف له تتناوله من جانب من جوانبه وضربًا من أضرابه وصنفًا من أصنافه وشكلًا من أشكاله فحسب، فلا يُعد تعريفًا جامعًا مانعًا، وهذا هو الغالب والأعم في التعاريف التي وضعها المتأخرون، ومنها ما هو مختصر غير وافٍ بالغرض ومنها ما هو للشرح أقرب منه للتعريف.

ولعل أظهر الأسباب في ذلك لكون مسمى هذا العلم مسمىً حادثًا وما يزال في مراحل تكامل نموه الأولى، وما يزال الباحثون يقدمون له من التعاريف مستفيدين في ذلك من تعاريف من سبقهم.

وفي ضوء التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من لفظتي "التفسير، والموضوعي":

نأمل أن نصل وبقدر الجهد والطاقة وفي ضوء ما سبق ذكره إلى مفهوم اصطلاحي لـ"التفسير الموضوعي" المركب من كلمتي" تفسير، وموضوعي".

كل ذلك في ضوء المدارسة والبحث، راجين وآملين أن نقف على تعريف جامع مانع ومختصر من خلال ما مضى ذكره، وذلك كله في ضوء بيان أظهر التعاريف التي قيلت في ذلك والتي من أبرزها ما يلي:

193- التفسير الموضوعي، مراد الشوابكة،عن موقع موضوع، بتاريخ:٣٠/12/ ٢٠١٥م .

شبكة الألوكة www.alukah.net

1- قيل هو: "اصطلاحٌ مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على: جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوعٍ ما، وترتيبها حسب النزول – ما أمكن ذلك – مع الوقوف على أسباب نزولها ، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط ، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي ، الذي يُجلِّيها من جميع نواحيها وجهاتها ، ووزنها بميزان العلم الصحيح ، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته ، ويجعله يدرك هدفه بسهولةٍ ويسر ، ويحيط به إحاطة تامة ، تمكنه من فهم أبعاده ، والذود عن حياضه".(194)

والتعريف السابق هو أقرب للبيان والإيضاح لصنف وضرب من أصناف وأضراب التفسير الموضوعي منه للتعريف الاصطلاحي.

2- وقيل هو: "علمٌ يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنىً أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، وبشروط مخصوصة، لبيان معناها ، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع".(195)

والتعريف السابق وإن كان تعريفًا مطولًا بعض الشيء إلا أن فيه من الدقة والشمول ما يجعله للتعريف أقرب منه للشرح والتوضيح.

بيد أنه اشتمل على صنفٍ(196)أو ضرب واحد من أصناف وأضراب هذا العلم ألا وهو الموضوع القرآني فحسب.

والباحث في التفسير الموضوعي إنما يبحث أصنافًا وأضرابًا ثلاثة من أصناف وأضراب التفسير الموضوعي: ألا وهي: (197)

الصنف الأول: التفسير الموضوعي للكلمات والألفاظ القرآنية:

194- البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية" - مطبعة الحضارة العربية – ط 2 – 1397هـ-1977م – ص 52 .

(195) المدخل إلى التفسير الموضوعي – مصدر سابق – ص 20 .

196- وهذه العبارة أعني لفظة" صنف متعارف عليها عن الباحثين بلفظة " لون"

197- وسيأتي معنا في طيات البحث بيان تلك الأصناف والأنواع وتناولها بصورة أخرى من خلال المطلب الثالث: الذي هو: بيان أنواع التفسير الموضوعي حصريًا: وأنها ثلاثة أنواع كذلك .

شبكة الألوكة www.alukah.net

بحيث يختار الباحث الألفاظ والكلمات القرآنية ذات الموضوع والمدلول الواحد، ويفردها بدراسة خاصة، ويتابع فيها الوحدة الموضوعية الخاصة بها الواردة في القرآن، من جهة اشتقاقاتها وتصريفاتها وحالاته المتعددة، ثم يتدبر الآيات التي وردت فيها، ويستخلص منها اللطائف والمعاني، وما دلت عليه من دلالات وإشارات.

الصنف الثاني: التفسير الموضوعي للموضوعات القرآنية:

وهو الذي تُستنبَط منه الموضوعاتُ القرآنية التي يبحث فيها الباحث في موضوع من أحد موضوعات القرآن الكريم المتفقة في المدلول والمتحدة في المعنى ، فيقوم بجمع الآيات حول هذا الموضوع، بمختلف أطوارها، أعني بذلك من جهة صيغها ومفرداتها اللغوية ، وكلماتها ومدلولها.

ولأنّ البحث فيه من خلال القرآن إنما يبحث فيه الباحث الموضوع الواحد من خلال مفردات وموضوعات متباينة، مثل: التوحيد في القرآن، بر الوالدين في القرآن، الرسل في القرآن، المؤمنون في القرآن، الصدق في القرآن، ونحو ذلك.

و الباحث إنما عليه جمعها والنظر فيما جمعه، كما أن عليه استخراج دلالاتها وحقائقها.

الصنف الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

وهو الذي يقوم فيه الباحث بدراسة خاصة لسورة قرآنية بعينها مبينًا فيها أهم ما يلي:

أ- الوحدة الموضوعية لتلك السورة

ب- مقاصد تلك السورة وأهدافها

ج- المناسبات المتعلقة بتلك السورة

د- دراسة تلك السورة دراسة تحليلية موضوعية

هـ-ولابد له من أن يُبرهن عمليًا كذلك من خلال التفسير الموضوعي للسورة القرآنية أنه يقدم بحثًا ودراسة ذات وحدة موضوعية متكاملة.

والتعريف الثاني لم يحتو إلا على صنف واحد من أصناف التفسير الموضوعي ألا وهو "الموضوع القرآني" ولم يشتمل على غيره من أصناف وأنواع التفسير الموضوعي الأخرى.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والتعريف الصائب الشامل لابد أن يكون تعريفًا جامعًا مانعًا شاملًا لكل جوانب العلم المعرَّف به، وهذا التعاريف وأمثالها إنما كُتِبَت في بداية تأسيس مسمى هذا المنهج العلمي الموسوم بـ" التفسير الموضوعي".

3- وقيل هو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر(198).

4- وقيل هو: "العلم الذي يتخذ من الموضوعات الظاهرة أساسًا في الكشف عن منهج القرآن وأسلوبه في معالجته لها متخذا من القواعد والشروط في التفسير سلمًا للوصول إلى هدي الكتاب وجلال شأنه.

5- وقيل هو: علم يعنى بالكشف عن موقف القرآن الكريم من قضية ما، في ضوء ما يتصل بها من آيات ، ضمن منهج ذي مجالات وخطوات.

وبلفظ آخر: عملية منهجية تتجه نحو الآيات القرآنية ، من حيث موضوعها لا موضعها، بغير الكشف عن الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم، وتصنيفها تحت ما يناسبها من مجالات، وإفرادها في كتابات تبرز ما فيها من دلالات وهدايات". (199).

وهناك تعاريف أُخر ذكرها أحد الباحثين المعاصرين كذلك، نذكرها على سبيل البيان وزيادة الإيضاح وهي كما يلي:

1- قيل إن التفسير الموضوعي: "هو جمعُ ما تكرر في القرآن الكريم في موضوع واحد أو هو تفسير القرآن بالقرآن" .

2- وقيل: "هو عبارة عن الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم والغوص في أعماقها للوصول إلى مراد الله تعالى منها بقدر الطاقة البشرية" .

3- وقيل : "هو جمعُ الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول كلما أمكن ذلك، ثم تناولها بالشرح والتفصيل، وبيان حكمة الشارع في شرعه، مع الإحاطة التامة لكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم، والكشف عن أهدافه ومقاصده" .

198- مباحث في التفسير الموضوعي: 16.

199- التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، د. زيد العيص، 12- 21.

شبكة الألوكة www.alukah.net

4- وقيل: "هو تقسيمُ آيات القرآن الكريم إلى مجموعات كل مجموعة منها تندرج تحت عنوان يشملها جميعًا ، فهذه الآيات المتفرقة تكوِّن بحثًا مستقلًا متميزًا عن غيره ذات موضوع واحد وهدف واحد" (200) .

والحقيقة أن تلك التعاريف الأربعة مجملها كالتعريف الثاني فهي تعرف التفسير الموضوعي من خلال صنف واحد من أصنافه ألا وهو: "الموضوع القرآني" فحسب، فهي أيضًا مع طول بعضها لم تف بالغرض ولم تحقق المطلوب من التعريف الجامع المانع.

ولعلنا أن نصل من خلال ما مضى إلى تعريف أشمل ونأمل أن يكون وافيًا بالغرض متطلعين لأن يكون تعريفًا جامعًا مانعًا.

رأي الباحث – عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ –

والباحث قد بذل جهده وطاقته قدر الإمكان للوصول لتعريف يتحقق به الهدف المنشود المؤدي للغرض المحقق للأركان في التعريف بالتفسير الموضوعي تعريفًا شملًا لأنواعه وأصنافه مبينًا وموضحًا للطريقة والسبيل الذي يُتناول به.

تعريف الباحث للتفسير الموضوعي:

يقول الباحث – عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ – مستعينًا بالله تعالى:

التفسير الموضوعي: علمٌ يُبحثُ فيه تناولُ موضوعٍ واحدٍ من خلال الكلمات والألفاظ، أو الموضوعات، أو السورة"القرآنية" ذات الموضوع الواحد، ودراستها دراسة متكاملة مبينًا فيها أهم مقاصد القرآن ومراميه، وموضحًا لأهم غايته وأهدافه ومعانيه، متناولًا دراستها بالتفسير بالمأثور، في ضوء دراسة "تحليلية موضوعية" .

200-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - للدكتور عبد المنعم علي إبراهيم القصاص – مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة – ط 1 – 1411هـ-1990م – ص 27 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا التعريف شمل ما يلي:

أ- ذكر أصناف وأنواع التفسير الموضوعي الثلاثة التي يتناولها الباحث

ب- بيان الوحدة الموضوعية التي يتناولها الباحث من خلال الأنواع الثلاثة سالفة الذكر

ج- بيان مقاصد البحث وأهدافه ومراميه

د- بيان نوع التفسير الذي يتناول به تفسيره الموضوعي، ألا وهو "التفسير بالمأثور".

هـ بيان نوع الدراسة التي يتناولها الباحث ويتعرض لها من خلال بحثه، ألا وهي الدراسة "التحليلية الموضوعية".

وفي ختام التعاريف السابقة وتناولها وبيان مفهومها في اللغة والاصطلاح:

يقول الباحث - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ -:

والتعاريف السابقة كلها عبارة عن محاولات للوصول لتعريف اصطلاحي جامع مانع، فبعضها مقتضب، وبعضها فيه شيء من التفصيل والإيضاح، والبعض منها إما فيه تطويل مُملٍ أو تقصير مُخلٍ، وكلها محاولات للوصول للهدف المنشود.

ويُوصي الباحث - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - قائلًا:

ونطمع من المجامع العلمية المعنية بالتفسير وعلومه وشؤونه ودراساته، محاولة الوصول لتعاريف جامعة مانعة لما جد من قضايا ومناهج ومباحث في الدراسات المتعلقة بالقرآن وعلومه وما يحتاجه الباحثون فيها وذلك على غرار مجمع اللغة العربية، ومجمع الفقه الإسلامي وغيرها من المجامع العلمية ذات الشأن، كما أرجو وآمل أن يصل هذا الاقتراح للجهات المعنية بتلك الدراسات لعلها تجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما نحن بصدده هاهنا.

والله وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: أهمية دراسة التفسير الموضوعي

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: بيان أهميته وأوجه الحاجة إليه: ([201])

تظهر أهمية التفسير الموضوعي وأوجه الحاجة إليه في:

1- كونه تفسيرًا ملائمًا وصالحًا لكل زمان، سواء كان ذلك في الزمن الحاضر أم في الزمن المستقبل، ففي ضوء مدارسته وبحثه تتجدد للمسلمين صلتهم بكتاب ربهم وبعلومه وذخائره، وتزداد معارفهم وثقافتهم، ومن خلال البحث فيه أيضًا يمكنهم حل معضلاتهم ومشكلاتهم وما يتعرضون له من مستجدات ونوازل، ومن جملة ما يمكن به إظهار أوجه إعجازه تقديم دراسات علمية مؤصلة، وبحوث تأصيليه جادة تحتوى على مناقشة لتلك القضايا وتلك المستجدات والنوازل سواء كان ذلك فيما يخص الأمة، أو فيما يخص عموم البشر.([202])

2- تقديم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تقديمًا علميًا منهجيًا لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته.

3- بيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عمومًا، وإلى الإسلام خصوصًا، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته.

4- الوقوف أمام أعداء الله وتفنيد آرائهم وأفكارهم الجاهلية.

5- عرض أبعاد ومجالات آفاق جديدة لموضوعات القرآن، وهذه الأبعاد تزيد إقبال المسلمين على القرآن.

6- التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين.

201- المدخل إلى التفسير الموضوعي: 40: 50 بتصرف. د عبد الستار فتح الله سعيد. الطبعة الثانية 1991. دار التوزيع والنشر الإسلامية / مباحث في التفسير الموضوعي: 30: 33 بتصرف. / التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: 56: 58 بتصرف. د صلاح عبد الفتاح الخالدي. الطبعة الثانية 2008. دار النفائس للنشر والتوزيع.

202-الفقرة الأولى من صريف قلم الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

7- التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية، وعرضها أمام الباحثين عرضًا قرآنيًا منهجيًا، وتصويب هذه الدراسات، وتخليصها مما طرأ عليها من أفكار دخيلة على الدراسات القرآنية.

8-عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه.

فالتفسير الموضوعي:

" يبرز إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم العصر، من خلال بيان شموله لكل هذه الموضوعات المتكاثرة مع وجازة لفظه، ومن خلال إظهار كمال كل موضع فيه على حدة، فمع أن القرآن الكريم نزل منجمًا إلا أننا حين نجمع (نجوم الموضوع) معًا نجدها في غاية التوافق والتناسق". ([203])

9- تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها مثل (أصول التربية القرآنية)، و(أصول علم الاقتصاد الإسلامي)، و (أصول الإعلام الإسلامي)، فالحاجة ماسة لتأصيل هذه العلوم، ووضع الأسس والضوابط لها، ولا يتم ذلك إلا من خلال دراسة آيات القرآن الكريم وفق منهج التفسير الموضوعي.

وذلك كله وفق ضبطها بقواعد علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم، لتجنب التفريط والإفراط في نسبة المسائل والموضوعات للقرآن الكريم.([204])

10- بالتفسير الموضوعي ينفذ الباحثون أمر الله -سبحانه وتعالى - بتدبر القرآن الكريم وإمعان النظر فيه وإحسان فقهه وفهم نصوصه. ([205])

فبـ" تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية بجمع الآيات الكريمة جمعًا موضوعيًا، وتفسيرها على هذا النمط، مع إحصاء الألفاظ، واستقصاء المعاني وتتبع تعدد الدلالات القرآنية

203- تيسير التفسير "التفسير الموضوعي"، عبد الحميد البطاوي، بحث عن ملتقى أهل التفسير، تاريخ: 1435/6/18هـ

204- مباحث في التفسير الموضوعي: 32: 33 بتصرف. (مرجع سابق). بتصرف

205- وللاستزادة يُنظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم -دراسة في التفسير الموضوعي: (1/15-16-17)

شبكة الألوكة www.alukah.net

في مواضعها وموضوعاتها، هذا اللون حين تنضج مباحثه، سيكون له أعظم الأثر في إبراز علوم قرآنية جديدة، ودفعها نحو التأصيل والاكتمال بإذن الله تعالى". ([206]).

وختامًا لهذا المبحث

فإن التفسير الموضوعي علم " كسائر العلوم الشرعية عامة وما يتعلق بدراسة القرآن الكريم خاصة له من الفضل والشرف والحاجة إليه ما لتلك العلوم ويزيد هو بخصوصيته الخاصة به، وأوجه الحاجة إلى التفسير الموضوعي ظاهرة من بيان أنه عبارة عن شرح الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد لأنه إذا كانت المباحث القرآنية متجلية للباحث بجميع نواحيها متجهة به إلى غايتها مبرزة إلى نواحي الحكمة في دعوة القرآن إليها كان ذلك النهج باعثًا للمطلع عليه إلى أن يسلك الطريق الذي بينه القرآن حيث كان واضح الغاية محدد النهاية بارزًا في تبينه جامعًا لكل الأهداف في تحقيقه ...والعصر الذي نعيش فيه، يحتاج إلى ذلك النوع من التفسير، حيث كان في سلوكه إدراك المقصود من أقرب الطرق، والوصول إلى الحقيقة بأسهل الوسائل خصوصًا أنه في عصرنا يُثار كثيرٌ من الغبار في جو الأديان ([207])، فتنتشر المبادئ الشيوعية، وتحلق في سماء الإنسانية سحب الضلال والشبه، وليس يقوى على ذلك إلا سلاح قوي، واضح سهل، يمكن

لرجل العلم من الذود عن حياضه، والدفاع عن دعائمه وليس هذا إلا بذلك النوع من التفسير حيث كان جامعًا لشتات الموضوعات محيطًا بأطرافها. ([208])

206- تيسير التفسير "التفسير الموضوعي"، عبد الحميد البطاوي، بحث عن ملتقى أهل التفسير، تاريخ: 1435/6/18هـ

207- الحقيقة أن الدين الحق عند الله واحد لا يتعدد وإن اختلفت الشرائع، كما قال ربنا: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)(آل عمران من آية: 19)، ، وأفضل من عبارة " في عصرنا يُثار كثيرٌ من الغبار في جو الأديان" قوله تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نور ولو كره الكافرون) (الصف: 8). الباحث.

208- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي والأستاذ الدكتور/ محمد أحمد القاسم: صـ 19، بتصرف يسير

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: بيان أهم فوائده

إن من أهم فوائد التفسير الموضوعي الوفاء بحاجات هذا العصر والتي من أهمها معرفة حقيقة دين الإسلام والهداية إليه وإلى معرفته والتفقه فيه وفي علومه ولاسيما فيما يتعلق ببيان آي التنزيل وحل المعضلات والمشاكل المعاصرة في ضوء هداياته وبيان مقاصد ومرامي آياته، وهي حاجات كثيرة متشعبة؛ بعضها عام، وبعضها خاص ومنها أهمها وأبينها:

أولًا: حاجة البشر عامة، فأغلب البشر الآن حائرون على مفترق الطرق، وليس لهم دين صحيح، ولا رسالة هادية، وقد غلب عليهم الإلحاد والعناد، وزيَّن شياطين الحضارة المعاصرة أن الدين طور مختلف، ومتخلف، مضى زمانه، أو أنه مفهوم قاصر على الفرد والضمير، وليس له شأن بالسلوك الاجتماعي والدولي، ولم يبقَ كتاب إلهي على وجه الأرض يمثل الدين الصحيح إلا القرآن؛ لذلك يحتاج الناس إلى معرفة هديهِ غاية الاحتياج، وإلى فهم ما حواه من شمول موضوعي بالغ غاية التمام والكمال، وإلى إدراك ما يقدمه لهم من حلول لمشكلاتهم النفسية والاجتماعية، ولمعضلاتهم الأخلاقية والاقتصادية، ولا يتحقق ذلك إلا بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم، ثم تُنْصَّب أمام الناس مثلًا أعلى، وحبلًا ممدودًا للنجاة من هذه المحنة العالمية الطاغية؛ فإما أن يؤوب الناس إلى دين الفطرة، أو تقوم عليهم الحجة البالغة التي من أجلها تعهد الله تعالى بحفظ القرآن، وجعله صوت النبوة الممدود إلى يوم القيامة ([209]).

209- تنبيه هام جدًا يتعلق بالعقيدة في القرآن الكريم:

الحقيقة أن هذا الكتاب أعني كتاب "مدخل إلى التفسير الموضوعي"لأستاذنا الكريم المفضال الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد - حفظه الله - درسناه منذ قرابة أربعة عقود تقريبًا في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر- بالقاهرة، وهو مما كُتِبَ قديمًا في التفسير الموضوعي، وهو مع ضئالة حجمة ففيه علم جم وفير، وإن كان الكتاب قليل المباني فإنه عظيم المعاني، إلا أنه قد حوى ألفاظًا عليها مآخذ شديدة وواضحة، ومن تلك المآخذ ما ذُكِرَ أعلاه من قول مصنفه -عفى الله عنه - في تعبيره عن وصف القرآن بقوله: (وجعله صوت النبوة الممدود إلى يوم القيامة) وصوت النبوة مخلوق، وكلام الله تعالى منزل غير مخلوق، والقرآن عند أهل السنة والجماعة هو كلام الله تعالى حقيقة أي: " لفظًا ومعنى"، وأنه منزل غير مخلوق، وليس بصوت النبوة أبدًا، وأن الله تعالى

ثانيًا: حاجة المسلمين خاصة؛ الأولى: هي الحاجة العالمية، أما هنا فحاجة المسلمين خاصة؛ فلقد فُتِنَ الكثير من المسلمين بزخارف الحضارة المادية، واتبع فئام كثيرة منهم سنن الكفار في القوانين والأخلاق والتربية، ولذلك يحتاجون قبل غيرهم إلى فهم شمول الهدي القرآن، واتساع موضوعاته لكل شئون حياتهم، وبذلك يقبلون على تطبيقه بيقين واقتناع، ويقدمونه للناس على معرفة وتجربة، ويبذلون في سبيله النفس والنفيس عن رضًا وطواعية؛ لأنه الحق الوحيد في الأرض، والذي يغنيهم عن تسول المبادئ من الشرق أو الغرب، بل إن الدنيا كلها محتاجة إليه، وبذلك ينقذ المسلمون أنفسهم أولًا، والعالم كله من ورائهم بهذا الهدي القرآني الجامع ثانيًا.

ثالثًا: من الفوائد العظمى للتفسير الموضوعي في هذا العصر تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية؛ فمن المقرر أن كتابًا في الأرض لم ينل ما ناله القرآن الكريم من عناية ودراسة، وقد بذل علماؤنا من قديم جهودًا خارقة لخدمة الكتاب الكريم، غير أن القرآن الكريم من السعة والاستبحار بحيث لا تنفذ معانيه، بل نجد علماء يجدون فيها جديدًا في كل عصر، وربما أربى اللاحق على سابقه بما يفتح الله له من كنوز القرآن الكريم، وهذا معنى ما ندندن حوله من تجدد ألوان الإعجاز القرآني بتجدد الزمان، وأنا على يقين أن

تكلم به بحرف وصوت وسمعه جبريل ونزل به فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعه من الله تعالى، ولقد ذكر السلف الحرف والصوت، وذكروا أدلته، كما أنهم تكلموا في حكم من أنكر الحرف والصوت، هذا وقد يَظن القارئ الكريم أن العبارة تُوحي أو تُشير بمعنى خفي للقول بخلق القرآن، ولا يُظنُ بالشيخ الجليل ذلك أبدًا لا من قريب ولا من بعيد، ولعله مما سبق به القلم ولم ينعقد عليه القلب، ولكن التنبيه على مثل هذه الأمور العقدية من الأهمية بمكان حماية لجناب العقيدة أولًا، وحتى لا يُتوهم غيرُ الحقِ من جهة أخرى ثانيًا، ولا يُظن بقائلها إلا خيرًا من جهة أخرى كذلك ثالثًا. والحقيقة أن هذا لا ينقص من قيمة الكتاب العلمية ولا من قدر مؤلفه ومكانته وفضله، لما لا وقد شهدت له أجيالٌ قد تخرجت علي يديه بالعلم والفضل وعلو المكانة، ولكن الكمال لدى عموم البشر مطلب عزيز المنال شبيه بالمحال، كما قال بشار بن برد (ت: 168هـ):

" وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّه..... كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهْ ".

والحق كذلك أحق أن يُتبع، والله وحده من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

شبكة الألوكة www.alukah.net

جمع الآيات الكريمة جمعًا موضوعيًا، وتفسيرها على هذا النمط، مع إحصاء الألفاظ واستقصاء المعاني وتتبع الدلالات القرآنية في مواضعها وموضوعاتها، هذا اللون ([210]) حين تنضج مباحثه سيكون له أعظم الأثر في إبراز علوم قرآنية جديدة، ودفع هذه العلوم نحو التأصيل والاكتمال -بإذن الله- ومن ذلك على سبيل المثال الموجز (علم الأصول القرآنية)، وهو ابتداءً أوسع مدى وشمولًا من علم أصول الفقه المعروف؛ لأننا نعني به الأصول الجامعة، والقواعد الحاكمة، والأصول التي تضبط كل ما يتصل بالقرآن والإسلام من علوم وفنون، ومن المقرر أن القرآن الكريم هو دستور([211]) محيط، يضم في تضاعيفه هذه الضوابط الكلية الجامعة، وقد أدرك علماؤنا هذه الحقائق من قديم

210- اللون بمعنى القسم والصنف والنوع.

211- كلمة دستور: "هذه الكلمة فارسية معربة؛ قال في "معجم الصواب اللغوي:

(الكلمة معربة، وهي حين عُرِّبت عن الأصل الفارسي "دَسْتور" ضُمَّ حرفها الأول ليوافق أوزان العرب نحو: بُهْلُول وجُمْهُور وعُرْقوب وخُرْطوم. ومن الجائز أن تحتفظ بفتح الدال - بحسب الأصل- كما يحدث في نطق كثير من الكلمات الدخيلة)اهـ.

ومعناها هو ما ذكره في "معجم اللغة العربية المعاصرة: "

(دَسْتُور/ دُسْتُور [مفرد]: ج دَساتيرُ:

1- قاعِدةٌ يُعْمل بمقتضاها "دستوره الإخلاص- دستور الجمعيَّة" دستوره بيده: حرٌّ مستقلّ.

2- (قن) مجموعة من القواعِد الأساسيّة التي تبيّن شكلَ الدّولة ونظامَ الحكم فيها، ومدى سُلْطتها إزاء الأفراد، وحقوق المواطنين في الدَّولة "قانونٌ موافق للدستور- لم تعرف بلدان كثيرة الدساتيرَ إلاّ حديثًا" دستور العمل: مجموع قوانين أو مراسيم الأعمال.

**دستوريّ [مفرد]: اسم منسوب إلى دَسْتُور/ دُسْتُور: "إجراءٌ غير دستورِيٌّ: غير مطابق للدستور"...)اهـ.

فهي من حيث المعنى على المعنى الأول صحيحة ؛ وممن استخدمها في محاضراته العلامة المحدث الألباني ،ومنه قوله: "الإسلام دستوره القرآن" .ش(204) من سلسلة الهدى والنور.

ولكن لابد من التنبه بأن اللفظة أصلًا ليست عربية ولا أصل لها في الكتاب والسنة؛ ولهذا فقد نقل العلامة بكر أبو زيد كلامًا جميلًا في كتابه الماتع "المناهي اللفظية" عن المودودي عن أثر تغريب الألفاظ الشرعية في انفصام الأمة عن شريعة ربها ، فارجع إليه.

والله الموفق .أبو هاجر الغزي السلفي ، عن ملتقى أهل الحديث: (د. ت).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتناولوها بالبحث والاستنباط، وسجلوها نثرًا في مواضعها من مباحث العلوم الإسلامية واللغوية، غير أن طرائق علمائنا -نضر الله تاريخهم- لم تكن تقوم دائمًا على الإحصاء والاستقراء الكلي الشامل لكل أطراف الموضوع، ثم لم يمتد نطاقها إلى كل المباحث العلمية المتصلة بالقرآن الكريم؛ من حيث منهجه الديني، وأسلوبه التربوي والاستدلالي، ولغته العربية الخاصة به، ونحو ذلك من جوانبه الواسعة؛ فلا تزال قواعد أئمتنا السابقين تحتاج إلى مزيد من التحرير في الكيف والكم، أو من حيث الكمال والتمام الذي بينه الله في القرآن بقوله سبحانه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) (المائدة: 3)، وهذا ليس بعيب على السابقين -رضي الله عنهم- فقد مهّدوا أكناف العلم، وجمعوا شتات المسائل، وتركوا لمن بعدهم إتمام البناء، وإنما العيب على اللاحقين أن رضوا بالقعود مع الخالفين، وعلى سبيل المثال: لقد كان علم أصول الفقه هو أوفر العلوم حظًا من حيث التأصيل، وأخذ القواعد الكلية من القرآن والسنة النبوية، ومع ذلك لم تزل فيه جوانب لم تنل حظها الحقيقي من التأصيل الكلي الشامل عن طريق القواعد العليا التي تحكم مفردات القواعد، مثل:

1- التشريع خصوصية إلهية.

2- السنة النبوية طريق ورود للشرائع، لا طريق إنشاء

ولقد بحث العلماء هذه القضايا في أصول الفقه، لكن ليس على طريق الاستقراء القرآني الجامع، وإلا لحُسِمَتْ مادة الخلاف بين الأصوليين أنفسهم حول جواز الاجتهاد النبوي في وضع الأحكام أو عدمه، مع أن هذه القضية تتعلق بالأصل الأول القطعي الثبوت والدلالة في القرآن، وهو تفرد الله تعالى بالحكم والتشريع، وهناك قضايا كثيرة في هذا الباب. ([212])

212- مدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، نسخة موقع منارات، بتاريخ: 2014/6/8م. بتصرف يسير لبعض الألفاظ والتي يرى فيها الباحث بعض التجاوزات.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: أهم مميزات التفسير الموضوعي

لقد تميز التفسير الموضوعي بمميزات ولعل من أبرزها ما يلي:

1- أنه تفسير للقرآن بالقرآن، فما أطلق في مكان منه قيد في مكان آخر وما ذكر موجزًا في موطن منه ذكر مفصلًا في آخر.

2- الوقوف على عظمة القرآن الكريم من خلال مواضيعه المتنوعة والتعرف على تشريعاته النيرة والمتعددة.

3- بيان ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية الربانية من خلال تلك المواضيع المتنوعة.

4- التخلق بأخلاق القرآن والانتفاع به من حيث زيادة الإيمان

5- التمكن من فهم القرآن الكريم فهما جيدًا

6- الاطلاع على أساليب القرآن الكريم المتنوعة

7- جمع الآيات المتناثرة في القرآن ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد ثم دراستها دراسة متكاملة.

8- الرد على أهل الأهواء والشُّبه قديمًا وحديثًا لكون دراسة مثل هذا النوع من التفسير يجمع شتات الموضوع الواحد ويحيط بجميع أطرافه فيمكن دراسته والرد على الآخرين.

9- إزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيها سليمًا. (213)

المطلب الرابع: بيان أسباب ظهوره ونشأته

لم يظهر هذا المصطلح عَلَمَاً على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، إلا أن لبنات هذا الصنف والضرب من أصناف وأضراب التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده.

213- يُنظر: البداية في التفسير الموضوعي ص68-70 د/ عبد الحي الفرماويَ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

1- تفسير القرآن بالقرآن: لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز أصناف وأضراب التفسير التي كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ((وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ)) [الأنعام 59] ، فقال : مفاتح الغيب خمسة: ((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [لقمان 34] .([214])

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة - رضوان الله عليهم- من الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعدهم قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم ، إذ ما أُجمِلَ في مكان قد فُصِلَ في آخر، وما أُطلِقَ في آية إلا قد قُيِدَ في أخرى، وما ورد عامًا في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا الصنف والضرب من أصناف وأضراب التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله .

2- آيات الأحكام: قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي .

3- الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدمغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي: المال: كقوله ((إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا)) [البقرة 180]، والإيمان كقوله: ((ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ))[الأنفال 23]، والإسلام كقوله : ((مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ)) [القلم 2]، وبمعنى

214- رواه البخاري: (4778).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أفضل كقوله: ((وأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)) [المؤمنون 109]، والعافية كقوله: ((وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُـوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [الأنعام 17]، والأجر كقوله: ((لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ)) [الحج 36]، والطعام كقوله: ((فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)) [القصص 24]، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله : ((ورَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)) [الأحزاب 25]

وهذا كما ترى صنف وضرب من أصناف وأضراب التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضـوعات القرآن حيث يقومون بجمع ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده .

4- الدراسات في علوم القرآن: اهتـم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، صنف وضرب ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجـدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر .

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعًا من العلوم أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. لكن بروزه صنفًا وضربًا من أصناف وأضراب التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصوُر الأخيرة - تلبية لحاجات أهلها - التي وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والمـوضـوعات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة الدراسات القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الـذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس، علمه من علمه، وجهله من جهله، ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)) [الملك 14] .

ومن ثم كثرت الدراسات القرآنية، وأصبحت المكتبة القرآنية تستقبل كل يوم موادًا جديدة من عالم المطبوعات، ونظرة خاطفة إلى فهارس المكتبة تنبيك بكثرة عما كتب في هذا المجال، وإن كان في الحقيقة قليلاً على مكانة القرآن. ولشدة عناية الكاتبين بهذا الجانب من جوانب التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا الصنف والضرب من

شبكة الألوكة www.alukah.net

أصناف وأضراب التفسير بوضع فهرسة للقرآن على حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات، ومنها ما طبع. ([215])

ومما يُتأكد به وجود التفسير الموضوعي عن المتقدمين ما يلي:

يقول ابن الجوزي(ت 597هـ) – رحمه الله –:

"وقد نسب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة، وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وممن ألف في الوجوه والنظائر الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وأبو الفضل العباسي بن الفضل الأنصاري، وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون الحجازي عن أبيه كتابًا في الوجوه والنظائر، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش، وأبو عبد الله الحسن بن محمد الدمغاني، وأبو علي بن البناء من أصحابنا، وشيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن الزاغوني، ولا أعلم أحدًا جمع الوجوه والنظائر سوى هؤلاء."([216])

زاد الزركشي (ت 794هـ) –: "وأبو الحسن بن فارس وسمى كتابه "الأفراد"([217]).

وزاد السيوطي (ت 910هـ) –: "ومحمد بن عبد الصمد المصري، ثم قال وقد أفردت في هذا الفن كتابًا سميته "معترك الأقران في مشترك القرآن. " ([218])

قلت: وقد سبق السيوطي في التأليف ابن العماد الحنبلي (ت: 887 هـ)وعنوان كتابه "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر" مطبوع وقد بين أهل العلم معنى أو المقصد بالوجوه والنظائر.

فقال ابن الجوزي(ت 597هـ): "واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضوع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه

215- مقدمة في التفسير الموضوعي،د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، عن موقع صيد الفوائد: (د. ت) بتصرف.

216- نزهة الأعين النواظر2/1

217- البرهان في علوم القرآن102/1.

218- الإتقان في علوم القران 121/2.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر.

والذي أراده العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى." ([219])

وعلى هذا المنوال مشى الزركشي (ت 794هـ) في البرهان فقال:

"فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ "الأمة". والنظائر كالألفاظ المتواطئة " وذكر غير هذا وتبعه السيوطي في الإتقان. ([220])

ومن خلال ما سبق ذكره من مصادر ومظاهر يتبين لنا أن التفسير الموضوعي كان موجودًا في عهد المتقدمين، وأنه ليس بدعًا من الأمر.

وبعد هذا البيان الموجز يرى الباحث- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - أنه من الأهمية بمكان ذكر جملة من أبرز ما صُنِفَ في التفسير الموضوعي قديمًا وحديثًا

أولًا: أبرز المصنفات في الأشباه والنظائر والمفردات والتي بدأت مع بداية القرن الثاني الهجري:

1- الوجوه والنظائر لعكرمة مولى ابن عباس، وهو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني (ت: 105هـ)

2- الأشباه والنظائر في القران الكريم لمقاتل بن سليمان، وهو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، و يُقال إن كتابه هذا هو أول كتاب يصل إلينا في علم الوجوه والنظائر.

219- نزهة الأعين النواظر 1/ 302.

220- البرهان في علوم القرآن102/1. وللاستزادة يُنظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: (15/1-16)، أحمد بن عبد الله الزهراني الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: الأعداد 85 -100 السنوات 22 - 25 المحرم1410هـ - ذو الحجة 1413 هـ - عدد الأجزاء: 1...

شبكة الألوكة www.alukah.net

3- الوجوه والنظائر لعلي ابن أبي طلحة، وهو أبو الحسن علي بن أبي طلحة الوالبي الهاشمي(ت 143هـ)، وأبو طلحة هو سالم بن المخارق مولى العباس بن عبد المطلب؛ فلذلك ينسب إلى بني هاشم بالولاء لا بالنسب، واشتهر بالوالبي.

4- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون الأعور، وهو أبو موسى هارون بن موسى الأعور النحوي الأزدي ولاءً (ت 170هـ)

5- كتاب (التصاريف) وهو فيما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام ، وهو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي ... ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)

6- تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي، وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي الملقب بـ الحكيم الترمذي، (ت 255هـ)

7- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد، وهو أبو العباس محمد بن يزيد أبو عباس المبرد(ت 286هـ)

8 ـ الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها لأبي منصور الثعالبي، وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ)

9- وجوه القرآن، لإسماعيل الحِيري النيسابوري، وهو إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضرير الحِيري النيسابوري (ت 430 هـ)

10- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للدامغاني، وهو القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن حمويه الدامغاني (ت: 478هـ)

11- المفردات في غريب القران ، للراغب الأصفهاني، وهو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: 502هـ) حيث تتبع مادة الكلمة القرآنية وبين دلالاتها في مختلف الآيات.

12- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (ت: 597 هـ)

13ـ وجوه القرآن لأبي العباس المقرئ، وهو أبو العباس أحمد بن علي المقرئ(ت: 658هـ)

14ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، وهو مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي (ت : 817هـ).

15ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، وهو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد الحملي ثم البلبيسي القاهري الشافعي (ت: 887 هـ)

16- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران للسيوطي، وهو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ).

وفي الحقيقة إن هذا غيض من فيض، ليُعلم أن التفسير الموضوعي ليس بدعًا من الأمر، ولعل في الإشارة ما يغني عن العبارة.

ومن أبرز ما لحق به الخلفُ السلفَ في هذا المضمار ما جادت به أقلام بعض الباحثين وخرج من صريف أقلامهم في صورة بحوث وأُطروحات علمية ومن أهم ذلك ما يلي:

1- دراسة و تحقيق كتاب: زبدة العرفان في وجوه القرآن للشيخ حامد عبد الفتاح البالوي الرومي، تحقيق الإسماعيل، محمود شبلي الأحمد، رسالة ماجستير عن كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام 1406هـ

2- الوجوه والنظائر في القرآن دراسة وموازنة، تقدم بها الباحث سليمان بن صالح القرعاوي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الدكتوراه، وقد طبعت عام 1410 هـ

3- نحو موسوعة إسلامية في الوجوه والنظائر القرآنية، للدكتور محمد علي الحسن، وقد نُشِرَ في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، في عددها السابع عام 1993م

4- الفروق اللغوية وأثرها في القرآن، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، منشور عن مكتبة العبيكان- الرياض- الطبعة الأولى- 1414 هـ / 1994 م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

5- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للباحثة سلوى بنت محمد بن سليم العوا، وقد تقدمت به لجامعة عين شمس بالقاهرة لنيل درجة الماجستير، وقد طُبِعَ بحثُها عام 1998م.

6- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د. محمد محمد داود منشور عن دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة-عام 2008م

7- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة تأصيلية، للدكتور أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي الأستاذ المشارك في جامعة القصيم، وهي من منشورات مجلة كلية أصول الدين والدعوة وكلية القرآن الكريم في جامعة الأزهر، فرع طنطا، مصر.. 2009م

8- الوجوه والنظائر القرآنية وأثرها في التفسير، نالت به الباحثة حدة سابقة درجة الدكتوراه من جامعة الحاج لخضر-الجزائر-باتنة- ونشرت الجامعة الطبعة الأولى عام1433هـ

9- صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى، الدكتور زيد بن علي بن مهدي مهارش، منشورة عن مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية - العدد 54 عام1433هـ.

وهذا البحث يتناول الأساس النظري للمشترك اللفظي في القرآن الكريم، وأثره الدلالي في بيان معاني القرآن الكريم، بمنهجية وصفية تحليلية. وقد عرَّف البحث المشترك اللفظي لغةً واصطلاحًا، مُبيِّنًا موقف العلماء من هذه الدراسة القرآنية، وأنواع هذا الاشتراك، كما بيَّن تداخل هذه الدراسة مع ما عُرف في الدراسات القرآنية بالوجوه والنظائر، وكذا تداخلها مع معاني الحروف، والأثر الدلالي لكل ذلك في بيان معاني القرآن الكريم، وكذا في الأحكام الفقهية، والإعجاز القرآني.

10- إرشاد الحائر إلى علم الوجوه والنظائر، وهو بحث مختصر قيم يرشد إلى التعريف بهذا العلم وأهم مصنفاته، للباحث محمد حسين القرني، وقد نُشِرَ في ملتقى أهل التفسير بتاريخ -1434/1/7هـ. ([221])

221- والباحث قد نقل عنه أسماء بعض المصنفات في الوجوه والنظائر.

شبكة الألوكة www.alukah.net

11- علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وأثره في التفسير والكشف عن إعجاز القرآن، لـ محمد يوسف الشربجي، وهو مجلد واحد، صادر عن مجلة جامعة دمشق - المجلد 19 – العدد2- عام 2003م.

وعلم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، من أهم علوم القرآن، وهو فرعٌ من فروع التفسير، وقد كثُرت المؤلفات في هذا النوع من العلم، حتى نافَت عن ثلاثين مؤلَّفًا، قام الباحثُ في بحثه هذا بالتعريف بها وبمؤلِّفيها، وحقَّق في نسبتها لأصحابها، مُقارنًا بين بعضها، وبيَّن أثر هذا العلم في التفسير، كما أظهر أثره في إعجاز القرآن.

ثانيًا : أبرز المصنفات في المعاجم وما كان على شاكلتها

1ـ تفصيل آيات القرآن الكريم، للمستشرق الفرنسي جول لابوم (1806-1876م)، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي

2- المستدرك للمستشرق الفرنسي إدوارد مونتيه المولد في مدينة ليون بجنوب فرنسا، وقد أحرز الدكتوراه في اللاهوت، وقد عمل أستاذًا للغاتِ الشرقيةِ، وعميدًا شرفيًّا لجامعةِ "جنيف"، (1856-1934م)... ، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي أيضًا، وقد خرج الكتابان سالفا الذكر في كتاب واحد[222]

3ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي(1882م - 1968م).

وهو كتاب جليل القدر معجمي، مرتب على الحروف الأبجدية، ينظر في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم ثم يسرد أول الآية ويذكر رقم السورة واسمها ورقم الآية، وهو كتاب قيم في بابه، وقد رتبه مؤلفه وأعاد تنسيقه - رحمه الله -.

وإنما أصل هذا الكتاب معتمده عن كتاب" نجوم الفرقان في أطراف القرآن" للمستشرق الألماني فلوجل.

ويشير إلى ذلك محمد فؤاد عبد الباقي(ت: 1388هـ) - رحمه الله - فيقول:

222- وقد صدرت ترجمة إدوارد مونتيه في باريس سنة 1929م، عن دار" payot" ، وتقع في 895 صفحة: منها 65 صفحة للمقدمة والمدخل، وعشرون أخري للفهارس. وهي مملوءة بالهوامش التعليقية والتفسيرية، وقد نقلت إلى الإيطالية في نفس السنة التي طبعت فيها بالفرنسية.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وإذا كان خير ما أُلِّفَ في هذا الفن دون منازع ولا معارض هو كتاب "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني، والذي طُبِعَ أول مرة عام1842م، فقد اعتضدت به وجعلته أساسًا لمعجمي". ([223])

4ـ تبويب آي القران الكريم من الناحية الموضوعية للدكتور أحمد إبراهيم مهنا وقد طبعته دار الشعب بالقاهرة عام 1983م

5ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم -مجمع اللغة العربية- بالقاهرة.

وقد طُبِعَ مرارًا، وهو معجم موسوعي من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، يضم كل ألفاظ القرآن ودلالاتها، ومواضعها في القرآن الكريم، وقد روعي أن يكون هذا المعجم علميًا وافيًا، بذكر الاشتقاقات والأصول، وأقوال المفسرين.

6ـ الموسوعة القرآنية ، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: 1414هـ) وهو منشور عن مؤسسة سجل العرب، طبعة: 1405 هـ

7ـ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم - لصبحي عبد الرؤوف عصر، منشور عن دار الفضيلة بالرياض عام1426هـ.

8ـ الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم - لـ محمد مصطفى محمد، منشور عن المكتب الإسلامي عام 1994م

9ـ تصنيف آيات القران الكريم - لـ محمد محمود إسماعيل، منشور عن دار اللواء الطبعة الأولى عام 1413هـ

ثالثًا: أبرز المصنفات المعاصرة في التفسير الموضوعي

1- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور/ أحمد الكومي رحمه الله (ت: 1411هـ) :

وقد تحدث عن هذا الكتاب تلميذه الدكتور/ عبد الحي الفرماوي رحمه الله حيث يقول: "أما عن منهج محدد واضح المعالم مفصل النقاط للدراسة في هذا المنهج من التفسير، فلم يتضح ذلك إلا في القريب على يد أستاذنا الجليل

223-يُنظر: مقدمة كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي(ص: هـ)

فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر وبعض زملائه أساتذة القسم وتلاميذهم بقسم الدراسات العليا(224)

وقد طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى عام1402هـ - بالقاهرة.

2- البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية) – للدكتور عبد الحي الفرماوي رحمه الله(ت: 1439هـ)

وقد وثّق مقدمته بشهر المحرم عام 1397هـ، وطبع الطبعة الثانية كما هو مثبت عليه في العام نفسه الموافق لعام 1977م، وليس كما ذكر الدكتور/ الخالدي أنه طبع في مصر عام 1984م(225) حتى لو طبع طبعة متأخرة في هذا العام فالأصل هو الإشارة إلى تاريخ أول طبعة أو تاريخ المقدمة حفاظًا على حقه في الأسبقية، ونلاحظ أنه سماه "البداية" وكأنه يؤرخ لميلاد هذا العلم بعنوان كتابه، ونسي أن الميلاد قد سبقه مخاض متمثل فيما كتبه الدكتور/ أحمد الكومي، وهو من منشورات مكتبة جمهورية مصر بالقاهرة .

3- المدخل في التفسير الموضوعي – للدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد :

وقد وثّق مقدمته بربيع الأول عام 1406هـ الموافق 1985م ، وقد استفاد من الكتابين السابقين كما أشار بذلك في مقدمة كتابه(226) ، ونلاحظ أنه قد سماه "المدخل" وكأنه الطريق النافذ والموصل إلى هذا العلم، وهو من منشورات دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة .

4- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي – للدكتور/ الحسيني أبو فرحة: طبع في مصر عام 1987م .

5- مباحث في التفسير الموضوعي - للدكتور مصطفى مسلم : طبع بدار القلم – دمشق عام 1410هـ - 1989م.

---

(224)البداية في التفسير الموضوعي – الدكتور عبد الحي الفرماوي– ص 61 .

(225) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق– ص 31 .

(226) يُنظر: مقدمة كتاب المدخل للتفسير الموضوعي– ص 8 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

6- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - للدكتور/ عبد المنعم القصاص: طبع في مصر عام 1411هـ - 1990م ، تحدث مؤلفه في عشرين صفحة حول مقدمة عامة في التفسير ثم ذكر مبحثًا من عشر صفحات حول التفسير الموضوعي خاصة ثم ذكر أربعة مباحث تطبيقية لقضايا قرآنية .

7- التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان – للدكتور/ عبد الجليل عبد الرحيم: طبع في عمان عام 1991م .

8- دراسات في التفسير الموضوعي – للدكتور/ أحمد العمري : طبع في مصر عام 1406هـ-1986م. .

9- دراسات في التفسير الموضوعي – للدكتور/ زاهر عوَّاض الألمعي:

طبع في الرياض-والطبعة الأولى عام 1405هـ-عن جامعة الملك سعود

10- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور/ زياد خليل الدغامين- الطبعة الأولى بدار البشير -1416هـ - 1995م .

11- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – للدكتور صلاح الخالدي: طبع في عمان عام 1418هـ - 1997م، وقد حاول مؤلفه أن يستفيد مما سبق وأن يزيد عليه لمزيد فائدة . ([227])

رابعًا: ذكر أبرز ما صنف في تفسير القرآن وتناوله بطريقة التفسير الموضوعي

أما من جهة تناول القرآن وتفسيره بطريقة التفسير الموضوعي في العصر الحديث فقد كتب فيه أقوام ولعل أول وأبرز ما كُتبَ في ذلك:

1- التفسير الواضح للدكتور/ حجازي(228) وهو محمد محمود يوسف حجازي هندي الشافعي الأزهري (1914- 1972م) وهو مطبوع عن دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة العاشرة عام 1413هـ في ثلاثة أجزاء.

227- يُنظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي- د. عبد السلام حمدان اللوح- الجامعة الإسلامية – غزة - بحث مختصر- غير منشور. بتصرف

228- هو العلامة المفسر الأستاذ الدكتور محمد محمود يوسف حجازي محمد هندي، الشافعي الأزهري. وُلد فى 1332/6/19هـ، الموافق 1914/5/15م، في قرية "شنبارة منقلا" التابعة لمركز

شبكة الألوكة www.alukah.net

تذكر المراجع المتوفرة للباحثين أن الشيخ بدأ فى كتابة التفسير وهو لا يزال مُدرسًا بالمعاهد الأزهرية؛ فقد بدأ تأليفه عام 1951م، وفرغ منه في عام 1955م.

ويتحدث الشيخ عن هذا فيقول:

" لقد بدأت في إخراج كتاب التفسير الواضح للقرآن الكريم عام 1951م، وانتهيت منه عام 1955م، والحمد لله قد طُبع عدة طبعاتٍ، واستقبله المسلمون في كل مكان بصدرٍ رحبٍ، متجاوزين عما فيه من زلة قلمٍ، أو هفوة خاطرٍ".

ويقول الشيخ في خاتمة الجزء الثلاثين - أيضًا -:

" وبعد؛ فقد انتهى هذا الجزء الثلاثون، وبانتهائه انتهى تفسير القرآن الكريم... وقد كان الفراغ من هذا الجزء بمدينة الزقازيق، صباح الأربعاء، 22 يونيه، سنة 1955م، الموافق 2 من ذي القعدة 1374هـ". ([229]) ([230])

2- الوحدة الموضوعية في القرآن وهي أطروحة علمية (رسالة دكتوراه) وهي أيضًا للدكتور/ محمد محمود حجازي صدر كتابه هذا عن دار الكتب الحديثة- القاهرة،1390هـ.

3- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، وهو إعداد: نخبة من الباحثين في التفسير وعلوم القرآن.

وقد صدر عن كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة الطبعة الأولى عام 1431هـ - في عشر مجلدات.

"ديرب نجم" بمحافظة الشرقية، بمصر. وأتم الشيخ حفظ القرآن الكريم بقريته وله من العمر اثنتا عشرة سنة، ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني، وانتقل منه إلى معهد دسوق، ثم أكمل المرحلة الثانوية بمعهد طنطا سنة 1935م، ثم التحق الشيخ بعدها بكلية اللغة العربية، ونال منها شهادة العالية سنة 1939م، ثم شهادة العالية مع إجازة التدريس سنة 1941م. للاستزادة يُنظر: الموسوعة الحرة، والشاملة الحديثة.

229- يُنظر: مقدمة وخاتمة كتابه" التفسير الواضح" طبعة دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - 1413 هـ

230- الأصل أن يبدأ بذكر التاريخ الهجري ثم ذكر ما يوافقه من التاريخ الميلادي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أشرف على هذا المشروع لجنة علمية من مجموعة "الكتاب والسنة" بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة وهم:

أ.د. مصطفى مسلم رئيسًا (ت: 1442هـ)

أ.د. عيادة الكبيسي عضوًا

أ.د. أحمد البدوي عضوًا

أ.د. عبد الله الخطيب عضوًا

د. محمد عصام القضاة عضوًا

د. قاسم سعد عضوًا

. د. عواد الخلف عضوًا

وقد شارك في كتابة هذا التفسير باحثون متخصصون من أنحاء العالم الإسلامي، سردت أسماؤهم كاملة في أول الجزء الأول من الكتاب بلغ عددهم واحدًا وثلاثين متخصصًا.

وقد قدم الأستاذ الدكتور/ مصطفى مسلم (ت: 1442هـ) للكتاب بمقدمة أشار فيها إلى أن هذه الفكرة تراوده منذ أكثر من خمسة وثلاثين سنة منذ بدأ يدرس مقرر التفسير الموضوعي لطلاب كلية أصول الدين بالرياض. حتى يسر الله تحققه بإشراف مجموعة الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة.

ومما قاله في مقدمته مبينًا المنهج الذي ساروا عليه:

ولما كانت مناهج الباحثين مختلفة في تفسير السورة تفسيرًا موضوعيًا، فقد رأت المجموعة أن تدعو إلى ندوة من أهل الاختصاص للتشاور حول الخطوات المنهجية والخطوات التنفيذية لإبراز هذا المشروع.

وبعد دراسة مستفيضة من المجتمعين حول الخطوات المنهجية، تم الاتفاق على مبادئ للسير في مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

وبعد إقرار المبادئ تم إرسالها إلى أهل الاختصاص من أساتذة التفسير في الجامعات الإسلامية، وتلقت المجموعة اقتراحات وآراء كثيرة، وتم تعديل المبادئ والخطة على ضوء ما وصل من الاقتراحات.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وللبدء بالتنفيذ تم تقسيم سور القرآن الكريم على عدد من أساتذة الجامعات ممن عرفوا بالكفاءة العلمية من خلال مؤلفاتهم في تفسير القرآن الكريم وعلومه بعد أخذ موافقتهم على الكتابة، وجميع الذين استُكتِبُوا من الحاصلين على شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، وممن مارس التدريس الجامعي.

ويتابع الدكتور/ مصطفى مسلم (ت: 1442هـ)- رحمه الله -ويقول في الخاتمة:

إن الأسلوب البياني وطريقة التعبير عن الأفكار والقضايا جزء من الشخصية العلمية لكل فرد، وهذا التفاوت في الأساليب لم نستطع تجاوزه. فعلى الرغم من المبادئ الواضحة للمشروع والنقاط المحددة، وعلى الرغم من الالتزام بها فقد كان هنالك تباين واضح في الأساليب سواء في المعنى الإجمالي لآيات المقطع أو الربط بين مقاطع السورة أو الربط بينهما وبين محور السورة وهذا الأمر لا أظن أن يتجاوز في المستقبل ما دامت الشخصيات العلمية متعددة.

ولكن خروج المشروع بهذه الصورة وبهذا المنهج سابقة لا مثيل لها، لعلها تفتح الآفاق أمام أهل العلم من المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن.. ([231])

وما ذكره الدكتور / مصطفى مسلم(ت: 1442هـ) - رحمه الله - آنفًا يدل على العدل والإنصاف، في زمن عز فيه هذا الاتصاف.

231- للاستزادة يُنظر: مقال لـ" د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري"- عن موقعه الرسمي-بتاريخ- 1431/11/21هـ. بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: بيان أنواعه وأقسامه

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أقسام التفسير الموضوعي من حيث الرابطة ومناهج المفسرين:

نتكلم عن أنواع التفسير الموضوعي ومناهجه:

التفسير الموضوعي باعتبار الرابطة التي تربط بين أجزائه وهي نوعان:

النوع الأول: التفسير الموضوعي العام، وهو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط، وليس في أصل المعنى، وهذا النوع لا بد أن يكون لموضوعه أصل في القرآن الكريم، لا خلاف فيه، ولكن تحته قضايا متعددة لا يربط بينها إلا وحدة الغاية، وهي وحدة محققة -وإن كانت عامة بعيدة-مثل ذلك: تفاسير آيات الأحكام جميعًا، فإن موضوعها هو أحكام القرآن؛ لكن هذا في الصلاة، وهذا في العدة، وهذا في الطلاق، وهذا في الجهاد، وما إلى ذلك، فالغاية التي تربطها هي أنها أحكام، لكن الموضوع الواحد لا يتحقق فيها.

هذا النوع هو ما كان سائدًا في مؤلفات العلماء مثل: (أحكام القرآن) للجصاص (ت: 370 هـ) ، (التبيان في أقسام القرآن) لابن القيم (ت: 751 هـ) ، وألف فيه كثير من العلماء حديثًا مثل: (نيل المرام في تفسير آيات الأحكام) للشيخ محمد صديق حسن خان القِنَّوجِي(ت: 1307 هـ) ([232])، و(الدستور القرآني في شؤون الحياة)([233]) لمحمد عزة دروزة، وكان معاصرًا، (1305هـ-1404هـ)، وقد عَدَّ بعض العلماء في هذا النوع ما يسمى بالوحدة الموضوعية في القرآن كله، أو في سورة منه؛ بأن يجعل المفسر للسورة الكريمة هدفًا ينتزعه من ملاحظة معانيها، ثم ينزل الآيات المتعددة في السورة

232-وهو الشيخ محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحسيني نزيل بهوبال (صديق حسن خان) ... فعني بهِ أخوهُ أحمد حيث أشرف على تعليمهِ وتثقيفهِ ثم أخذ يطلب العلم وهو في مقتبل العمر، فقرأ على ... وأشتد عليه حتى توفي ليلة 29 جمادى الآخرة عام: 1307هـ - 1890م، ولهُ من العمر تسع وخمسون عامًا. عن الموسوعة الحرة.

233- مع التحفظ عن إضافة الدستور للقرآن.

شبكة الألوكة www.alukah.net

لتحقيق هذا الهدف، وأرى -والله أعلم- أن هذا الدرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأن موضوعه -وهو هدف السورة- أمر التماسي اجتهادي تختلف فيه الأنظار.

يضيف الباحث- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - ويقول:

"إن "دروزة" أحدث حدثًا عظيمًا في تفسير له أسماه" التفسير الحديث"وقد رتب سوره على ترتيب النزول معرضًا عن الترتيب المصحفي الذي أجمعت الأمة عليه وتلقته بالقبول، وسواء كان هذا الترتيب ترتيبًا توقيفيًا أم ترتيبًا اجتهاديًا، وهو أي: "الترتيب المصحفي" ما أجمع عليه الصحابة - رضي الله عنهم- وهو ما استقرت عليه العرضة الأخيرة وهو الموافق لما في اللوح المحفوظ، وقد سبق "دروزة" إلى ذلك "عبد القادر ملا حويش"(ت: 1398هـ) في كتابه "بيان المعاني"، وتبعهم على ذلك " عبد الرحمن حبنكة الميداني" (ت: 1425هـ) في كتابه " معارج التفكر ودقائق التدبر "، وقد سبقهم جميعًا لهذه الدعوة جمع من المستشرقين، ولا يسع المجال لذكر تلك التفاصيل وجرى الإشارة فقط هنا ومن أراد كامل العبارة فلينظر كتاب "أصح طريق لجمع الصديق"- رضي الله عنه-، وهو مما جرى به قلم الباحث ففيه بسط وشرح ومناقشة ومدارسة للموضوع بأكمله". ([234])، ثم امتن الله على الباحث بعد خروج هذا البحث ببحث آخر خاص قد تناول فيه مناقشة تلك التفاسير الثلاثة وأسماه: "صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُول فِي مُنَاقَشَةِ ثَلاثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِبَت عَلى غَيْرِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ وقد تم نشره في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، فليراجع ثم. ([235])

234-يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، دَلاَئِلُ التَّوْفِيقِ لِأَصَحِ طَرِيقٍ لِجَمْعِ الصِّدِّيقِ: (بحث محكم) منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) في العدد الثالث عشر بعد المائة، الصادر في شهر جمادى الأولى من عام 1442هـ. (ص: مجلة البحوث والدراسات الشرعية (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) في عددها: الثالث والسبعين، الصادر في شهر ربيع الآخر لعام: 1443هـ. (36-76).

235- يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، "صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُول فِي مُنَاقَشَةِ ثَلاثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِبَت عَلى غَيْرِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ" (بحث محكم) مجلة البحوث والدراسات الشرعية (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) في عددها: الثالث والسبعين، الصادر في شهر ربيع الآخر لعام: 1443هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والنوع الثاني من التفسير الموضوعي: هو التفسير الموضوعي الخاص، وهو الذي يقوم على وحدة المعنى، والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينها رابطة قريبة وخاصة، مثال ذلك: اليهود في ضوء القرآن الكريم، فهذا موضوع محدد يدخل تحته آيات كثيرة كلها في ذات الموضوع، ويجوز أن يقيد الموضوع بقَيْدٍ ما، فيزداد تخصيصًا مثل: عقيدة اليهود الضالة في ضوء القرآن الكريم، وكلما زادت القيود قلت: الأفراد، وازداد التخصص في اطراد عكسي، وهذا النوع هو أحدث الأنواع جميعًا، وهو الاصطلاح العلمي الجديد، وهو أولى الأنواع باسم التفسير الموضوعي عند الإطلاق، وهو الذي يُكتب فيه الآن تحت اسم "التفسير الموضوعي"، ومن الكتب المعاصرة في هذا النوع: (اليهود في القرآن الكريم)

لمحمد عزة دروزة – رحمه الله–، وغير ذلك.

ويتبع ذلك أن نتحدث في مناهج التفسير الموضوعي عند العلماء، فالعلماء لم يتوسعوا إلى الآن في بيان وتفصيل التفسير الموضوعي بمعناه الحديث، وإنما لأنه نوع جديد أخذ يتلمس طريقه إلى التبلور والتأليف.

المطلب الثاني: بيان أقسام التفسير الموضوعي بمعناه الحديث وأنه ثلاثة أقسام

فالتفسير الموضوعي –من هذا الجانب – ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التفسير الموضوعي الوجيز، وهو الذي يختار فيه المفسر عدة آيات لتفسَّر موضوعيًا في مقالة أو محاضرة أو خطبة أو حديث إذاعي ونحو ذلك، وينبغي الاجتهاد في اختيار الآيات الجامعة، وضبط عناصر الموضوع؛ حتى يأتي موضحًا لموقف القرآن الكريم – ما أمكن.

القسم الثاني: التفسير الموضوعي الوسيط، وهو الذي يختار فيه المفسر موضوعًا يعرضه من خلال سورة واحدة مثل" العقيدة في سورة الشورى" مثلًا، أو من خلال مجموعة سور كـ "العقيدة في مجموعة سور: الحواميم ([236]) السبعة"،

236- المعنى الدارج يُقال سور الحواميم، والمعنى الصحيح أن يُقال: سور آل حميم.

قال محمود شكري الألوسي في روح المعاني جـ 24/ ص40 باختصار:

شبكة الألوكة www.alukah.net

أو من خلال القرآن كله، وحينئذ يلزم المفسر اختيار جوامع الآيات الكريمة التي تمثل أطراف الموضوع وعناصره، ثم يعرضها عرضًا وسَطًا بعد النظر والموازنة، ومن أمثلة هذا النوع: الموضوعات الملحقة بدراستي في كتاب التفسير "المدخل إلى التفسير الموضوعي" مثل: الوحدانية والتوحيد، والمعية، والتبعية، والعلم في ضوء القرآن الكريم، والدار الآخرة في ضوء القرآن الكريم، وهكذا.

هذا النمط هو الذي نرشحه لكتاب "التفسير الموضوعي الجامع" والذي نرجو أن يضم تفسيرًا لموضوعات القرآن الكريم؛ مجموعة ومرتبة على نظام موضوعي علمي، يرجع إليه العلماء والباحثون على نمط مبسوطات التفسير التحليلي.

عن جمع (حم): "ويجمع على حواميم وحاميمات ... وأما الأول فقد تقدم عدة أخبار فيه، ولا أظن أن أحدًا ينكر صحة جمعها، أو يزعم أن لفظ حواميم فيها من تحريف الرواة الأعاجم ... وذهب الجواليقي والحريري وابن الجوزي إلى أنه لا يقال حواميم، وفي الصحاح عن الفراء: "أن قول العامة الحواميم ليس من كلام العرب."

وذكر السيوطي عن ابن خالويه في كتاب (ليس) أنه قال:في المزهر في علوم اللغة جـ1/ ص 246.

الحواميم ليس من كلام العرب، إنما هو من كلام الصبيان، تقول: تعلمنا الحواميم، وإنما يقال: آل حاميم كما قال الكميت :

وجدنا لكم في آل حاميم أية .....تأولها منا تقي ومعرب.

وأما الأحاديث التي وردت فيها لفظة الحواميم فلم نقف على شيء مرفوع صحيح من ذلك.

فأما حديث (الحواميم ديباج القرآن) قال عنه الألباني رحمه الله تعالى :موضوع، (السلسلة الضعيفة 3537) وحديث (الحواميم روضة من رياض الجنة) قال عنه الألباني رحمه الله تعالى أيضًا :ضعيف (ضعيف الجامع (2801) وحديث (...وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور) قال عنه :ضعيف جدًا (ضعيف الجامع 3051)، وحديث (الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع...) ضعيف (ضعيف الجامع 2802) وأما حديث (مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب) فلم أعثر عليه، ولا من تحدث عن صحته أو ضعفه. والله تعالى أعلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الثالث: التفسير الموضوعي البسيط

يعني: المبسوط الموسَّع- وهو الذي يقوم على الاستقراء والاستيعاب، وعلى الإحصاء الشامل لموضوع ما، فيجمع المفسر آياته، وعلى الوجه التفصيلي الذي سنذكره -إن شاء الله تعالى- في طريقة التفسير الموضوعي، وهذا النوع لا يتحقق عمليًا إلا بنوعين،

النوع الأول: إذا كان الموضوع في القرآن محدودًا في آيات معدودة، يسهل على المفسر أن يجمعها، ويستخرج عناصرها بلا حاجة إلى اختصار، ولا اختيار ولا موازنة، وذلك كموضوع الجن في ضوء القرآن الكريم، أو قصة إسماعيل عليه السلام في ضوء القرآن الكريم، أو الصوم في القرآن، ونحو ذلك فهذا النوع ممكن أن يكتب فيه على سبيل الاستيعاب بلا تعب ولا موازنة.

النوع الثاني: الرسائل العلمية: خاصة إذا كان الموضوع سيفرد في كتاب مستقل، والتي من شأنها أن تقوم على الحصر والاستقصاء والتي يتفرغ لها دارسها، ومشرفه، ومناقشوه، فهذا أولى الأشياء بهذا القسم من التفسير الموضوعي.

ومن موضوعات القرآن المفردة ما يحتاج بيانه إلى رسائل ضخمة، متعددة الأجزاء، وفي تقديري أن أصعب الأقسام هو القسم الثاني؛ لأنه وسط بين طرفين، فيحتاج المفسر أن يوازن بينهما، ثم هو يحتاج إلى أناة وطول نظر في الآيات الكريمة؛ ليختار أجمعها، وحتى لا يترك عنصرًا من عناصر الموضوع.

ونريد هنا أن ننبه إلى أن الاختصاص هو محور التفسير الموضوعي الجديد، على معنى أنه لا بد أن يقوم على تحديد الموضوع، وعلى تناوله من جانبه الخاص، وربط عناصره ومسائله برباطها الأكبر؛ ليتم التمايز بين الموضوعات القرآنية المتكاثرة، وليعلم ما في كل منها من وجوه الإحكام والكمال، وما فيها من وجوه الترابط والتمام، وعلى هذا يتحدد مصطلح التفسير الموضوعي الآن في هذا النوع الخاص الذي يتلخص في: جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيما يؤلف منها موضوعًا واحدًا، مستخرجًا من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة.

هذا منهج جديد على الدراسات التفسيرية والقرآنية، وقد دعت إليه حاجة المجتمع، وظروف العصر، وهيَّأ الله تعالى الأسباب لإبرازه واتجاهه نحو الاكتمال على أيدي

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسلمين وغيرهم؛ مصداقًا لوعد الله الوثيق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 90). (237).

المطلب الثالث: بيان أنواع التفسير الموضوعي حصريًّا

وأنها ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح(238) القرآني:

بحيث يختار الباحث لفظة أو مصطلحًا، تتكرر في القرآن كثيرًا، فيتتبعها من خلال القرآن، ويأتي بمشتقاتها، ويستخرج منها الدلالات واللطائف.

ينبه الباحث - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - ويقول:

"وعبارة المصطلح القرآني المذكورة آنفًا فيها نوع تجاوز في إطلاق هذا اللفظ على كلام الله تعالى، وقد أُشار إلى مفهومها وتعريفها في الهامش لأهمية ذلك الأمر الذي يتعلق بكلام الله تعالى". (239)، ويمكن الاستعاضة عنها بعبارة"الكلمات القرآنية" أو

237- مدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، نسخة موقع منارات، ويُنظر: (المدخل إلى التفسير الموضوعي (صـ26-27).

238-أبقيت نص كلام دكتور/ مصطفى مسلم - رحمه الله- من كتابه: مباحث في التفسير الموضوعي: 23: 28 بتصرف.

239-عبارة المصطلح القرآني لا تليق بكلام الله المنزل، لأن المصطلح ما اصطُلِحَ عليه وهو من فعل البشر الذي يجب أن يُنزه عنه كلام الله تعالى.

وتأمل تعريفه:

والاصطلاح هو: اتفاق قوم ما على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول،

وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما. وقيل اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وقيل إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر،لبيان المراد. وقيل لفظ معين بين قوم معينين.

وقيل: الاصطلاح هو: العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتهما فيأمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها. والاصطلاحي هو ما يتعلق بالاصطلاح، يقال هذا منقول اصطلاحي وسنّة اصطلاحية وشهر اصطلاحي ونحو ذلك. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (212/1، وما بعدها). الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"التفسير الموضوعي للكلمات والألفاظ القرآنية"، ونحو ذلك مما يدلل على أن القرآن كلام الله تعالى. أ هـ

النوع الثاني: التفسير الموضوعي لموضوع قرآني: بحيث يختار الباحث موضوعًا من القرآن، له أبعاده الواقعية في الحياة، أو العلم، أو السلوك .....، مما يفيد المسلمين منه ويشكّل منه موضوعًا معينًا، يخرج بخلاصة تساعد على حل مشاكل المسلمين ومعالجة أمورهم، وهذا النوع من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص وإذا أطلق اسم (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه.

النوع الثالث: التفسير الموضوعي للسور القرآنية: حيث يبحث في هذا النوع عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة. ([240])

المبحث الرابع: بيان الفرق بين التفسير الموضوعي ومناهج التفسير الأخرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي وأبين الفوارق بينهما

وهي على النحو التالي:

1- في التفسير التحليلي يلتزم المفسر بالترتيب التوقيفي للآيات والسور كما هو في المصحف.

أما في التفسير الموضوعي فلا يلتزم ذلك الترتيب، وإنما يلتزم بترتيب آيات الموضوع المزمع دراسته حسب نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد تجميعها وانتزاعها من سورها.

2- في التفسير التحليلي: يتعرض المفسر للحديث عن عدة موضوعات بحسب ما يرد في الآيات أو السور التي يتناولها بالتفسير.

240-مباحث في التفسير الموضوعي: 23: 28 بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما في التفسير الموضوعي: فلا يتعرض المفسر لغير، موضوعه، وما يدور في فلكه من أبحاث تخدم موضوعه الذي شرع في دراسته، وبذلك يتمكن من علاج موضوعات كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية(241).

3- في التفسير التحليلي: يتعرض المفسر للألفاظ والآيات القرآنية بالشرح والتحليل بما يتفق ومنهجه التفسيري، وثقافته الخاصة.

أما في التفسير الموضوعي: فلا يشرح من ذلك إلا ما يحتاجه للوصول لغرضه ويكشف له عن غوامض موضوعه.

4- في التفسير الموضوعي: يمكن أن تنظم الموضوعات القرآنية، على هيئة أبحاث مستقلة ـ كما سبقت الإشارة ـ ينفرد بعضها عن بعض بالبحث والدراسة التي تظهر هداية القرآن على الوجه الذي يطمئن إليه القلب ويشق طريق الحياة لصاحبها، ويلهمه الرشد والسداد.

أما في التفسير التحليلي وبأساليبه المختلفة: يصعب على الناظر أن يجد ذلك.

ثم إننا نجد فوق ذلك: أن المنهج التحليلي: هو المعروف من القديم، والذي تزخر المكتبة القرآنية بالتفاسير التي التزمت به.

أما الموضوعي: فهو ـ وإن وجدت له في القديم بذوره، وألفت فيه بعض الكتب، إلا أنه ـ لم يأخذ طابعه النهائي بعد، ومازالت المكتبة الإسلامية القرآنية تتطلع إلى الكثير من أبحاثه. يترجم هذا التطلع الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بقوله: "نود بكل الصدق والإخلاص أن تتضافر جهود العلماء والباحثين على المستوى الفردي والجماعي على هذا اللون من التفسير لتكوين مكتبة جليلة في البحوث القرآنية"(242).

241- محمود شلتوت: من هدى القرآن ص324.

242- الدكتور: محمد عبد الرحمن بيصار. مقدمة "الإنسان في القرآن" ص 3.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير الإجمالي

1- بينما يجد المفسر حسب منهج التفسير الموضوعي يهدف إلى موضوع واحد متتبعًا لآياته حيثما كانت، في مكي القرآن أو مدنيه بغض النظر عن ترتيبها المصحفي.

نجد أن صاحب التفسير الإجمالي ـ وإن كان: يعمد إلى الآيات القرآنية، قاصدًا إلى معاني جملها، متتبعًا ما ترمي إليه من مقاصد، وتهدف إليه الجمل من معان، مبينًا لهذه المقاصد، وموضحًا لهذه المعاني، بوضع كل ذلك في إطار من العبارات التي يصوغها من ألفاظه(243)، فإن ـ المفسر- في تحقيق هدفه هذا غير مخالف ترتيب المصحف، بل متبع له كما هو موجود في المصحف العثماني.

2- في التفسير الموضوعي: يهدف الباحث إلى خدمة موضوع واحد، ويظل ملتزمًا بالعمل في إطاره، حتى يتم له بحثه وتوضيحه في منهجية وموضوعية تمكنه من إبراز كل نواحيه، وتوضيح كل خوافيه، كما تمكنه من الدفاع عنه إذا تطلب الأمر.

أما في التفسير الإجمالي: فإن المفسر لا يهدف إلى موضوع واحد، بل هو يتناول في تفسيره كل ما تشير إليه الآيات ـ بترتيبها المصحفي ـ من موضوعها دون أن يربط هذه الآية الواردة في هذا الموضوع بالأخرى التي في نفس الموضوع إلا إذا كانت بطريقة إجمالية، تستسيغها الجماهير، ويدركها من له من العلم زاد قليل.

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير المقارن

1- إن التفسير الموضوعي ـ كما قدمنا ـ يهدف إلى دراسة موضوع قرآني واحد.

بينما يهدف التفسير المقارن إلى "بيان الآيات القرآنية على وفق ما كتبه جمع من المفسرين(244).

2- أن التفسير الموضوعي كي يصل الباحث فيه إلى الهدف:

"لابد من جمع الآيات القرآنية التي تتصل بنفس موضوع البحث، وتكوين الموضوع القرآني على ضوئها، والعمل لخدمته تحت ظلال مفاهيمها.

243- دكتور: أحمد السيد الكومي. التفسير الموضوعي ص6.

244- المرجع السابق ص7.

شبكة الألوكة www.alukah.net

بينما الباحث في التفسير المقارن كي يصل إلى هدفه لابد أن يعمد إلى جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد، مستطلعًا آراء المفسرين الذين فسروا هذه الجملة من الآيات سواء كانوا من السلف، أم من الخلف... الخ ويوازن بين هذه الاتجاهات المختلفة، والمشارب المتنوعة، فيما سلكه كل منهم في تفسيره، وما انتهجه في مسلكه"(245).

المبحث الخامس: مناهج البحث في التفسير الموضوعي

وفيه مطلبان:

لا بد أن يُعلم أولًا أن البحث في التفسير الموضوعي يكون من خلا ل القرآن بأكمله، أو بسورة منه، أو بآية منه، أو بكلمة منه كذلك.

وستتناول الدراسة البحث من خلال القرآن بأكمله، ومن خلال السورة كذلك، وذلك لأنهما المبحثان الرئيسان وإنما الآية والكلمة تدخلان تحتهما ضمنًا.

المطلب الأول: منهج البحث في التفسير الموضوعي من خلال القرآن الكريم بأكمله وخطوات البحث فيه:

لابد للباحث في التفسير الموضوعي من خلال القرآن الكريم من اتباع خطوات ثابتة كدليل يسير عليه في خطوات بحثه ولا غنى له عنه أبدًا، ومن أبرز تلك الخطوات ما يلي:

1- تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدًا دقيقًا واضحًا في معالمه وأبعاده وخطواته وأولوياته.

2- التأمل في الآيات المتعلقة بموضوعه ومن ثم جمعها، سواء كان تعلقها بالموضوع صريحًا أو بالإيحاء.

3-لابد من ترتيب الباحث لما جمع من آيات ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا، وذلك لأن المكي والمدني المعتبر فيه الزمان لا المكان كما هو معلوم في تعريف المكي والمدني

245- نفس المرجع، وللاستزادة يُنظر: د/عبد الحي الفرماوي (البداية في التفسير الموضوعي).

وقد سبق معنا بيان ذلك، وهذا الترتيب من أهم أهدافه مراعاة خصائص المكي والمدني ولاسيما في التشريع، فلكل منهما خصائصه التشريعية كما هو معلوم كذلك.

4- بعد جمع الآيات الموضوعية لابد من الرجوع إلى التفسير الأم ألا وهو التفسير التحليلي، فليس القصد جمع الآيات ذات الموضوع الواحد في مكان واحد فحسب، فلابد من الرجوع إلى التفسير التحليلي والنظر في الآيات وما سيقت من أجله، والتأمل في أسباب نزولها، ولا بد من معرفة موقع النص القرآني ومعرفة ما يحيط به سباقًا ولحاقًا وموضعًا، وذلك كله مما يعينه على فهم الأهداف والمقاصد الحقيقية للنص القرآني الذي من أجله سيقت الآيات، وفهم ما دلت عليه اللغة في بيان وإيضاح معانيها- نحوًا وصرفًا وبلاغة: " بيانًا وبديعًا ومعاني" كذلك ، مع بيان غريب القرآن، وكذلك إذا مر بقراءة لابد له من توجيهها لزيادة إيضاح المعنى وبيان دلالاتها على هدايات الآيات وما يتعلق بها من أحكام.

كل ذلك في إطار أصول البحث العلمي الذي يدلل عليه تسلسل خطوات البحث والتتابع والتعانق والترابط بين أفكاره وخطواته، مقدمًا الأهم فالمهم، وذلك بأسلوب علمي رصين وبخطوات تأصيلية لا يشوبها أي خلط يخرجها عن الأسلوب العلمي الأصيل، ومن ثم النظر في المعنى الإجمالي العام وما دلت عليه من هدايات وأحكام وآداب، ثم إعادة النظر في الآيات وهل هي محكمة، أم فيها ناسخ أو منسوخ، كل ذلك يكون في ظل بيان الحِكَمِ التي من أجلها سيقت الآيات، مع إبرازه لحقائق القرآن الكريم وهداياته ودلالاته كما أسلفنا.

5- وعليه أن يحرص كل الحرص على تنقية بحثه من القصص الإسرائيلي وضعيف الروايات وغريبها، مع الحرص كل الحرص كذلك على أعظم الأهداف وأجل الغايات ألا وهو سلامة المعتقد ولزوم معتقد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، ولاسيما في باب إثبات صفات الرب جل في علاه، مع وجوب التنبيه إلى مزالق أهل التأويل وذلك يتأكد أكثر عند تعرضه للنقل عمن وقع وخاض في التأويل من بعض أهل التفسير، وكذلك من نهج نهج أهل الاعتزال، وسائر المناهج العقدية الخارجة عن منهج أهل السنة والجماعة كليًا كان خروجها أو جزئيًا، وذلك مع

شبكة الألوكة www.alukah.net

لزوم الأدب والتلطف ولزوم وسطية أهل السنة في ذلك، ولا يكون ذلك إلا نصحًا لله ولكتابه ولرسوله

ولأئمة المسلمين وعامتهم، مع مراعاة جانب الإخلاص وصدق النية وإصلاح الطوية.

6- ولا بد للباحث من الاستشهاد بالأحاديث الثابتة الصحيحة المتعلقة بموضوعه، وتجنب الضعيف والموضوع، ولابد من الحكم على الأحاديث الواردة عدا ما كان في الصحيحين، وذلك لتلقى الأمة لهما بالقبول لكونهما أصح الكتب المصنفة، ولا يدع ذلك بحجة أن البحث قرآني، وذلك لأن السنة مبينة لمجمل القرآن وموضحة ومفسرة لمعانيه، ومع ذلك فهي المصدر الثاني لمصادر التفسير بالمأثور مع القرآن، مع مراعاة أن الأصل هنا هو التفسير الموضوعي المتعلق بالآيات التي تتعلق ببحثه، والأحاديث يستدل بها على ما يؤيد موضوعه ويعاضده فحسب، وهذا لا يخرج الموضوع عن كونه بحثًا قرآنيًا.

7- وكذلك له أن يعرج على الاستشهاد بأقوال من عاهدوا التنزيل وهم الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك له الاستشهاد بأقوال من تلقوا عمن عاهدوا التنزيل وهم التابعون لهم بإحسان.

8- وبعد جمعه للآيات واستشهاده بالأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين

والقيام بكل ما سبق ذكره، عليه أن يقوم بوضع تصور عام لبحثه وترتيب خطواته وما يتعلق ببحثه من أفكار، ترتيبًا أوليًا في الأهمية مقدمًا الأهم على المهم كما أسلفنا.

9- ولا بد له من مراعاة بيان جوانب الحكمة الإلهية في تكرار وتعداد الآيات المتعلقة بموضوع واحد.

10- ولابد من بيان ما يتعلق بالمحكم والمتشابه والعام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر، وذلك مما يزيد بحثه وضوحًا فيرتفع الغموض ويظهر المعنى أكثر وضوحًا وبيانًا وتتجلى معاني الآيات بصورة جلية لا غموض فيها، وبذلك تتحقق الغاية التي من أجلها سيق البحث وخيضت غماره من أجله، وقد مر بنا بيان بعض هذه الأصول مفصلة وأوردنا بيانها هنا جملة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

11- آيات الموضوع الواحد قد يبدو للعيان أحيانًا منها ما من ظاهره التعارض، فلا بد للباحث إزالة تلك الشبه وإزاحة الستار عن هذا الغموض، ويكون ذلك ببيان الحكمة من وجود مثل هذا التعارض الإيهامي، وثانيًا بتوجيه الآيات التي ظاهرها التعارض حتى تبدو معاني الآيات واضحَة للعيان لا شبهة فيها ولا تعارض وإن كان أصل هذا التعارض ظاهريًا فحسب.

12- أغلب البحوث المقدمة في التفسير الموضوعي غالبًا ما تكون أطروحات تُقدم لنيل درجة علمية تخصصية، فلها ولغيرها، ولكن لها آكد، لابد من مراعاة تقييد خطة البحث على طريقة الأطروحات العلمية على أن يُراعى فيها أهم ما يلي:

أ- لابد من اختيار اسمٍ مناسبٍ للموضوع وأن يكون تعلقه به تعلقًا لازمًا، ولا يجوز له أن يعدل عن اللفظ القرآنيّ إلى معنى من معانيه؛ وذلك لأن هذا اللفظ المختار من التفسير الموضوعي مراد لذاته، وليس له اختيار اسم خارج عن آيات بحثه وموضوعها إلا عند الضرورة القصوى وفي أضيق الحدود ما دام اسم موضوع بحثه متوافرًا بين طيات آيات بحثه إما بلفظ صريح أو كونه مقتبس المعنى من آيات بحثه، وإذا لم يجد اسم الموضوع صريحًا ولا مقتبَسًا، فإنه يلجأ بعد ذلك لأقربَ لفظ إلى اللَّفظ الوارد في القرآن.

ب- يقسم البحث إلى عدة فصول حسب مقدار البحث طولًا وقصرًا، مع مراعاة الوسطية في ذلك، فيكون وسطًا بلا تطويل ممل ولا تقصير مخل، فيورد عبارات جامعات مانعات وافيات بالغرض بلا تطويل ولا تقصير.

ج- يُدرِج تحت كل فصل مباحث عدة مراعيًا توازن تلك المباحث في كل فصل من جهة عدد صفحاتها، وطولها وقصرها كذلك إلا ما دعت إليه الضرورة القصوى، ولابد له من بيان ما أدى لتلك الضرورة.

د- يُدرِج تحت كل مبحث عدة مطالب وافية كافية مراعيًا ما سبق ذكره في الفصول والمباحث.

هـ- ولابد له من مراعاة العناوين الأصلية والفرعية، فالأصلي منها يكون عنوانًا بارزًا في بداية كل فصل، والعناوين الفرعية تكون في بداية كل مبحث وهكذا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

و-لابد من العناية بشمولية خطة البحث على المقدمة والأسباب الداعية لخوض غمار البحث، وسؤال البحث، وإشكالياته، ولابد له من ذكر أبرز الدراسات السابقة لموضوع بحثه، وذلك ليبين ما يميز بحثه عن البحوث السابقة، ويبرهن من خلال بحثه هذا أنه قد أضاف به بحثًا جديدًا وليس بحثه نسخًا لبحوث سابقة، كما عليه أن يذكر الصعوبات التي واجهته أثناء بحثه، ويختمها بأبرز النتائج وأهم التوصيات، مع العناية بمجموع الفهارس ولاسيما فهرس المراجع، كل ذلك في إطار طرق تناول البحث العلمي، وتحت مظلة أصول وأساليب الأطروحات العلمية، معتنيًا بالأدلة وشواهدها، مسندًا كل قول لقائله معتمدًا في ذلك أصول الأمانة العلمية في النقل والعزو.

ز-لابد له كذلك من العناية بالتراجم للأعلام غير المشاهير، ومن ذكر سنة الوفاة بجوار أقوال الأعلام عمومًا لأهمية ذلك ولما يترتب عليه من رفع الالتباس عند تشابه الأسماء، فذكر سنة الوفاة سمة بارزة في التمييز بين الأعلام.

المطلب الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة بعينها وخطوات البحث فيها

من أبرز وأبين تلك الخطوات ما يلي:

1- ذكر اسم السورة أو أسمائها إن كان لها أكثر من اسم، ولابد من مراعاة جانب الاستدلال على أسماء السورة مع بيان ما هو توقيفي منها وما هو اجتهادي، وتجنب كل مالم يثبت لها من أسماء ومالا يصح إلا بدليل قطعي، أو ببيان سبب التسمية الاجتهادية ووجه الاستدلال على ما سميت به السورة، وكذلك على العلاقة بين تلك التسمية وبين موضوع السورة.

2- بيان زمن نزول السورة، أي: " مكيها أو مدنيها" لأن المعتبر في المكي والمدني هو الزمان لا المكان كما هو معلوم، ومن ثم تحديد مكان نزولها إن أمكن ذلك.

3- ذكر نزول السورة والوضع العام الذي نزلت فيه، وبيان وتحديد وقت نزولها بالنسبة لعمر الدعوة، سواء أكان ذلك في عهد الابتلاء المكي، أم في عهد بناء الدولة وتأسيسها والتمكين لها في العهد المدني، لأن بيان ذلك وإيضاحه يعطي تصورًا ومفهومًا واضحًا وجليًا عن الوضع الذي نزلت فيه السورة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

4- توضيح وتجلية أهم مقاصد السورة وأغراضها وأهدافها الرئيسية، وبيان أهم الدلالة التي على أساسها حُددت تلك المقاصد والأغراض والأهداف، وذلك يكسب تلك الأمور القناعة والانقياد والتسليم لها ولما ذُكِرَ منها.

5- لابد من تحديد وبيان المحور الأساسي الذي يتمحور حوله موضوع السورة الرئيس ، ثم ربط ذلك بين المواضيع الفرعية للسورة وحبكها وسبكها في صياغة موضوعية واحدة للتدليل على أوجه الترابط النصي بين الموضوع والمحور الرئيس في السورة وبين ما تفرع عنه من محاور ومواضيع.

6- تقسيم السورة إلى وحدات موضوعية تحمل اسمًا يدل على محورها الرئيس الذي يدور حوله موضوع السورة كوصف الجنة أو النار، أو الحديث عن بر الوالدين، أو الجهاد في سبيل الله، أو المواريث وأنصبتها ونحو ذلك، كالسور السبع الطوال، والتي هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة؛ لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة.

وكذلك تقسم السور المتوسطة إلى موضوعات، ويبين أوجه الترابط بينها وبين موضوعاتها كذلك. والسور المتوسطة كالمئين، والمِئُون هي السور التي يقترب عدد آياتها من المائة أو تزيد.

7- التفسير الموضوعي من أهم وأبين خصائصه معالجة ما يجد من قضايا ووقائع وأحداث، فلابد من تناول أظهر مرامي السورة ودلالاتها وكيفية الإفادة من بيان تلك الدلالات على معالجة القضية الموضوعية التي يتمركز حولها موضوع السورة الرئيس وربطه بالواقع الذي تعالجه مقاصد ودلالات تلك السورة.

8- لابد من تَعرُّض دراسة السورة للدراسة التحليلية الموضوعية، ذلك لأن التفسير التحليلي هو التفسير الرئيس، وطريقته كذلك هي الطريقة الأم التي يتناول بها المفسر تفسير القرآن على العموم، وكذلك لابد من النظر في التفاسير التي اعتنت بالتفسير التحليلي والذي يتناول مفسرها تفسيره بالتفسير بالمأثور، كتفسير الإمام الطبري ومن نحى نحوه وسلك مسلكه كابن كثير في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور وكل من نحا نحوهم..

ويأتي التفسير الإجمالي المختصر تبعًا لذلك.

وستأتي طريقة البحث في التفسير الموضوعي بشيء من التفصيل والإيضاح وبصورة أكثر توسّعا وبيانًا وإيضاحًا في مبحث بين يدي السورة، وذلك ليتبين للدارس والباحث في التفسير عمومًا، وفي التفسير الموضوعي خصوصًا، طريقة وكيفية هذا البحث بسياق مثال لذلك ألا وهو سورة الفاتحة، وليكون ذلك بمثابة البيان والتدريب العملي للخوض في غمار هذا البحث الهام بإذن الله تعالى.

وفي ضوء ما ذُكِرَ آنفًا يتبين لنا أن البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة بعينها من المباحث الهامة في التفسير الموضوعي التي يجب أن تُولى عناية بالغة من الباحثين وأن تُحظى باهتمام زائد في إبراز أهم المعالم الشخصية التي تتميز بها السورة، ولذا وجب على الباحث المتصدر للبحث الموضوعي في سورة بعينها مراعاة أهم الجوانب العلمية التأصيلية والأساسية التي تُعنى بإبراز السورة وبيان أهم ما حوته بين طيات آياتها من ذخائر ونفائس، وما مر معنا كان بيانًا موجزًا.

المبحث السادس: سورة الفاتحة مثالًا للبحث في التفسير الموضوعي من خلال سورة من سور القرآن الكريم: " سورة الفاتحة أنموذجًا "

وفيه سبعة مطالب:

وستتخذ سورة الفاتحة كمثال توضيحي وتفصيلي لهذا المبحث الهام وبشيء من التوسع قليلًا، وليتمكن الباحث من استيعابه بيسر وسهولة، ولأن بحثنا هنا بحثٌ تعليميٌ تدريبيٌ كما أسلفنا مرارًا، ومن أهم تلك الأصول والمعالم:

المدخل أو المبحث التمهيدي بين يدي السورة الكريمة، على أن يحتوي هذا المدخل أو المبحث على سبعة مطالب رئيسة وأساسية على نحو ما يلي:

1- اسم السورة أو أسماؤها

2- عدد آياتها وكلماتها وحروفها

3- بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها

4- محور مواضيع السورة وبيان أهم مقاصدها وأغراضها

شبكة الألوكة www.alukah.net

5- سبب نزولها، وبيان زمن نزولها أي: " مكي، أو مدني" على أن المعتمد والمعول عليه في تعريف وتحديد المكي والمدني هو الزمان لا المكان كما مر معنا بيان ذلك سالفًا، وكذلك بيان ترتيبها" النزولي، والمصحفي"

6- المناسبات في السورة، فيذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- المناسبة بين السورة وبين سابقتها ولا حقتها

ب- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها.

ج- المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها.

د- المناسبة بين آيات السورة بعضها البعض أي في موضعها

هـ- المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها

و- المناسبة بينها وبين مثيلاتها في أبرز الصفات الجامعة بين سورتين أو أكثر، كما هو الحال في فاتحة الكتاب هنا، فهي أحد السورة المفتتحة بالحمد، فيذكر أوجه المناسبة بينها وبين مثيلاتها من السور المفتتحة بالحمد، وذكر اختصاص كل سورة من تلك السور بما افتتحت به.

7- بيان المعنى الإجمالي للسورة

وبعد ذكر تلك المطالب السبعة بالإشارة، فلابد من ذكرها وبيانها بأوضح وأيسر عبارة، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: اسم السورة

اسم السورة، أو أسماؤها: وذلك إن كان لها أكثر من اسم، فقد لا يكون للسورة إلا اسمًا واحدًا أو اسمين اثنين، وقد يكون لها أسماء عدة، وتعدد الأسماء إنما يدل على شرف المسمى وعلو قدره، فالفاتحة مثلًا لها أسماء عديدة أوصلها بعضهم إلى نَيْفٍ وَعِشْرِينَ اسْمًا، كما ذكر صاحب الإتقان. ([246])

246- للاستزادة يُنظر: الإتقان في علوم القرآن 1/ 148.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جرى تسمية السور بما يناسب أهم مواضيعها، أو باسم أبرز ما ذكر فيها، كالفاتحة لأنها فاتحة القرآن، وإن كان أصل التسمية لا يعلل، ولكن قضى الله بحكمته الكمال والتمام لكلامه سبحانه من كل وجه.

يقول ابْنِ الجَوْزِيّ: (ت: 597هـ)- رحمه الله -:

فمن أسمائها: الفاتحة لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. (247)

ويقول ابن كثير(ت: 774هـ)- رحمه الله -:

يقال لها: الفاتحة، أي فاتحة الكتاب خطًّا، وبها تفتح القراءة في الصلاة، ويقال لها أيضًا: أم الكتاب عند الجمهور. (248)

معنى الفاتحة:

يقول الشوكاني (ت: 1255هـ)- رحمه الله -:

معنى الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتتح به، ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فسميت هذه السورة فاتحة الكتاب لكونه افتتح بها، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن .

وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة بهذا الاسم في أيام النبوة. (249)

أسماء السورة الكريمة:

قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سَمَّى بعض سور القرآن الكريم، كالفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف.

واختلف أهل العلم، هل أسماء سور القرآن الكريم كلها ثابت بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أم أن بعضها ثبت باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم؟

247- زاد المسير: (10/1) . تفسير ابن الجوزي-زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة: الأولى -1422هـ .

248- ابن كثير: (101/1).

249- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار المعرفة، سنة النشر: 1423هـ / 2004م، عدد الأجزاء: جزء واحد، (13/1)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فذهب أكثر أهل العلم إلى أن أسماء سور القرآن كلها ثابتة بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري(ت: 310هـ)- رحمه الله -:

لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم".انتهى. (250)"

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن بعض أسماء سور القرآن الكريم كان بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم لها، وبعضها كان باجتهاد من الصحابة أنفسهم - رضي الله عنهم -، وهذا هو القول الصحيح المتلائم مع عموم الأدلة.

يقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : (251)

إنه لم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، أو أم القرآن، أو أم الكتاب. (252)

250- جامع البيان:(100/1)

251-محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في مدينة تونس سنة (ت: 1269هـ)، الموافق (1879م) ، وهو من أسرة علمية عريقة، أحد أهم العلماء الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين. وفاته: وقد توفي الطاهر بن عاشور في (13 رجب 1393 هـ = 12 أغسطس 1973م)

أما عقيدته، فالطاهر ابن عاشور كان في مسائل الاعتقاد وعلم الكلام: على مذهب الأشاعرة من حيث الأصل، ويظهر اعتقاد العلامة ابن عاشور واضحًا في موقفه من نصوص الصفات، فهو إما أن يؤولها، وإما أن يفوضها، وهذان طريقان معروفان للأشاعرة، وكلاهما مخالف لمذهب السلف في باب الصفات: حيث يثبتونها على ما يعرف من معناها في لغة العرب، من غير تأويل لها، أو تشبيه لصفات الله تعالى بصفات خلقه، أو تمثيل لها، جل الله تعالى عن كل عيب ونقصان، وينظر في ذلك تفسيره للإتيان (284/2) والاستواء (187/16)، واليدين (302/23).

وللاستزادة والوقوف على تفاصيل حياته والتعرف على منهجه ومؤلفاته، ينظر:

* كتاب: " شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور " تأليف: بلقاسم الغالي

* كتاب: " محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه " تأليف: خالد الطباع

* مقدمة كتاب: " مقاصد الشريعة لابن عاشور " تحقيق: محمد الطاهر الميساوي.

* كتاب: " التقريب لتفسير التحرير والتنوير" تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

* كتاب " تراجم لتسعة من الأعلام " تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

252- التحرير والتنوير(132/1)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ورد في أجوبة "فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء" بالمملكة العربية السعودية جوابًا عن هذا السؤال، ونصه:

لا نعلم نصًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على تسمية السور جميعها، ولكن ورد في بعض الأحاديث الصحيحة تسمية بعضها من النبي - صلى الله عليه وسلم-، كالبقرة، وآل عمران، أما بقية السور فالأظهر أن تسميتها وقعت من الصحابة رضي الله عنهم" انتهى. (253)

وفي نحو ذلك يقول الزركشي(ت: 794هـ) - رحمه الله -:

"ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي ، أو بما يظهر من المناسبات ؟

فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد" انتهى. (254)

وهذا تصريح من صاحب البرهان بعدم توقيف أسماء السورة قاطبة، وأن اشتقاق أسماء السور يمكن استخراجه من معانيها، وكذلك بأبرز ما ورد فيها.

يقول ابن كثير(ت: 774هـ) - رحمه الله -:

لهذه السورة عِدَّةُ أسماء تدلُّ على فضلِها وشرفِها، واشتمالها على المقاصدِ الأصليَّة والأصول المُهِمَّة، فهي: الفاتحةُ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام. (255)

253- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء: (16/4) -فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد للنشر والتوزيع-الرياض، 1424هـ، ط2، عدد المجلدات:26.

254- البرهان في علوم القرآن: (270/1) . البرهان في علوم القرآن، الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م، دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات، عدد الأجزاء:4.

255- تفسير ابن كثير: (102/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن أشهر أسمائها:

1- فاتحة الكتاب.

فقد روى البخاري بسنده(وغيره) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب). ([256])

وفي نحو ذلك يقول البَغَوِيُّ(ت: 516هـ) - رحمه الله -:

سمّيت فاتحة الكتاب: لأنّ اللّه بها افتتح القرآن .

وسمّيت أمّ القرآن وأمّ الكتاب: لأنّها أصل القرآن، ومنها بُدِئَ القرآنُ، وأمّ الشّيء: أصله، ويقال لمكّة: أمّ القرى لأنّها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنّها مقدّمةٌ وإمامٌ لما يتلوها من السّور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصّلاة، والسّبع المثاني لأنّها سبع آياتٍ باتّفاق العلماء.

وسمّيت مثاني لأنّها تثنّى في الصّلاة، فتقرأ في كلّ ركعةٍ، وقال مجاهدٌ: سمّيت مثاني لأنّ اللّه تعالى استثناها لهذه الأمّة فذخرها لهم. (257)

ويقول الفخر الرازي(ت: 516هـ) - أيضًا -:

اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى:

فالأول: " فاتحة الكتاب " سميت بذلك الاسم لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الصلاة، وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره، وقيل: لأنها أول سورة نزلت من السماء. ([258])

والثاني: " سورة الحمد " والسبب فيه أن أولها لفظ الحمد .

والثالث: " أم القرآن " .(259)

256- رواه البخاري (195/1) ومسلم (9/2) وغيرهما.

257- معالم التنزيل: (49/1)

258- وقول الرازي أنها"أول سورة نزلت من السماء" محل نظر لأن أول ما نزل اتفاقًا صدر سورة اقرأ.

259- التفسير الكبير: الفخر الرازي: (145/1)، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة النشر: 2004م – 1425هـ، عدد الأجزاء: ستة عشر مجلد ا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أسمائها كذلك:

2- السبع المثاني والقرآن العظيم.

فعن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه، قال: كنتُ أصلِّي في المسجد، فدعاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم -فلم أُجِبْه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [الأنفال: 24]، ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه). ([260])

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: 728هـ) - رحمه الله -:

"قال الله - تعالى- في أمِّ القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5] ، وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات، لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها، ولا يكفي غيرها عنها.(261) (262).

260- أخرجه البخاري (4622)

261- يُنظر: مجموع الفتاوى (14/6،5) .

262- وللاستزادة يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة تحليلية موضوعية، بحث نال به المؤلف درجة الدكتوراه بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات، من الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، عام 1439هـ، الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص:180، وما بعدها).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أسمائها كذلك:

3-أم القرآن

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عطاء أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (فِي كُلِّ صَلاَةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أُمِّ القُرْآنِ أَجْزَأَتْ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ) (263)

فسماها أم القرآن.

وإنما سميت سورة الفاتحة أم القرآن لأسباب أربعة: (264)

السبب الأول: اشتمالها على المقاصد الأربع العظمى التي يقررها القرآن الكريم في جملته، وهي الإلهيات، والنبوّات، والميعاد، والقضاء والقدر.

السبب الثاني: اشتمالها على المقاصد الأساسية التي تدعو لها جميع الكتب الإلهية، وهي الثناء على الله سبحانه وحمده باللسان، والقيام بالأعمال البدنية من الطاعات، وطلب الهداية من الله تعالى.

السبب الثالث: اشتمالها على مقصود العلوم كافة، من معرفة مقام الربوبية، ومعرفة ذل العبودية، فلا يتم للعبد شيء من عبادة أو طاعة إلا بهداية الله تعالى وتوفيقه.

السبب الرابع: احتواؤها على أنواع العلم الثلاثة والتي هي المقصود من القرآن الكريم، وهي علم الأصول، وعلم الفروع، وعلم التصفية.

وهناك مسميات كثيرة لفاتحة الكتاب هي للأوصاف أقرب منها للأسماء.

وهذا موجود كثيرًا في بعض سور القرآن، وإنما سُقنا الفاتحة على سبيل المثال لا الحصر. (265)

263- صحيح البخاري -كتاب صفة الصلاة -باب القراءة في صلاة الفجر 267/1 رقم: 738، وأخرجه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. . رقم 396

264- فخر الدين الرازي (2004)، التفسير الكبير، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، صفحة 145. بتصرّف.

265- للاستزادة يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية - جمهورية مصر العربية - عام 1441هـ. (ص:104-وما بعدها).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

1 - عدد آياتها:

فاتحة الكتاب تعداد آياتها سبع آيات، وذلك بإجماع القرَّاء والمفسّرين وأهل العدد، وقد دلَّ على ذلك دلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فأما دلالة الكتاب:

فقول الله تعالى: (ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم) الحجر(87).

يقول ابن جرير الطبري(ت: 310هـ) - رحمه الله -:

بعد سياقه لأقوال أهل التأويل في الآية الكريمة: وقال آخرون:

عنى بذلك: سبع آيات، وقالوا: هن آيات فاتحة الكتاب، لأنهن سبع آيات، وهم أيضًا مختلفون في معنى المثاني، فقال بعضهم: إنما سمين مثاني لأنهن يثنين في كل ركعة من الصلاة .([266])

ولا ريب أن أصحاب هذا القول قد أصابوا، لأن قولهم قد ثبت تأويله وتفسيره في الحديث الثابت الصحيح، والسنة مبينة ومفسرة لمجمل القرآن كما سيأتي في بيان دلالة السنة.

ويقول ابن كثير (ت: 774هـ) - رحمه الله - بعد أن ساق القول الأول في الآية الكريمة:

والقول الثاني: أنها الفاتحة، وهي سبع آيات. رُوِيَ ذلك عن عمر وعلي، وابن مسعود، وابن عباس - رضي الله عنهم أجمعين-.

قال ابن عباس (ت: 68هـ)- رضي الله عنهما -:

والبسملة هي الآية السابعة، وقد خصكم الله بها. وبه قال النخعي، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وابن أبي مُلَيكة، وشهر بن حوشب، ([267]) والحسن البصري، ومجاهد.

266- جامع البيان (133/17)

267- شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الشامي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية.كان من كبار علماء التابعين، حدث عن مولاته أسماء، وعن أبي هريرة، وعائشة،وابن عباس.

وشهر تُكلم فيه كثيرًا وإليك كلام الألباني - رحمه الله - فيه:

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال قتادة : ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب، وأنهن يثنين في كل قراءة . وفي رواية: في كل ركعة مكتوبة أو تطوع.

واختاره ابن جرير، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك، وقد قدمناها في فضائل سورة " الفاتحة " في أول التفسير، ولله الحمد. (268)

وعن علي أبي طالب(ت: 40هـ)- رضي الله عنه - قال:

السبع المثاني: فاتحة الكتاب. (269)

وحسبك اختيار حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكذلك على بن طالب رضي الله عنهم.

ولا ريب أن أصحاب هذا القول قد أصابوا، لأن قولهم قد ثبت تأويله وتفسيره في الحديث الثابت الصحيح، والسنة مبينة ومفسرة لمجمل القرآن كما سيأتي في بيان دلالة السنة.

وأما دلالة السنة:

فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه فسرها بسورة الفاتحة؛ وذلك لما ثبت وصح عند البخاري من حديث سعيد بن المعلَّى -رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - فسرها له بقوله: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه). (270). فيكون بذلك العدد المذكور في الآية مُنصَرَفه إلى عدد آيات السورة الكريمة .

وأمَّا الإجماع:

فقد حكاه خلق كثير من العلماء لا حصر لهم.

قال - رحمه الله -: وشهر ضعيف، وقال عنه: يهم. [أحكام الجنائز 1 – 225] .

وقال - رحمه الله - في حديث: (لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام . . .).الحديث .ثم قال: وهو بهذا اللفظ ضعيف فيه شهر بن حوشب وهو سيء الحفظ لا سيما وقد خالف جميع الثقات فيه ... (الإرواء 4 – 143)

268- تفسير ابن كثير: (547/4)

269- جامع البيان للطبري: (133/17)

270- أخرجه البخاري ح (4622)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وننقل بعض أقوال من حكى الإجماع.

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ: (271) (272) وهي سبع آيات في جميع العدد. (273)

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (274) وهي سبع آيات بالاتفاق. (275)

قالَ أبو الفَرَجِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَلِيٍّ ابنُ الجَوْزِيّ: (276) فاتحة الكتاب: سبع آيات بلا خلاف في جملتها. (277)

قالَ عَلَمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخَاوِيُّ: (278) فاتحة الكتاب: هي سبع باتفاق. (279)

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ: (280) وأجمع الناس على أنّ عدد آي سورة الحمد سبع آيات، (و) ما ورد من خلاف ضعيف في ذلك. (281)

271- أبو عمرو الداني (المتوفى في شوال 444 هـ) المعروف في زمانه بـ ابن الصيرفي، عالم قراءات ومُحدّث ومُفسّر أندلسي.

وله عدد من المؤلفات منها «جامع البيان في السبع» و«التيسير في القراءات السبع» و«الاقتصاد في السبع» و«إيجاز البيان في قراءة ورش» و«التلخيص في قراءة ورش» و«المقنع» و«المحتوى في القراءات الشواذ» و«طبقات القراء» و«الأرجوزة في أصول الديانة» و«الاهتداء في الوقف والابتداء» و«العدد» و«التمهيد في حرف نافع» و«اللامات والراءات لورش» و«الفتن الكائنة» و«الهمزتين» و«الياءات» و«الإمالة لابن العلاء»

نقلًا عن الموسوعة الحرة، وللاستزادة ينظر: سير أعلام النبلاء: الطبقة الرابعة والعشرون-أبو عمرو الداني

272- (ت: 444هـ):

273- البيان: (139)

274- (ت: 538هـ)

275- الكشاف: (99/1)

276- (ت: 597هـ)

277- فنون الأفنان:(278-327)

278- (ت:643هـ)

279- جمال القراء: (190/1)

280- (ت:546هـ)

281- المحرر الوجيز: (95/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَي الكَلْبِيُّ: (282) (283) ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلّا أنّ الشافعي يعدّ البسملة آية منها، والمالكيّ يسقطها، ويعدّ (أنعمت عليهم) آية. (284)

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ: (285) وعدد آياتها سبع متفقة الإجمال. (286)

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ: (287) وهي سبع آياتٍ باتّفاق القرّاء والمفسّرين. (288)، (289)

إجماع أهل العدد:

قال البقاعي: (290)

282- ابن جزي الكلبي (693 -741 هـ = 1294 -1340 م). وابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة.

من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية -ط، بتونس، تقريب الوصول إلى علم الأصول، الفوائد العامة في لحن العامة، التسهيل لعلوم التنزيل -ط-تفسير، الأنوار السنية في الألفاظ السنية –ط،وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، البارع في قراءة نافع، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.قال المقريزي: فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف نقلا عن: «الأعلام» للزركلي

283- (ت: 741هـ)

284- التسهيل: (63/1)

285- (ت: 1311هـ)

286-القول الوجيز: (161) -القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي، شرح العلامة المخللاتي على ناظمة الزهر، رضوان بن محمد بن سليمان أبوعيد المخللاتي، تحقيق: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، مطابع الرشيد، 1412هـ-1992م.

287- (ت: 1393هـ)

288- التحرير والتنوير: (136/1)

289- وللاستزادة: ينظر: موقع جمهرة العلوم.

290- البقاعي، برهان الدين (809 -885 هـ = 1406 -1480 م)

أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي

أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما عدد آي الفاتحة: فهي سبع عند جميع أهل العدد، وهم خمسة: مدني، ومكي، وكوفي، وبصري، وشامي.(291) (292)

نظائر سورة الفاتحة في عدد آياتها:

ونظيرتها في عدد آيها في المكي والشامي سورة الناس وفي الكوفي والبصري سورة أرأيت ولا نظير لها في المدنيين. (293)

2-عدد كلماتها:

وفي عدد كلمات السورة الكريمة خلاف مشهور، وسبب الخلاف الأظهر أنه بسبب كون البسملة آية في الفاتحة، لمن أثبتها، وكونها ليست آية لمن نفاها.

القول الأول: عدد كلماتها خمس وعشرون كلمة.

واختاره جمع من أهل العلم منهم:

أبو عمرو الدَّانِيُّ. (294)، والنيسابوريُّ. (295) (296)، والإمام بْن كَثِيرٍ في تفسيره. (297)، ورِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (298)

القول الثاني: عدد كلماتها سبع وعشرون كلمة.

أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق.
له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران -خ) أربع مجلدات، و (عنوان العنوان -خ) مختصر عنوان الزمان، و (أسواق الأشواق -خ) وغيرها، نقلًا عن الأعلام للزركلي.

291- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور-للبقاعي(169/1) -مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي برهان الدين أبو الحسن؛ المحقق: عبد السميع محمد أحمد حسنين؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة المعارف؛ سنة النشر: 1408هم-عدد المجلدات: 3؛ رقم الطبعة: 1.

292- (ت 885 هـ)

293- البيان: (139) ،القول الوجيز: (161)

294-- البيان: (139)

295- غرائب القرآن: (59/1)

296- (ت: 728هـ)

297- تفسير القرآن العظيم: (102/1)

298- القول الوجيز: (161)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وممن اختار هذا القول:

عليُ بنُ محمدٍ الخازنُ، صاحب التفسير. (299) (300)

القول الثالث: عدد كلماتها تسع وعشرون كلمة.

وممن اختار هذا القول:

عمرُ بنُ عليٍ بنُ عادلٍ الدمشقيُ الحنبليُ. (301) (302)، ومحمدُ بنُ عمرَ الجاويُّ.(303) (304)

وإن قولي ابن عادل الدمشقي والجاوي، الأظهر أنه مع إثبات البسملة آية في الفاتحة.

وأما القول الأول الأظهر أنهم يعدون البسملة آية، تمشيًا مع القول بأن البسملة آية مستقلة في كتاب الله وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما مر معنا آنفًا.

والقول الثالث هو المشهور، لكن الترجيح في عدد كلماتها متعلق بالترجيح بكون البسملة آية في الفاتحة نفيًا أو إثباتًا.

نظيرتها في عدد الكلمات:

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: 444هـ)- رحمه الله -:

وكلمها خمس وعشرون كلمة ككلم أرأيت. (305) (306)

3- عدد حروفها:

وقد اختلف في عدد حروفها اختلافًا واسعًا على ستة أقول وكل قول قال به أقوام، (307) ولم يعرج الباحث على الخوض في التفصيل في عدد حروفها، إذا المعول عليه

299- لباب التأويل: (15/1)

300- (ت: 725هـ)

301- اللباب: (159/1)

302- (ت: 880هـ)

303- مراح لبيد: (7/1)

304- (ت: 1316هـ)

305-يعني بـ (أرأيت) سورة الماعون.

306- (البيان: 139).

307- وللاستزادة يُنظر: موقع جمهرة العلوم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

عدد الآيات والكلمات لأنه متعلق بموضوع قرآنية البسملة ولاسيما في كونها آية في الفاتحة نفيًا كان ذلك أو إثباتًا.

ولعل في ذلك من الكفاية والمعتبر ما يكفي لوضوح الحق لأهل البحث والنظر.[308]

المطلب الثالث: بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها، مع ذكر بعض فضائل القرآن وأنواعه

لقد صنف أئمة الإسلام في فضائل القرآن مؤلفات ومصنفات كُثُر، وكان السبق في التصنيف في هذا الميدان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (157-224هـ) رحمه الله تعالى، حيث صنف كتابًا أسماه: (فضائل القرآن ومعالمه وآدابه)، وجُل المصنفاتِ في هذا الباب من بعده تستقي من معين كتابه وتنهل من بحر علمه الزاخر، فهو بمثابة الكتاب الأم في بابه، ولقد اعتنى فيه مصنفه برواية الأحاديث والآثار بسنده ، ولكن الكتاب جمع الصحيح وغير الصحيح، ولأهمية الكتاب من الناحية العلمية والتصنيف فقد لاقى قبولًا واسعًا فمؤلفه إمام وعلم من أعلام الأمة، وكذلك لقى الكتاب العناية بالتحقيق والتدقيق من بعض الباحثين المعاصرين. [309]

وممن صنف في هذا الباب أيضًا محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الأندلسي - رحمه الله - (ت-619هـ)، فقد صنف كتابه (لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن)، ومصنفه هذا من أفضل وأنفع

308-وللاستزادة يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص: 111-وما بعدها).

309- كتحقيق مروان العطية وزملائه ونشرته دار ابن كثير بدمشق، وتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي في رسالته للماجستير ونشرته وزارة الأوقاف المغربية في جزأين. وهذا الكتاب لا يستغنى عنه بغيره لإمامة مؤلفه.

وأجمع ما صنف في بابه، ولقد اعتنى به مصنفه فجمعه من سبعين كتابًا كما بين ذلك في مقدمته، ولمكانة الكتاب وأهميته فقد لاقى عناية من بعض الباحثين فقام بتحقيقه. ([310])

وهذا الباب لاقى عناية فائقة فكتب فيه الأولون والآخرون مصنفات عدة، منها ما هو محفوظ ومنها ما هو مفقود، ومما حفظ فيما كُتِبَ في ذلك ما كتبه ابن أبي شيبة صاحب المصنف، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن كثير، وأبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي المقرئ، والإمام الآجري صاحب كتاب الشريعة، وابن الضرّيس، والنووي، ومن المتأخرين خلق كثير منهم الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ، ومما حُفِظَ أيضًا ويُفاد منه في هذا الباب الموسوعات الحاسوبية (الإلكترونية)كموسوعة علوم القرآن، فقد حوت قرابة ثمان وعشرين مصنفًا من مصنفات أمهات كتب علوم القرآن. ([311])

ولكلّ سور القرآن الكريم وآياته فَضائل عظيمة وفوائد جليلة جمة كثيرة، وذلك على العموم باعتبار أن كلام الله لا يعلوه كلام، وأن "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" ([312])، ويَرتبط التدليل على فضائل سورة بعينها أو آية أو آيات بذاتها

310- حققه الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ونشرته دار البشائر الإسلامية في ثلاثة مجلدات

311- يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص:160-161)، بتصرف يسير.

312- وأصله حديث أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب 26، رقم(2926) وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي (3359) وعبد الله بن أحمد في السنة

(1 / 149 ـ 150) والطبراني في الدعاء (1851) وأبو نعيم في الحلية (5 / 106) وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (26،27) والبيهقي في الأسماء (ص307) والاعتقاد(ص101 ـ102) والشعب (1860)وغيرهم .

وإسناده ضعيف، فيه عطية العوفي، وهو ضعيف يكتب حديثه كما قال أبو حاتم وابن معين وابن عدي، وفيه أيضًا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ضعفه غير واحد من الأئمة، وقال ابن عدي: ومع ضعفه يكتب حديثه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

بسببٍ من الأسباب ممّا يَجعل التالي لكلام الله تعالى يتأمل في فضائل ما يتلوه من سوره وآياته ويتدبرها ويستخرج فضائلها وهداياتها ويفهم مقاصدها ومراميها وينتفع بدلالاتها.

فضائل القرآن وأنواعه

وفضائل القرآن وفضائل سوره وآياته أنواع، وذلك بحسب متعلقها، ومن أبرز تلك الأنواع ومتعلقاتها ما يلي:

النوع الأول: فضل القرآن من جهة عمومه.

أ- فهو حق ويقين، فلا يلحقه شك أبَدا، وفي ذلك يقول تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (البقرة: 2)،

ب- وهو مبارك، كما قال ربنا: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص: 29).

وكما قال ربنا: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ). [الأنبياء -50]

ولمكانته وبركته حاز الشرف كله من كل وجه، وكان من أهم وأبين ذلك ما يلي:

1- أن ابتداء نزوله كان في سيدة الليالي، كما قال ربنا: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ). [الدخان 1-3]،

والليلة المباركة هي ليلة القدر بلا تردّد وهو قول جمهور العلماء، وأما القول بأن المراد بالليلة المباركة في سورة الدخان ليلة النصف من شعبان فهو قول ضعيف لقوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر: 1] مع قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (البقرة: 185) و ممن أبطل هذا القول ودفعه أبو بكر ابن العربي المالكي في أحكام القرآن عند تفسيره لسورة الدخان.([313])، و أبو شامة في المرشد الوجيز.([314]). والشوكاني في فتح القدير، كما نُقِلَ ذلك عن غير واحد من أهل العلم أيضًا.

ولا شك أبدًا أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وقد جلاها ربنا بقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ). [القدر 1-5]

313- أحكام القرآن لابن العربي المالكي: (4/ 1690)

314- المرشد الوجيز لأبي شامة: (ص: 19).

شبكة الألوكة www.alukah.net

2- وكان ابتداء نزوله في تلك الليلة، التي هي من أشرف ليالي شهر رمضان، الذي هو أيضًا سيد الشهور، كما قال ربنا: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) (البقرة: 185)

3- وكان إنزاله بواسطة أفضل أهل السماء، كما قال ربنا: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) (الشعراء: 93). والروح الأمين هو جبريل

4- وكان إنزاله على سيد الخلق أجمعين، كما قال الله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) (الكهف: 1)

وكما قال الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا) (الإنسان: 23)

وكما قال له ربه سبحانه: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ). [الحجر -87].

5- وقد جمع له الشرف كله في أربع آيات متتابعات من سورة الشعراء في قوله سبحانه: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (الشعراء: 192-195)

فجمع له شرف من أنزله وهو ربنا جل في علاه، بقوله: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء: 192).

وجمع له شرف من نزل به من السماء، ألا وهو أمين السماء جبريل، بقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) (الشعراء: 93).

وجمع له شرف من أُنزِل عليه وهو نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله: (عَلَى قَلْبِكَ) (الشعراء: 194). أي: "فتلاه عليك يا محمّد، حتّى وعيته بقلبك". ([315]).

وجمع له شرف المهمة والغاية التي من أجلها أنزل القرآن، بقوله: (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الشعراء: 194).

وجمع له شرف اللغة واللسان الذي أُنزِل به القرآن بقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (الشعراء: 195).

315- تفسير الطبري: (17/642-643).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ولا يخفى أيضًا أن الله تعالى جمع كذلك له شرف المكان ألا وهو خير البقاع "مكة المكرمة"، حيث جعلها الله مبتدأ نزول وحيه.

ج- وهو كتاب هداية، كما قال ربنا: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء: 9).

د- وهو كتاب شفاء ورحمة، كما قال ربنا: (وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا). [الإسراء -82].

هـ - وهو كتاب نذارة، كما قال ربنا: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ (الأنعام: 109)

و- وهو كتاب عظيم، ولعظمته تحدى الله به، كما قال ربنا: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). [الإسراء -88]

النوع الثاني: فضل القرآن من جهة فضل بعض سوره

المثال الأول: سورة الفاتحة

فضل سورة الفاتحة على عموم سور القرآن

ولفاتحة الكتاب المكانة العظمى فيما كُتب وصنف في هذا الباب، فقد اعتنى الأئمة ببيان فضائل السورة الكريمة وذكر ما ورد فيها من أحاديث وآثار، ومن البديهي أن يرد فيها ما هو صحيح ثابت وما هو دون ذلك كما مر معنا ذكر ذلك آنفًا، فكان من الباحث الاكتفاء بذكر ما ثبت وصح من الأحاديث والآثار الثابتة والواردة في فضل سورة الفاتحة، وهي كثيرة مما يدل على عظيم قدر السورة وجليل شأنها وعلو منزلتها، ونسوق بعض ما ورد وثبت في فضلها وخصائصها على النحو التالي:

أولًا: الفاتحة هي أعظم سور القرآن.

لا شك أن القرآن كله هو كلام الله سبحانه وتعالى، والله تعالى له الحكمة البالغة في اصطفاء وتفضيل بعض آياته وسوره على بعض لما حوته من الفضائل والحكم، وسورة الفاتحة حازت السبق الأكبر في هذا التفضيل بين سور القرآن حتى أضحت أعظم سورة في كتاب الله.

فقد ثبت عند البخاري وغيره من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ:

"كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ"(الأنفال: 24)، ثُمَّ قَالَ لِي: لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ"([316])

"فهذا الحديث نص في أن الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي المقصودة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي والقرآن الْعَظِيمَ)" (الحجر: 87)([317])

ثانيًا: الفاتحة أفضل القرآن.

لما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال:

"كان النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في مسيرٍ، فنزل، فمشى رجلٌ من أصحابه إلى جانبه، فالتفت إليه، فقال: ألا أخبركَ بأفضلِ القرآنِ؟ قال: فتلا عليه الحمد لله رب العالمين." (318)

ثالثًا: الفاتحة لها خصائص ليست لغيرها.

ومما يجلي ويوضح ما خُصت به الفاتحةُ وفُضِلَت به على سور القرآن الكريم ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنْ

316-أخرجه البخاري في تفسير القرآن باب وسميت أم الكتاب (4474)، والنسائي في الافتتاح (904)، وأبو داود في الصلاة (1246)، وابن ماجه في الأدب (3775)، وأحمد (15171)، والدارمي في فضائل القرآن(3237).

317- مدراج السالكين:(52/1).

318- رواه ابن حبان (774) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، إسناده صحيح، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (723)، وصححه الحاكم (560/1) ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان ٧٧٤، الوادعي، الصحيح المسند ٤٣، الألباني، صحيح الموارد ١٤٣١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ."(319)

ومن هذا الحديث يتجلى ويتضح عظم شأنها، ومن عظم شأنها أنها:

1- يُفتح لنزولها بابٌ من السماء لم يُفتح من قبل

2- وينزل ملكٌ خصيصًا ولأول مرة ليبشر النبيَ صلى الله عليه وسلم بها، وما أعظمها من بشارة "أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا"، حتى يبشر بها أمته.

3- فَضَّلَ اللهُ بها نبيهَ محمدًا صلى الله عليه وسلم دون سائر المرسلين، وإنما أمته تابعة له،

"لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ"

4- كما فُتِحَ الحديثُ عنها بالبشرى، خُتِمَ كذلك بالبشرى بقوله: "لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ".

وقد اختلف العلماء في معنى قوله: "إلا أعطيته" ـ فحمله بعضهم على أن المراد ما ورد فيها من الدعاء، وحمله آخرون على الثواب، ولا يمنع من اجتماع الفضلين جميعًا.

قال السندي (ت: 1138هـ)- رحمه الله – في حاشيته على سنن النسائي:

أي مما فيه من الدعاء إلا أعطيته أي أعطيت مقتضاه. اهـ.

وقال الملا علي القاري(ت: 1014هـ)- رحمه الله – في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

أي أعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة كقوله: "اهدنا الصراط المستقيم" ـ وكقوله: غفرانك ربنا ـ ونظائر ذلك، وفي غير المسألة فيما هو حمد وثناء أعطيت ثوابه. اهـ.

وقال ابن علان الصديقي المكي الأشعري ([320]) في كتابه دليل الفالحين شرح رياض الصالحين:

319- أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من سور البقرة، حديث رقم (806).

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمراد ثوابه الأعظم من ثواب نظيره في غير هذين، أو المراد بالحرف معناه اللغوي وهو الطرف، وكنى به كل جملة مستقلة بنفسها: أي أعطيت ما تضمنته إن كانت دعائية ـ كاهدنا ـ وغفرانك ـ الآيتين، وثوابهما إن لم يتضمن ذلك كالمشتملة على الثناء والتمجيد. اهـ." ([321])

وقول ملا على القاري رحمه الله هو أجمع الأقوال، وقريب منه قول ابن علان، ومما يرجح ذلك الحديث القدسي المشهور: "قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" وختم الحديث بقوله: "قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ". ([322])

والسورة "جمعت بين التوسل إلى الله تعالى بالحمد والثناء على الله تعالى وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة" ([323]) ([324])

320- ابن عَلاَّن (996 -1057هـ / 1588 -1647م) هو محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، من أهل مكة،وهو مُفسر ومحدِّث، وله مصنفات ورسائل كثيرة، ولعل أشهر آثاره «ضياء السبيل» في التفسير، و «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» في الحديث، وقد شرح فيه كتاب "رياض الصالحين".

وينظر: الزركلي خير الدين –الأعلام (2002م) ج6(الطبعة الخامسة عشر). بيروت: دار العلم للملايين. صفحة 293.

البعلبكي، منير (1991) "ابن علان ، محمد علي".موسوعة المور، وموسوعة شبكة المعرفة الريفية وعليه بتاريخ تشرين 2013 م.

وهو أشعري جلد، وخير دليل على ذلك كتابه دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، وهناك دراسة بهذا الصدد تحت مسمى "المسائل العقدية في كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمؤلفه ابن علان الصديقي "ت1057هـ -عرض ونقد- سامي عوض الذيابي- رسالة ماجستير- جامعة الملك سعود-1438هـ. (الباحث).

321- وللاستزادة: ينظر: موقع إسلام ويب، بتاريخ: (19ذو الحجة 1431هـ-/2010/11/25م)

322-أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (395)، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وقراءة غيرها إن لم يحسنها، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

ينظر: مدارج السالكين: (24/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المثال الثاني: فضل الزهراوين

فقد ورد في حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ

اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة السحرة. ([325]).

النوع الثالث: فضل القرآن من جهة فضل بعض آياته، كفضل آية الكرسي على سائر آي القرآن

كما ورد في حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: "وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ ([326]) أَبَا الْمُنْذِرِ" ([327])

النوع الرابع: فضل القرآن من جهة علو نسب أهله

وفي ذلك يقول – صلى الله عليه وسلم–: (إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أهل القران أهل الله وخاصته) ([328])

النوع الخامس: فضل القرآن من جهة قدر ورفعة من عمل به

324- يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص:161-164).

325- رواه مسلم: (صلاة المسافرين / 1337) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: قَالُوا: سُمِّيَتَا الزَّهْرَاوَيْنِ لِنُورِهِمَا وَهِدَايَتِهِمَا وَعَظِيمِ أَجْرِهِمَا.

326- (ليهنك العلم) أي ليكن العلم هنيئا لك

327- صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها(810)

328- (صحيح الجامع: 2165)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين). (329)

النوع السادس: فضل القرآن من جهة فضل تلاوته وعظم أجر تاليه

يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ) (330)

النوع السابع: فضل القرآن من جهة نزول الرحمة على مستمعه والمنصت له

كما قال تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (الأعراف: 204)

قال الليث بن سعد(ت: 175هـ) - رحمه الله -:

"يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى:

(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (الأعراف: 204)، ولعل من الله واجبة". (331)

النوع الثامن: فضل القرآن من جهة حصول الخيرية لمتعلمه ومعلمه

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (332)

النوع التاسع: فضل القرآن من جهة علو درجة تاليه في الجنة

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القران اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) (333)

وفضائل القرآن أكثر من أن يحصيها بحث أو يحويها مقال، لما لا وهو كلام ربنا الكبير المتعال.

329- قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " (5 / 281): أخرجه مسلم (2 / ن201) و الدارمي (2 / 443) (و ابن ماجة) رقم : (206) - تحقيق الأعظمي.

330- صحيح الجامع: (6469).

331- يُنظر: التذكار في أفضل الأذكار: (ص:91).

332- أخرجه البخاري: (5027).

333- صحيح الجامع: (8122).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا البيان ورد مفصلًا بعض الشيء حتى يتسنى لدارس علم التفسير الموضوعي ومتعلمه معرفة مدخل البحث في فضائل السور والآيات والوصول إليه كذلك من أسهل وأقرب وأصح طريق، ألا وهو طريق ما صح وما ثبت في هذا الباب، ومن ثم ترك ما لم يثبت، وهو كثير جدًا، وعدم الالتفات إليه ولو كثر ذكره وتداوله ونقله.

والحمد لله رب العالمين.

المطلب الرابع: بيان محور مواضيع السورة وبيان أهم مقاصدها وأغراضها

وعبارات مواضيع السورة ومقاصدها وأغراضها متباينة متقاربة المعنى والهدف والغاية، وكلها ألفاظ يستخدمها الباحثون في التفسير، ولاسيما في التحليلي منه والموضوعي وهي أكثر استخدامًا في الأول منه في الثاني لوجود الدواعي الدافعة لذلك، وبعض المعاجم اللغوية تشهد لذلك، كما قرر ذلك أيضًا بعض أئمة التفسير كالطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير.

سميت السورة بسورة الفاتحة لافتتاح القرآن بها فهي أول سورة فيه، وهي مشتملة على جميع معاني القرآن الكريم ومقاصده، فهي كالمقدمة للقرآن كله، فقد احتوت مواضيعها الدين كله.

محور مواضيع السورة:

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَالعَقِيدَةِ، وَالعِبَادَةِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَالاعْتِقَادِ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَالإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الحُسْنَى، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ وَالاسْتِعَانَةِ وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ بِطَلَبِ الهداية إلى الدِّينِ الحَقِّ وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَانِ وَنَهْجِ سَبِيلِ الصَّالِحِينَ، وَتَجَنُّبِ طَرِيقِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَالإِخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَالاطِّلاَعِ عَلَى مَعَارِجِ السُّعَدَاءِ وَمَنَازِلِ الأَشْقِيَاءِ، وَالتَّعَبُّدِ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَنَهْيِهِ(334).

أولًا: موضوع أسس قضايا العقيدة والتوحيد:

---

(334) مقال لـ: عبد الأثري: موقع صيد الفوائد، مع تصرف يسير.وبعد بحث مضنٍ لم يقف الباحث له على عزو ولم يجد له مصدرًا، ولكن يُستشعر أن فيه نَفَس ابن القيم وأسلوبه في الكتابة ولا سيما في نهايته، والله أعلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد حوت السورة بين ثنايا آياتها قضايا العقيدة، العقيدة في الله تعالى، وفي أسمائه وصفاته، وفي اليوم الآخر، والتعريف بالمعبودِ المستحق للعبادة وحده دون سواه تبارَك وتعالى.

فقوله كما قال تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾(الفاتحة: 2) فيه بيان استحقاق المولى عز وجل الحمد والثناء والتمجيد الذي هو أهله جل في علاه، مع التذكير بوجوب شكره وحمده على نعمه وآلائه، والإقرار له بالربوبية، وفي الإقرار بذلك كله تنزيه لله عن كل نقص، فكما أنه سبحانه اتصف بالكمال المطلق، فالنقائص كلها في حقه محال.

وقوله: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾(الفاتحة: 3)، فيه الثناء على الله بوصفه جل في علاه بالرحمة العامة﴿ الرحمن﴾، والرحمة الخاصة ﴿الرحيم﴾.

والسورة الكريمة كلها في التوحيد من أولها وحتى آخرها، وكل آية فيها تدل على التوحيد، ولقد ورد في السورة التوحيد بأنواعه الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فقوله تعالى: ﴿ الحمد لله ﴾متضمن لتوحيد الألوهية، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾(الفاتحة: 4) وكذلك قوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾(الفاتحة: 5). ففي كل ذلك دلالة على توحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية هو: توحيد الله بأفعال العباد، والتي منها: الحمد والعبادة والدعاء والاستعانة.

«وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولًا، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائنًا من كان»(335).

وقوله: ﴿ رب العالمين﴾ متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية: هو توحيد الله تعالى بأفعاله سبحانه وتعالى:

وهو: «الإقرار بأنَّ الله سبحانه وتعالى هو ربّ كل شيءٍ ومليكه، وأنّ الله تبارك وتعالى هو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والنافع، والضار (336)، والمتفرّد بإجابة

---

(335) معارج القبول شرح سلم الأصول: (1/ 31).

(336) لم يثبت بدليل صحيح أن الضار من أسماء الله تعالى وإنما ورد ذلك في الحديث المشهور الذي فيه تعداد الأسماء الحسنى، وهو حديث ضعيف، رواه الترمذي وغيره.والمقرر عند أهل

شبكة الألوكة www.alukah.net

دعاء المضطرين، والإقرار أيضًا بأنّ الأمر كلّه لله، وأنّه بيده الخير كلّه، وأنّ الله هو القادر على ما يشاء، وليس له في ذلك أي شريك، أو نظير»(337) (338).

وقوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ (الفاتحة: 2) متضمن لتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الأسماء والصفات هو: إثبات جميع صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها الله تعالى لنفسه في محكم كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في صحيح سنته، على الحقيقة، على وجه يليق بذات الله تبارك وتعالى. من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تشبيه تمثيل.

وهذه عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات.

كما قال ابن عبد البر(ت: 463هـ) -رحمه الله -:

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة»(339).

وبذلك يتبين أن محور السورة الأساسي وموضوعها الرئيس هو التوحيد.

العلم أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، أي لا يثبت منها شيء إلا بالدليل.فإذا لم يثبت الاسم، وكان معناه صحيحًا فإنه يجوز الإخبار به عن الله تعالى، فيقال: الله هو الضار النافع، لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، لكن لا يعبّد بهذا الاسم، فلا يقال: عبد الضار أو عبد النافع؛ لأنه لم يثبت اسما لله تعالى. وللاستزادة: ينظر: موقع الإسلام سؤال وجواب.

(337) تيسير العزيز الحميد: (ص 33).

(338) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1200 هـ-1233هـ) من آل الشيخ، فقيه سلفي من أهل نجد من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.كان بارعًا في التفسير والحديث والفقه، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا فمزقوا جسمه رحمه الله تعالى. نقلًا عن الشاملة.

(339) التمهيد: (145/7).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: إثبات الوعد والوعيد:

وأما الوعد والوعيد: ففي قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة: 4)، والذي يلزم منه الإقرار بيوم البعث والحساب والجزاء والعقاب، وفيه أيضًا معنى تمجيد الله وتعظيمه.

ثالثًا: حصر استحقاق العبادة لله وحده، وحصر الاستعانة به دون سواه.

فقوله: ﴿إياك نعبد﴾، إقرار بألوهيته سبحانه وتعالى واستحقاقه العبادة دون سواه، والعبادة ثمرة التوحيد، والتوحيد لا يسمى توحيدًا إلا مع العبادة، ولا تتحقق العبادة لله تعالى إلا بالبراءة من الشرك وأهله، فيشمل قوله: ﴿ إياك نعبد ﴾ معنى البراءة من الشرك وأهله ضمنًا.

والعبادة الصحيحة من شأنها أن ترسخ العقيدة في القلوب وتثبتها في النفوس.

وقوله: ﴿ إياك نعبد ﴾ إقرار لله تعالى بالافتقار والخضوع والذل، وذلك مشهد عظيم من مشاهد العبودية لله الواحد الأحد، مع ما فيه من بيان العجز والتبرؤ من الحول والطول والقوة وتخصيص الله تعالى بالاستعانة والعون والمدد دون سواه، وقوله: (نعبد، نستعين) فيه إفراد لله تعالى بالعبادة والدعاء والاستعانة.

وما سبق ذكره كان كمقدمة أولى: عن بيان عظمة من نسأله -وهو الرب-جل في علاه- والتقرب إليه بصنوف العبودية المشتملة على حمده والثناء عليه وتمجيده جل في علاه.

رابعًا: سؤال الله تعالى الهدايتين، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام والرشاد، وسؤال الثبات على الدين القويم: وذلك في قوله كما قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: 6). والتذلل إلى الله تعالى بطلب الهداية إلى الطريق المستقيم وبيان ضعف العبد السائل وذله لربه وإظهار افتقاره إليه كان كمقدمة ثانية.

خامسًا: ومن أبرز مواضيعها طلب الثبات على الصراط المستقيم والنهج الصالح القويم مع الذين أنعم الله عليهم بالثبات عليه، وذلك في قوله سبحانه: ﴿أنعمت عليهم﴾، والمنعم عليهم هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: 69].

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بيان شرف الصحبة الصالحة ومكانتها وفضلها.

سادسًا: ذكر طرفٍ من قصص الأمم الغابرة وأخبارها وذكر مصيرها:

وذلك في قوله كما قال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(الفاتحة: 7)، وفيه بيان انقسام الخليقة لأقسام ثلاثة، منعم عليهم وهم أهل السعادة والهداية، ومغضوب عليهم، وضالون، وهما أهلا الشقاء والغواية.

وفيه التحذير من مسالك أهل الغواية والضلال لئلا يحشروا مع سالكي سبلهم.

وكانت الخاتمة: في بيان الطريق المستقيم المؤدي إلى سعادة الدارين لمن سلكه وثبت عليه، وفي تقسيم الخليقة إلى ثلاثة أقسام، بحسب العلم والعمل كما مر معنا آنفًا.

ومن هنا يتضح: أن آيات الفاتحة قد أجملت الأصول التي جاءت مفصلة في القرآن كله، ويتضح من ذلك الحكمة في تنزيلها في أول ما نزل من القرآن، وهي أول سور القرآن ترتيبًا لا تنزيلًا.

ومن هنا أيضًا: يجدر بنا أن نفهم لماذا تسمى الفاتحة بـ «أم الكتاب» وبـ «أم القرآن».

وفي نحو ذلك يقول البقاعي(ت: 885هـ) - رحمه الله -:

«إن سورة الفاتحة جامعة لجميع ما في القرآن، فالآيات الثلاث الأُول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العلى، فكل ما في القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث الأُخر من قوله: ﴿ اهدنا ﴾ شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله، والتحيز إلى رحمته، والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ما ظاهره من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: 5)».

وذكر ابن القيم(ت: 751هـ) - رحمه الله -:

«أن السورة اشتملت على الرد على جميع طوائف أهل البدع والضلال، كما بينت منازل السائرين، ومقامات العارفين، وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها، ولا يسد مسدها، ولذلك لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل مثلها».

كما قال ابن سعدي(ت: 1377هـ) - رحمه الله -:

«وهذه السورة على إيجازها احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن، فقد تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، يؤخذ من قوله: رب العالمين. وتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ (الجلالة): اللَّه، ومن قوله: إياك نعبد.

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ الحمد. وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: مالك يوم الدين، وأن الجزاء يكون بالعدل، وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: إياك نعبد وإياك نستعين. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: اهدنا الصراط المستقيم؛ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة. وتضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: اهدنا الصراط المستقيم (الفاتحة: 5)» (340) .

وأيضًا وصف الله بالرحمة العامة والرحمة الخاصة في اسمي الرحمن، الرحيم دلالة على إثبات توحيد الأسماء والصفات كما هو معلوم وظاهر لا يخفى.

وبهذا يتبين أن السور الكريمة قد حوت أهم مقاصد القرآن الكريم إجمالًا، ثم جاء ذلك مفصلًا في سائر سور القرآن الكريم كلها.

فقد اشتملت الفاتحة على أصول الدين وفروعه، عقيدة وعبادة وافتقارًا إلى الله بطلب الهداية والدلالة إلى الصراط المستقيم، والثبات عليه، وفيه معنى طلب الهدايتين، ولا يتم ذلك إلا بشرع ودين، ولا يتم شرع ودين إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وفيها أخبار وقصص الأمم الغابرة، وبينت طريق السعداء وطريق الأشقياء.

ولقد وصف الله تعالى سورة الفاتحة بأنها: «سبعًا من المثاني» والمثاني هي التي تكرر فيها المواعظ والعبر، وموضوعاتها متكرر في القرآن كله.

ولقد وصفها سبحانه بأنها: «القرآن العظيم»لعظم ما حوته في طيات آياتها من موضوعات، والقرآن العظيم معطوف على السبع المثاني من عطف العام على الخاص.

وسميت بـ «أم القرآن»لاشتمالها على معاني القرآن كله، من حمد لله تعالى وثناء عليه بما سمى ووصف به ذاته المقدسة من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبيان أوامره ونواهيه

---

(340) مقاصد سورة الفاتحة، موقع إسلام ويب، موقع المقالات/ بتاريخ (2012/11/20م).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وثوابه وعقاب المترتب على وعده ووعيده، ذلك لأن موضوعات القرآن كله مرجعها ومردها إلى موضوعاتها، لأن محتوياتها مشتملة على أنواع مقاصد القرآن الكريم كله.

والفاتحة سورة محكمة، وكذلك آياتها وموضوعاتها محكمة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[آل عمران: 7].

وأما عموم سور القرآن فمنها المحكم ومنها المتشابه، فإذا رُد المحكمُ للمتشابه صار القرآن كله محكمًا، ونعني بذلك فاتحة الكتاب التي حوت كل معاني القرآن.

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.([341])

المطلب الخامس: بيان سبب وزمن نزولها

علم أسباب النزول أو تفسيرها؛ أو شأن النزول، هو أحد علوم القرآن والقضايا والحوادث المتعلقة بها، وكذلك المهتمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن وقت ومكان نزول الآية وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها فهمًا صحيحًا، ومعرفة الحكمة من الأحكام القرآنية؛ ولذا فهو يعتبر أحد فروع علم تفسير القرآن". ([342])

فوائد معرفة أسباب النزول

ذكر أهل العلم فوائد عدة لعلم أسباب النزول ولعل من أبرزها:

1- أنها تُعين قارئ القرآن على فهمه فهمًا صحيحًا سليمًا، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب.

وفي هذا الصدد يقول الواحدي(ت: 468هـ) - رحمه الله -:

1- " لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". ([343])

341- يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص: 111، وما بعدها).

342- الموسوعة الحرة، بتصرف يسير.

343- أسباب النزول، للواحدي، ص6. أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى

شبكة الألوكة www.alukah.net

2- أنها تُيسِّرُ حفظ القرآن وتُثَبِّتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها.

3- أنها تمكِّن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم الوارد في آية معينة في القرآن. ([344])

4- أن لفظ الآية يكون عامًا، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته. ([345])

5- معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيه. ([346])

طريق معرفة سبب النزول

لما كان سبب النزول أمرًا واقعًا نزلت بشأنه الآية، كان من البَدَهي ألا يدخل العلم بهذه الأسباب في دائرة الرأي والاجتهاد، لهذا قيل: "لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجَدُوا في الطلب"

([347]) .وقد اتفق العلماء على إثبات أسباب النزول بالنقل الصحيح عن شاهد أو مستمع للحدث من الصحابة والتابعين وصحة سند الرواية. ([348]) ([349])

على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

344- الموسوعة الحرة، بتصرف يسير.

345- مقدمة في علوم القرآن الكريم - أسباب النزول

346- المرجع السابق

347- أسباب النزول، للواحدي، ص6. بتصرف يسير

348-علم أسباب النزول من موقع إسلام ويب: 2003/07/26م. نسخة محفوظة 24 سبتمبر 2008م

349- أسباب النزول معناه وأهميته ولمحة إليه

شبكة الألوكة www.alukah.net

مكانة علم أسباب النزول

وأما عن مكانته؛ فقد لاقى علم أسباب النزول عناية واهتمامًا بالغًا عند أهل العلم، فقد صنفوا وكتبوا فيه اهتمامًا بشأنه وعناية بأمره، وفي نحو هذا الصدد،

يقول السيوطي(ت: 910هـ) -رحمه الله -:

"أفرده بالتصنيف جماعة، أقدمهم علي بن المَدِيني شيخ البخاري، ومن أشهرها كتاب الواحدي، على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري، فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئًا، وألَّف أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني كتابًا مات عنه مُسْوَدَّةً، فلم نقف عليه كاملاً، وقد ألفْتُ فيه كتابًا موجزًا محرَّرًا لم يؤلَّف مثله في هذا النوع سميته: لباب النقول في أسباب النزول". ([350])

وسب النزول على قسمين كما هو معلوم، وذلك لأن القرآن من حيث النزول ينقسمإلى قسمين اثنين: ابتدائي وسببِي

فأما سبب النزول الابتدائي:

فهو ما نزل ابتداء دون سبب ظاهر أو اقعة شاهدة عليه أو حدث مرتبط بسبب النزول، وإنما أغلب القرآن من هذا القسم.

وهذا القسم أي الابتدائي إنما ينزل هداية للبشرية لإصلاح شأنها في المعاش والمعاد، فيوجهها إلى وجوب توحيد خالقها وبارئها وإفراده وحده بالعبادة ونبذ عبادة كل ما سواه، ويبين لها عظم شأن التوحيد والعاقبة الحميدة لأهله، كما يحذرها من الشرك في عبادة الله، ويبن لها خطره ومغبته وسوء عاقبة ومصير أهله.

كما ينزل القرآن الابتدائي كذلك لبيان شرائع العبادات، وبيان قواعد الحلال والحرام، وأسس المعاملات، وبيان الحقوق والواجبات، ويبين كذلك محاسن الأخلاق وكريم السجايا والفضائل ويحث عليها وعلى كل معروف وفضيلة ويرغب فيها، كما ينزل للتحذير من كل فحشاء ومنكر وبغي وعدوان، وينظم عبودية الخلق بربهم وخالقهم ورازقهم، كما ينظم علاقاتهم فيما بينهم وحدانًا وزرفانًا.

350- الإتقان في علوم القرآن: 1/ 87

وكل ذلك حماية لجناب مقاصد الشريعة، سواء كانت ضرورية أو حاجية أو تحسينية، وأهمها وأعظمها الخمس الضرورية التي جاء الشريعة بحفظها وأمرت بصيانتها والمحافظة عليه وحدت لها حدودًا حفظًا وصيانة لها، ألا وهي:

1- حفظ الدين

2- وحفظ النفس

3- وحفظ العقل

4- وحفظ النسب. والبعض ألحق به حفظ العرض، والبعض أفرده

5- وحفظ المال.

وتلك "المقاصد التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ وسميت بذلك لأن الخلق مضطرون إليها اضطرارًا شديدًا، ولا غنى لهم عنها، وتُعرف هذه المقاصد بالضرورات الخمس". (351) (352)

فأما سبب النزول السببي:

الذي هو القسم الثاني من أقسام النزول. ومن أسباب ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- ينزل جوابًا عن سؤال، أو دحضًا لشبهة ألقاها مشرك أو معاند، أو بيانًا لحادثة وقعت تبرئة لصاحبها، كحادثة الإفك مثلًا.

2- أو حدوث واقعة معينة فينزل القرآن بشأنها، مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: 214) صَعِدَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ

351- يُنظر: التقرير والتحبير 143/3، والمقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي ص 163، وأهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية ص 197.

352- وللاستزادة يُنظر: عرفة بن طنطاوي، عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان، دراسة تحليلية موضوعية، رسالة ماجستير: (217/1). بحث منشور على صفحة المؤلف في: موقع الألوكة، الشاملة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}[المسد: 2] ([353])

3- أن يُسأل الرسولُ صلّى الله عليه وسلم عن شيء، فينزل القرآن الكريم ببيان الحكم مثال ذلك: عن عبد الله قال: إني مع النبي صلّى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا له: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك وجهه بيده على جبهته، فعرفت أنه ينزل عليه، فأنزل الله عليه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا} [الإسراء: 85]. ([354])

علاقة سبب النزول بالتفسير واستخراج الأحكام

أكد العلماء قاعدة متعلقة بأسباب النزول، مفادها أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وتعني هذه القاعدة أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصرًا على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكمًا عامًا في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وذلك أن أحكام القرآن هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكامًا خاصة بأفراد معينين. ([355])

353- صحيح البخاري:(4770)، صحيح مسلم: الإيمان(208).

354- صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود، رقم: 7297.

355-علم أسباب النزول من موقع إسلام ويب. 2003/07/26م. بتصرف يسير

أشهر المؤلفات في أسباب النزول

1- تنزيل القرآن، لابن شهاب الزهري- محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري: (ت: 124 هـ)

2- أسباب النزول، للواحدي-علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت: 468هـ)

3- العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر- أحمد بن على بن حجر العسقلاني(ت: 852هـ)، وهو تتميم لكتاب الواحدي

4- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي- عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي(ت: 911هـ)

التفصيل في بيان بعض ما ورد في زمن وسبب نزولها

أولًا: أقوال العلماء في زمن نزولها: (356)

أكثر العلماء على أنها سورة مكية(357).

وقيل: إنها سورة مدنية (358).

وقيل: إن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر بالمدينة (359).

وقيل: إنها نزلت مرتين: مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة فصارت مكية مدنية (360) (361).

---

(356) ينظر: أسباب النزول للواحدي (12/1)

(357)معالم التنزيل للبغوي (49/1)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (101/1)، التحرير والتنوير لابن عاشور (135/1-136).

(358) تفرد بهذا القول مجاهد بن جبر، ونسب للزهري ولا يصح (ذكره الحافظ في الفتح (159/8)، وعلى ذلك أكثر أهل التفسير. ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (522/10)، البيان لأبي عمرو الداني:132-133)،الدر المنثور للسيوطي (7/1).

(359)وهو غريب جدًا، نقله القرطبيّ عن أبي الليث السّمرقنديّ، وقد نُقِدَ بذلك فيما أعلم، ينظر: تفسير القرآن العظيم (101/1).

(360) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (49/1)، الكشاف للزمخشري (99/1) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (27/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

والحاصل من هذا أن في زمن نزولها أربعة أقوال:

الأول: أنها مكية.

الثاني: أنها مدنية.

الثالث: أنه نزل نصفها بمكة ونزل نصفها الآخر بالمدنية.

الرابع: أنها نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة.

ولا شك في صحة القول الأول، بأنها مكية، وهذا ما عليه الأكثرون، ومما يدلل على ذلك، أنه«قد صح أنها مكية لقوله كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، وهو مكي بالنص»(362).وقد سبق بيان ذلك في ثنايا البحث.

و«سورة الحجر مكية بلا اختلاف، ولم يكن الله ليمتن على رسوله - صلى الله عليه وسلم- بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول»(363).

وقد وافق قولُ الواحدي قولَ البيضاوي في الاستدلال على مكية السورة بآية الحجر، وزاد عليه استدلالًا واستنباطًا مقنعًا، ألا وهو استحالة أن تفرض الصلاة بمكة وتقام دون أن يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب، وقد حقق بعض العلماء هذا القول كما قال بذلك الطاهر بن عاشور كما سياتي معنا بعد قليل عند الكلام على ترتيب نزولها.

و« تنبيهٌ يُستنبطُ من تفسير السّبع المثاني بالفاتحة، أنّ الفاتحة مكّيّةٌ، وهو قول الجمهور خلافًا لمجاهدٍ، ووجه الدّلالة أنّه سبحانه امتنّ على رسوله بها وسورة الحجر مكّيّةٌ اتّفاقًا، فيدلّ على تقديم نزول الفاتحة عليها، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوةٌ من

---

(361) قال الفيروز آبادي بعد ما ذكر القرآن المكي والمدني:فهذه جملة ما نزل بالمدينة. ولم نذكر الفاتحة لأنَّه مختلَف فيها: قيل أُنزلت بمكة، وقيل بالمدينة؛ وقيل بكلٍّ مرة. بصائر ذوي التمييز(99/1).

(362) أنوار التنزيل للبيضاوي (/251).

(363) أسباب النزول للواحدي (17-17).

شبكة الألوكة www.alukah.net

مجاهدٍ لأنّ العلماء على خلاف قوله، وأغرب بعض المتأخّرين فنسب القول بذلك لأبي هريرة والزّهريّ وعطاء بن يسارٍ»(364).

ومما نُظم وقيل في ذلك قولُ أبي الحسن بن الحصار(ت: 610هـ) في كتابه الناسخ والمنسوخ:

المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيها اثنتا عشر سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق.

ثم نَظَمَ قائلًا:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهدًا.....وعن ترتيب ما يتلى من السور

وكيف جاء بها المختار من مضر.....صلى الإله على المختار من مضر

وما تقدم منها قبل هجرته.....وما تأخر في بدو وفي حضر

ليعلمَ النسخَ والتخصيصَ مجتهدٌ..... يؤيد الحكم بالتاريخ والنظر

تعارض النقل في أم الكتاب..... وقد تؤولت الحجر تنبيها لمعتبر

أم القرآن وفي أم القرى نزلتما كان للخمس قبل الحمد من أثر(365)

والشاهد منها من قول الناظم: «تعارض النقل»

أي تعارضت الأقوال: يعني أقوال أهل العلم في الفاتحة، أي: في كونها مكية أو مدنية، ومما يدل على مكيّتها، ما جاء في سورة الحجر من قوله كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر: 87].

ومن المعلوم أن سورة الحجر مكية باتفاق، وقد امتن الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم- فيها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ ﴾الآية، فدل على تقدم نزول الفاتحة على سورة الحجر، إذ كيف يحصل الامتنان عليه من الله بما لم ينزل بعد، وبقريب من هذا المعنى أشار غير واحد من أهل التفسير. (366).

وأخيرًا فإذ «الحجر مكية بإجماع. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة. وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ يدل على هذاقوله عليه

---

(364) فتح الباري للحافظ ابن حجر (159/8).

(365) وللاستزادة ينظر: الإتقان للسيوطي: (44/1).

(366) الإتقان (62/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»(367) وهذا خبر عن الحكم، لا عن الابتداء، والله أعلم»(368).

ثانيًا: ترتيب نزولها

قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: نزلت بمكة بعد ﴿ يا أيها المدثر﴾ [المدثر: 1]»(369)، «ونزلت بعدها ﴿تبت يدا﴾ [المسد: 1](370).

وقال كثيرٌ: إنّها أوّل سورةٍ نزلت، والصّحيح أنّه نزل قبلها﴿ اقرأ باسم ربك﴾[العلق: 1] وسورة المدّثّر ثمّ الفاتحة.

وقيل نزل قبلها أيضًا: ﴿ ن والقلم﴾[القلم: 1]، وسورة المزّمّل، وقال بعضهم: هي أوّل سورةٍ نزلت كاملةً أي غير منجّمةٍ، بخلاف سورة القلم، وقد حقّق بعض العلماء أنّها نزلت عند فرض الصّلاة فقرأ المسلمون بها في الصّلاة عند فرضها، وقد عدّت في روايةٍ عن جابر بن زيدٍ السّورة الخامسة في ترتيب نزول السّور (371).

ويتأكد مما سلف نزولها بمكة جملة واحدة غير منجمة، وأنها نزلت في جملة أوائل ما نزل من القرآن بعد المدثر وهو اختيار الحبر ابن عباس رضي الله عنهما.

ومما نُظم وقيل في ذلك قول جعيجع: (372)

نظمتُ ترتيبَ تنزيلِ القُرَانِ كما.....عند الحَبَنَّكةِ الميدانِ قدْ سُطرا

اقرأ بنونٍ ولا تزَّمل الدُّثُرا..... والحمد لله تبَّ الشرْك وانكَدرا 373

---

(367) أخرجه البخاري (756)، ومسلم (394).

(368)تفسير القرطبي: (1/ 154).

(369)جمال القراء للسخاوي (11/1).

(370)القول الوجيز للمخللاتي (161).

(371) التحرير والتنوير لابن عاشور (135/1-136).

(372)يُنظر: منظومة نظم الدرر في ترتيب نزول السور، ليزيد عبد الرحمن جعيجع، موقع الألوكة، وهي منظومة طويلة يبن فيها ترتيب سور القرآن. بتاريخ، (1433/8/6هـ)

(373)يعني بذلك ترتيب عبد الرحمن حبنكة الميداني لنزول سور القرآن، وهو ترتيب قوي، بلغنا أن الأزهر أقره واعتمده.

فهو يرتب نزول سور القرآن كما رتبها الميداني، فبدأ باقرا، ثم نون والقلم، ثم المزمل، ثم المدثر، ثم الحمد وهي الفاتحة، ثم تبت يدا، وهذا ما عليه الأكثرون.

ثالثًا: ظروف نزولها:

«في بداية نزول الوحي حيث لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تلقى كثيرًا من القرآن جاءه جبريل عليه السلام بفاتحة الكتاب، في جو بدأ فيه المشركون يتوجسون خيفة من هذا الجديد الذي لم يألفوه، جاءه بالسورة الكريمة لتكون النبراس الأوفى والمنهج الأكمل رغم إيجازها وقصرها، حيث طالت كافة مجالات القرآن العظيم، واشتملت على شتى مقاصده، فتناولت أصول الدين وفروعه، ولزوم الإِيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وبشرت بالتوحيد الذي لا يكون إلا بإفراده جل شأنه بالعبادة من دعاء واستعانة وتوكل، والتوجه إِليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إِلى الدين القويم، وانتهاج المنهج الكريم الذي سار عليه ركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إضافة إلى لزوم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره والاعتقاد باليوم الآخر، وقد أنارت السورة الكريمة سبيل النجاة بالتضرع إِليه سبحانه بالتثبيت على الإِيمان ونهج صراط الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وبذلك احتوت قصص الأمم السابقة، وتضمنت أخبار اللاحقة؛ فنوهت بمدارج السعداء، وحذرت من مدارك الأشقياء، وحصرت مصدر التعبد والتشريع في رب السماوات والأرض وحده سبحانه، فكانت إيذانًا من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بإقامة منهج التوحيد حياة وسلوكا ودعوة»(374).

رابعًا: سبب نزولها.

لا شك أن معرفة أسباب النزول مما يعين على فهم مراد الله من الآية أو السورة، وبعض السور أو الآيات لا يمكن التوصل لحقيقة معناها وما سيقت من أجله إلا بعد معرفة سبب نزولها والواقعة التي سيقت وأنزلت من أجلها أو بسببها، وكذلك فإن معرفة سبب النزول مما يعين على معرفة وفهم وبيان حكم التشريع الإلهي أيضًا.

---

(374)هدايات سورة الفاتحة - د. أحمد ولد محمد ذو النورين - مجلة البيان-(2010/9/12م)، بتصرف يسير جدًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس كل آية أو سورة في كتاب الله لها سبب نزول، بل إن منها ما يكون له سبب، ومنها ما يكون ليس له سبب، لأن نزول القرآن إما ابتدائي ليس له سبب، وإما سببي.

وغالب سور القرآن وعمومها ابتدائي ليس له سبب معروف ومذكور، فمنها ما ينزل هداية ابتداءً دون سبب لأنه كتاب هداية للبشرية جمعاء، ومنها ما ينزل للتشريع وبيان الأحكام أو للاعتبار والاتعاظ ككثير من القصص، أو لبيان الناسخ والمنسوخ، أو لذكر الوعد والوعيد، أو قد يرد السؤال فتنزل الآيات بالجواب الشافي الكافي، أو لحادثة قد تقع فتحتاج إلى تفصيل وبيان وإيضاح، أوقد يقع فعل يحتاج إلى بيان معرفة حُكمِهِ الشرعي. وقد مر بنا آنفًا ذكر ذلك مفصلًا.

وسورة الفاتحة لم يقف الباحث على سبب نزول لها، إلا ما أورده بعض أئمة التفسير بسند منقطع فـ«من طريق أبي ميسرة (أحد كبار التابعين) أن: رسول الله كان إذا برز سمع مناديًا ينادي: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا فقال له: ورقة بن نوفل إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، فلما برز سمع النداء فقال: لبيك، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ثم قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم... حتى فرغ من فاتحة الكتاب.(375) (376).

ولم يقف الباحث على سبب صحيح ثابت يُحسن الاستدلال به في سبب نزول السورة الكريمة.

وقد يقف الباحث على الحكمة من عدم وجود سبب لنزول سورة من السور، وقد لا يقف.

ومنها سورة الفاتحة، فلم يقف الباحث خلال بحثه القاصر على الحكمة من عدم وجود سبب ظاهر لنزولها.

ولعل في هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

---

(375)قلت: وهو مرسل ورجاله ثقات؛ فإن ثبت حمل: على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي والعلم عند الله تعالى»» ويُنظر: العجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر (223/1).والحديث مرسل ورجاله ثقات.

(376)وينظر: أيضًا: الكشف والبيان للثعلبي، أسباب النزول للواحدي (17).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب السادس: بيان المناسبات في السورة الكريمة

وفيه أربعة مسائل:

توطئة:

القرآن الكريم: "هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلًا متواترًا المتعبد بتلاوته المتحدي بأقصر سورة منه". (377)

وليكتمل التعريف السابق يُضاف إليه كذلك ما يلي:

1- المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: " باللفظ العربي".

2- المعجز بلفظه.

3- المفتتح بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس.

والقرآن: " كلام الله منه بدا، بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله -تعالى-بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر." (378)

وهو: المعجز بلفظه، فآياته فاقت الغاية دقة وإحكامًا، وتجلت عيانًا وضوحًا وبيانًا، كما قال سبحانه: (كتاب أحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير) (هود: 1)، فهي: "محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى." (379)

فآياته كلها محكمة في سردها، دقيقة في سبكها، متينة في أسلوبها، مترابطة في ارتباط واتصال معانيها، فهي ككلمة واحدة متسعة في معانيها، منتظمة في مبانيها، وهي متماسكة مترابطة آخذ بعضُها برقاب بعض، كأنها سبيكة واحدة، وعقد فريد متماسك متناظم على أكمل وأتم الوجوه، يسير إعجازها سريان الماء المتدفق في نهر جار.

وهي مع ذلك كله: فهي "محكمة متقنة لا نقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم." (380)

377- تاريخ القرآن الكريم-رابطة العالم الإسلامي-سلسلة دعوة الحق-السنة الثانية-1402هـ.

378- الطحاوية: (172/1).

379- ابن كثير: (303/4).

شبكة الألوكة www.alukah.net

والقرآن قد "جُعِلَت آياتُهُ محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًا ولا تأويلًا، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا." (381)

أحكمت آياته: فـ"نظمت نظمًا رصينًا محكمًا، لا يقع في نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف." (382)، كما قال ربنا تبارك وتعالى: (قرآنًا عربيًا غير ذي عوج) (فصلت: 28). فـ"لا اختلال فيه بوجه من الوجوه" (383) فقد أحكمها أحكم الحاكمين، وفصَّلها العليم الخبير.

ولما نزل القرآنُ أعجزَ أربابَ الفصاحةِ وملوكَ البلاغة والبيان من صناديد قريش، فأذعنوا لسلطانه وأبهرهم بيانه، وشهدوا لإعجازه وفصاحته وبلاغته، والحق ما شهدت به الأعداء، ومن عاند منهم وجحد لم يستطع أن يطعن فيه ولو بكلمة واحدة، ولكن رموا من بلغه عن الملك الوهاب- صلى الله عليه وسلم- بالبهتان والسباب وقالوا: (هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (ص: 4)

بل تخطى حاجز الإقرار بالإعجاز وحسن البيان من الإنس إلى الجان، فلما سمعوه قالوا: (إنا سمعنا قرآنًا عجبًا) (الجن: 1).

380- فتح القدير:(647/1).

381- تفسير المنار لرشيد رضا: (4/12) تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد رضا-سنة النشر1366هـ - 1947م - عدد المجلدات :12- رقم الطبعة: 2.

382-الكشاف للزمحشري: (181/3) - تفسير الزمخشري-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1407 هـ عدد الأجزاء: 4.

383-تفسير الألوسي: (262/23) -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى،1415هـ عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس) بتصرف يسير.

كانت هذه التوطئة كمقدمة لبيان عظمة القرآن في إعجازه وبلاغته، وعلم المناسبات لا شك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم من كل الوجوه.

وهو« علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

وهو: علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»[384].

«ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القـرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته»[385].

ومما سبق إيضاحه وبيانه يتبين أن نظم آيات القرآن يعجز الخلق أجمعين عن الإتيان بمثله، فدل ذلك على أن ترتيب آيات القرآن أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

ومن الأهمية بمكان بيان مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح.

أ- المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة (386).

ب- واصطلاحًا: هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن(387).

وبمعرفة علم المناسبات يتضح ويتبين إعجاز القرآن واتساق آياته وتناسقها على وجه من الكمال والجمال والجلال، وهذا مما يظهر إعجازه وبلاغته على صفة تشهد أنه كلام الله المعجز بلفظه المتحدى به، فلو كان كلام بشر لاختلت معانيه ولاضطربت مبانيه، ولوجدوا فيه من الاختلاف ما يمكنهم معه من الطعن فيه.

وفي نحو ذلك يقول الله كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: 82].

384- البرهان (ص: 35).

385- والكلام للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي في حديثه عن سورة البقرة:وينظر: (نظم الدرر: 9/1، والإتقان (138/2).

386- الإتقان للسيوطي (139/2).

387- نظم الدرر للبقاعي: (6/1).نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: 22 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن فوائد وثمار معرفة علم المناسبات أنه:

1- يعين على إبراز أوجه الصلة والتناسب بين السور والآيات ومعرفة علاقة الآية أو السورة بسابقتها ولاحقتها، وهذا مما يقرب فهم معاني القرآن وبيان مقاصده ووضوح مراميه، لمفسره أولًا، ومن ثم لقارئه ومتدبره وتاليه ثانيًا.

2- ويعين أيضًا على إدراك الحكمة من التشريع والترابط بين أحكام الشريعة في الأمر والنهى والتحليل والتحريم والثواب والعقاب وغير ذلك من الأحكام.

3- ومن فوائده: أنه لما كان ترتيب بلاغة القرآن وحسن نظم أسلوبه وروعة خطابه وحسن نظامه ما أعجز الإنس والجان أن يأتوا بمثله، والعرب مهما أوتوا من بلاغة وروعة بيان وإحكام في فصاحة ومهما أوتوا من ذكاء وفطنة، فإن إعجاز بيان القرآن فوق ما حباهم الله من الفصاحة والبيان، فدل ذلك على أن هذا ليس بكلام البشر، ودل على إثبات نبوة ورسالة من بلغه للبشر عن رب البشر ﷺ

كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

وفي نحو ما سبق يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: 728هـ) - رحمه الله -:

مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ(388).

ومن المناسبة بمكان ذكر بيان موجز لأهم المصنفات في علم المناسبات:

فمن أبرزها وأشهرها ما يلي:

1- «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»لأبي جعفر بن الزبير الأندلسي (ت 807 هـ).

2- « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لبرهان الدين البقاعي(ت: 885هـ)، وهو أوسع كتاب في بابه وبلغ كتابه اثنين وعشرين مجلدًا.

3- «تناسق الدرر في تناسب السور» لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ، وله أيضًا: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع».

388- مجموع الفتاوى (١٥/٩٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

4- «جواهر البيان في تناسب سور القرآن» لعبد الله الغُمَاري وهناك مؤلفات كُثُر ضمن مصنفوها علمَ المناسبات كتبَهم دون أن يفردوها بتصنيف مستقل، وهناك أيضًا كتابات لبعض المتأخرين لكنهم عيال على المتقدمين فيما كتبوا.

وعلم المناسبات منهم من مدحه مدحًا مطلقًا ومنهم من ذم وعاب من دخل فيه متكلفًا.

ومن العلماء المادحين المؤيدين لعلم المناسبات:

أبو بكر النيسابوري، وهو من أبرز من اعتنى بعلم المناسبات، وبرهان الدين البقاعي، والفخر الرازي، والزركشي صاحب البرهان، والسيوطي صاحب الإتقان، وفي صدد ذلك يقول الفخر الرازي(ت: 605هـ): «أكثر لطائف القرآن مودعه في الترتيبات، والروابط»(389)، ويقول أيضًا: «علم المناسبات علم عظيم أُودِعَت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه»(390) .

ويقول بدر الدين الزركشي(ت: 794هـ) - رحمه الله -: «من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلًا يكون منقطعًا، وهو مبني على أن ترتيب السور توفيقي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة؛ لما خُتمت به السورُ قبلها، ثم هو قد يخفى تارة، ويظهر أخرى»(391).

وفي صدد ذلك يقول الغُماري الحسني (ت: 1380هـ):

علم التناسب للسور .....علم جليل ذو خطر

قد قل فيه الكاتبون.....كما قد عز المستطر 392

أراء العلماء المعارضين لعلم المناسبات ومناقشتها:

والمعارضون له وإن كانوا قلة إلا أن رأيهم محل أخذ ورد ونظر لمن أعمل فكره واعتبر وادكر.

389- السيوطي: الإتقان 108/2، الزركشي: البرهان 36/1، 523/2.

390- الزركشي: البرهان (35/1).

391- نفس المرجع السابق (35/1) وبعدها.

392- الغماري: جواهر البيان، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله الغماري، ط. مكتبة القاهرة، طبعة عذراء، انظر أول صفحة في الكتاب قبل المقدمة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد ذكر الزركشي(ت: 794هـ) - رحمه الله -: في: (البرهان) على القول بالمناسبات في القرآن فقال:

وقال عز الدين بن عبد السلام(ت: 660هـ) - رحمه الله -:

«المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلًا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نَيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يأتي ربط بعضه ببعض»(393).

والعز بن عبد السلام(ت: 660هـ) - رحمه الله -:

إنما أنكر التزام ذلك في كل موضع. كما نُقل عن أبي حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط كلامٌ شبيه بكلام عز الدين عبد السلام»(394)

ومنهم أيضًا أبو الحسن الحرالي المغربي (637هـ)، والغزنوي، والشوكاني وهو أكثرهم رفضًا ومنعًا للتكلف والتزام المناسبة في كل موضع؛ فعند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40].

قال: «اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكليفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا

393- الزركشي: البرهان 37/1، السيوطي: الإتقان (108/2و138)، السيوطي: أسرار ترتيب القرآن 30.

394- مباحث في علوم القرآن: (ص:62).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره»(395).

والشوكاني نفسه قد ترجم للبقاعي في كتابه (البدر الطالع).

فقال عنه: «إنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف» ومدحه ووصفه بأنه«من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول: ومدح مُؤلفه الموسوم بـ (نظم الدرر) بقوله:

«ومن أمعن النظر في كتاب له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول، وكثيرًا ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز وأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي غليلي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد»(396).

«ولما كان هذا العلم دقيق المسالك خفي المدارك احتاج الباحث فيه إلى استفراغ الجهد بغية الاستقصاء اللغوي لدلالات الكلمات القرآنية، والإحاطة بأسباب النزول والقراءات، والتوسع في أفانين علوم النحو والمعاني والبيان والبديع مع حسٍ مرهف، ونفس شفافة، والتقاط سريع، وألمعية وافرة، ولَمَّاحية عالية وسلامة في القصد؛ ليدرك سر اللُّحمة بين لطائف الآيات القرآنية ومراد الله -تعالى-من ترتيب كلامه على هذه الصفة، فتبدو له أوجه المناسبات في النَّظْم الحكيم» (397).

«وهكذا تتجلى أهمية المناسبات القرآنية في أنه علم مُعِين على جعل أجزاء الكلام وقد أخذ بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط بينها، ويصير تآلفها كحال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»(398).

---

(395) فتح القدير (1 / 72 -73).

(396) الشوكاني: البدر الطالع (20/1 -222.).

(397) د. مصطفى مسلم: مباحث في تفسير الموضوعي، (65 ـ 66) بتصرف.

(398) الزركشي: البرهان، (36/1)، السيوطي: الإتقان (108/2).

شبكة الألوكة www.alukah.net

القول الراجح في المسألة:

يقول الباحث- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ -:

ومن الإنصاف الأخذ برأي أهل الإنصاف، فرأيهم فيه التوسط وعدم الإجحاف والانجراف والانعطاف، وهم الأكثرون، وكثير من القائلين بالمنع إنما منعوا التعسف والتكلف في كل موضوع، والقائلون بالمنع مطلقًا قلة قليلة جدًا، والقليل والنادر لا يُقاس عليه، ولله الحمد.

والأخذ بعلم المناسبة كلما ظهرت أماراتها لمن كان أهلًا لذلك وتوافرت فيه شروط الأهلية هو القول الوسط العدل، ذلك أن علم المناسبات علم له ضوابطه وأصوله وقواعده، فليس لكل أحد أن يخوض فيه بغير علم ولا ضوابط فلابد أن يكون عالمًا بالتفسير وعلومه، مُطلعًا على علم أسباب النزول، وملمًا بأقوال أهل التأويل، عالمًا بالقراءة المتواترة وتوجيهها، وعالمًا كذلك بعلوم لغة التنزيل نحوها وتصريف أفعالها، عالمًا ببلاغتها-بيانًا وبديعًا ومعانيَ-، ولديه دراية بدلالة الألفاظ اللغوية والبيانية، ولديه عناية ودراية بعلوم الآلة كلها، وأن يكون معتدلًا في الفهم والإدراك لئلا يتعسف ويتكلف في إيجاد المناسبات بلا مناسبات، وذلك ليكون أهلًا للنظر في كلام رب البشر.

المناسبات في سورة الفاتحة، وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة.

لفاتحة الكتاب مكانتها المميزة في القرآن الكريم، فلذا افتتح الله بها كتابه، فهي (أم القرآن) وهي (أم الكتاب) وهي (السبع المثاني)، ولها غير ذلك من الأسماء التي سُميت بها، التي تدلل على بيان قدرها ومكانتها بين سور القرآن الكريم، ولقد حوت آياتها السبع مقاصد القرآن الكريم وكلياته، فلمكانتها وقدرها وما اشتملت عليه ناسب افتتاح القرآن الكريم بها.

"وافتتح الله سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنَّها جمَعتْ مقاصد القرآن، ولأنَّ فيها إجمال ما يحويه القرآن مفصلًا؛ فجميع القرآن تفصيل لِمَا أجملتْه، وفي ذلك براعة استهلال؛ لأنَّها تنزل من سور القرآن منزلَ دِيباجة الخطبة أو الكتاب" ([399])

لذا فهي كالمقدمة بين يدي سور القرآن الكريم لاشتمالها على جميع مقاصده وأغراضه ومواضيعه، فهي أجملت ما فُصِلَ فيه، فناسب أن تتقدم سورَهَ جميعًا، وناسب أن يأتي بعدها سور القرآن متتابعة لتفصل ما أُجمِلَ في فاتحته.

"قال العلماء: إنما افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن فناسب الافتتاح بها، لأنها تصير كبراعة الاستهلال وهي الإتيان أول الكلام بما يدل على المقصود على وجه الإجمال. وكالعنوان، والمراد بالعنوان نوع من أنواع البديع يسمى بذلك.

قال ابن أبي الأصبع في بدائع القرآن: ([400])

العنوان أن يأخذ المتكلم في غرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنوانًا لأخبار متقدمة وقصص سالفة، ومنه نوع عظيم جدًا وهو عنوان العلوم بأن يذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح العلوم ومداخل لها.

399- وينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي: ص: (51:49) - تناسق الدرر في تناسب السور الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة 849 هـ/1445 م- القاهرة 911 هـ/1505 م) - مخطوط - المكتبة الأزهرية، وينظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي: ص: (187) - تفسير ابن عاشور: ص: (135/1)

400-ابن أبي الإصبع(595- 654هـ = 1198 - 1256 م) شاعر، ومن العلماء بالأدب. اسمه عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، مولده ووفاته بمصر.

له تصانيف كثيرة، منها «بديع القرآن» (مطبوع) في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و«تحرير التحبير» (مطبوع) و «الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح » أي فواتح القرآن (مخطوطة في المكتبة العربية بدمشق، و«البرهان في إعجاز القرآن» مخطوطة في مكتبة تشستر بيتي، و«المختارات » في الأدب، مخطوطة في جامعة الرياض، يُنظر الأعلام للزركلي، والموسوعة الحرة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والفاتحة لكونها جامعة لجميع مقاصد القرآن، وفيها الإشارة إلى جميع الأخبار المتقدمة من بدء الخلق والأمم السالفة من اليهود والنصارى وغيرهم، وفيها الإشارة إلى مفاتيح العلوم ومداخلها.

فلما جمعت الفاتحة هذه كانت جديرة بأن تكون عنوان القرآن بالتقرير الذي ذكره ابن أبي الأصبع"([401]). ولعل في ذلك كفاية والحمد لله رب العالمين.

المسألة الثانية: مناسبة سورة الفاتحة مع تاليتها.

أوجه المناسبة بين السورتين.

أولًا: المناسبة بينهما في مطلع السورتين.

1- لما قال سبحانه في مطلع سورة الفاتحة: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة: 4) وهو وصفٌ لله تعالى بأنه مالك ليوم الجزاء، وهو الذي يملك الحكم والفصل والقضاء بين عباده في هذا اليوم، لا ينازعه فيه أحد من خلقه لأن مُلكَ ملوكِ الدنيا وأملاكهم كله قد زال ولم يبق إلا مُلك (مالك يوم الدين)، وفي هذا تقرير للميعاد والجزاء والحساب.

فناسب أن يقول في مطلع سورة البقرة: (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (البقرة: 4)، وكأنه وصفٌ لاستجابتهم له سبحانه أنهم بالآخرة مؤمنون وموقنون ومصدقون، وفي هذا إقرار للميعاد والجزاء والحساب، فلما كان في الفاتحة تقرير، ناسب أن يكون في البقرة إقرار.

"وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال: (يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا)(النبأ: 38)، وقال تعالى: (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا) (طه: 108)، وقال: (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) (هود: 105)". ([402])

401-الحاوي للفتاوي: جلا الدين السيوطي: واسمه عبد الرحمن بن الكمال بن محمد الخضيري السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر: (1424 هـ -2004 م) - رقم الطبعة: - عدد الأجزاء: جزءان، (ص: 351-352). بتصرف غير يسير من الباحث.

402- تفسير ابن كثير: (134/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكلمة: (مالك) فيها قراءتان متواترتان.

أما القراءة الأولى: (مالك) فقد" قُرئت: بإثبات الألف بعد الميم (مالك)، وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر.

أما القراءة الثانية: (ملك) فقد-قُرئت: بحذف الألف (ملك)، وهي قراءة الباقين من العشرة؛ وهم: أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة". ([403])

أما توجيه القراءة الأولى:

فكلمة: (مالك)، بالألف اسم فاعل من ملك ملكًا بكسر الميم؛ أي: مالك مجيء يوم الدين، والمالك: هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء، وقد أجمع القراء على إثبات الألف فيقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) (آل عمران: 26)، وكلمة (مالك) فيها محذوفة الألف رسمًا كما في الفاتحة.

و(مالك)أمدح من (ملك)وأعم؛ ([404]) حيث تقول: هو مالك الجن والإنس والطير والدواب، ولا تضيف (مَلِكًا) إلى هذه الأصناف.

كما أن زيادة المبنى -كما في (مالك)-تدل على زيادة المعنى.

وأما توجيه القراءة الثانية:

فكلمة(ملك)على وزن فَقِه صفة مشبهة؛ أي: قاضي يوم الدين، ([405]) و(المَلِك) هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك بضم الميم.

403- يُنظر: النشر 1/ 271، والإتحاف 1/ 363.

404-وأسماء الله وصفاته كلها حسنى وهي صفات كمال وجمال وجلال كلها، كما قال ربنا: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف:180)، وكما قال ربنا: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) (لقمان:110). والأفضل والأكمل أن يُقال أعم في الوصف، وقد أجاد وأحسن في نهايته بقوله:"كما أن زيادة المبنى -كما في (مالك)-تدل على زيادة المعنى".. الباحث

405- الأولى أن يُقال: بمعنى: يقضي يوم الدين بدلًا من قاضي يوم الدين-بصيغة الوصف-، حتى لا يُتوهم أن القاضي من أسماء الله تعالى.

وقد قال ابن القيم – رحمه الله - : " الفعل أوسع من الاسم ، ولهذا أَطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل ، كأراد وشاء وأحدث ، ولم يُسمَّ بـ " المريد " و" الشائي " و" المُحدث "

شبكة الألوكة www.alukah.net

و(ملك)أبلغ من (مالك)؛لأن كل مَلِك مالك، وليس العكس، كما أن القراء أجمعوا على حذف الألف منه في مواضع، نحو: (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) (الحشر: 23)، (الْمَلِكُ الْحَقُّ) (المؤمنون: 116)، (مَلِكِ النَّاسِ)(الناس: 2)". ([406])

ويتبين ويتضح من قراءة (ملك يوم الدين) بالقصر: أن (ملك) لفظة مشتقة من الملك، والملك بمعنى أنه: ذو سلطان وذو قوة وذو حكم وغلبة وتدبير وقهر.

وأما قراءة : (مَالِكِ) بالمد، والتي هي مشتقة من الملك، تدل على: ملك الأعيان كلها كما تدل على القدرة في التصرف في تلك الأعيان.

ويتبين ويتضح من معنى القراءتين مجموعتين كما مر معنا آنفًا، أن الله تعالى مالك لهذا اليوم ملكًا تامًا له كمال ملكه، وله التصرف فيه، لا ينازعه في ذلك أحد من خلقه، وهو بمعنى إخلاص المُلك له سبحانه وحده يوم الدين.

ومع أن الله تعالى لا يوجد من ينازعه ملكه يومئذ فضلًا عن أن يكون هناك مدع لذلك، وذلك لأنه قد زال ملكُ كلِ ملكٍ في الدنيا، أما الملك في الدنيا، فقد كان يطلق على بعض البشر مجازًا، لأنه ملك محدود وموقوت وزائل لا محال، وإنما كان هذا الملك في الدنيا لبعض الخلق ابتلاء من الله تعالى لهم.

كما لم يسمِّ نفسه بـ " الصانع " و" الفاعل " و" المتقن " وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه ، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ خطأً كبيرًا من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسمَّاه " الماكر ، والمخادع ، والفاتن ، والكائد " ونحو ذلك.

وكذلك باب " الإخبار " عنه بالاسم أوسع من تسميته به فإنَّه يُخبر عنه بأنه " شيء وموجود ومذكور ، ومعلوم ، ومراد " ولا يسمَّى بذلك " انتهى من " مدارج السالكين " (3 / 415). (الباحث).

406- يُنظر: صفحات في علوم القراءات المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، الناشر: المكتبة الأمدادية الطبعة: الأولى-1415هـ-عدد الأجزاء: 1، (1/311-314). بتصرف يسير جدًا من الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

2- ولما قال تعالى في الفاتحة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: 5)، ناسب في البقرة أن يأتي بأول الأوامر فيها فقال سبحانه: (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) (البقرة: 21)، وهو تفصيل لما أُجمِلَ في الفاتحة وتأكيد له.

وقد وردت الأحكام التعبدية مفصلة في ثنايا سورة البقرة، فما أُجمِلَ في الفاتحة منها فُصِلَ في البقرة.

فالبقرة قد ورد فيها تفاصيل المسائل التشريعية من العبادات والمعاملات والحدود وما يتعلق بالأسرة من أحكام النكاح والطلاق والمواريث وسائر العلاقات الأسرية والاجتماعية وغيرها من أصول وضروب العبادات التفصيلية ودقائق المعاملات التأصيلية، فالفاتحة كالأصول والبقرة كتفريع الفروع على الأصول، فناسب أن تأتي الفروع موضحة ومفصلة ومبينة لما أُجمِل في الأصول.

3- ولما أرشد الله تعالى عباده في سورة الفاتحة إلى أن يسألوه أعظم المطالب وأعز الرغائب ألا وهو مطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، بقوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [سورة الفاتحة، الآية: 6] استجاب لهم ربهم فقال في مطلع سورة البقرة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [البقرة: 2]، وهو إبانة لهم عن الصراط المستقيم، فكأنهم لما طلبوا الهداية إلى الصراط المستقيم جاءهم الجواب ذلك الصراط الذي سألتم وطلبتم الهداية إليه هو ذلك الكتاب الذي(لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت: 42).

وفي أحد أوجه التفسير أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، وقد قيل: أنه مروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن مسعود (ت: 32هـ) - رضي الله عنه -:

(الصراط المستقيم): هو القرآن. وقيل: أنه: مروي عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: (الصراط المستقيم): كتاب الله". ([407])

407- الدر المنثور للسيوطي: (39/1)، وعزاه السيوطي لوكيع وعبد بن حميد وابن جرير الطبري: تفسير، الطبري: (54/1)، وابن المنذر وابن الأنباري والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا شك أن القرآن الكريم موضح لمعالم الصراط ومبين لمناراته، وموجه لحدوده، ومرشد لسبل السعادة والفلاح المؤدية للفوز والنجاح في الدارين، ولما كانت حاجة العباد إلى الهداية إلى الصراط المستقيم حاجة من أشد الحاجات، وضرورتُهم إلى معرفته والدلالة عليه والعلم والعمل والتحقق به ضرورة من أشدّ الضرورات وأعظمها مطلبًا وأرجاها نفعًا وأعظمها مثوبة وأجرًا وأحمدها عاقبة، ناسب أن يرد الترغيب في الإلحاح في طلبه في مطلع فاتحة الكتاب مجملًا، ثم ناسب أن يرد جواب العباد لما فيه الدلالة على هذا الصراط في أطول سور القرآن- مفصلًا وموضحًا ومبينًا، ولا شك أن هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على كمال ربوبية الله تعالى، وأن ربوبيته سبحانه وتعالى مبناها على رحمته ورأفته بعباده وإرادة الخير لهم ودلالتهم عليه وإيصاله إليهم، ولا خير أعظم من الهداية والدلالة عليها والإرشاد إليها، ومن ثم التوفيق والإلهام لها.

4- و" أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة البقرة، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسئول، ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين على هدى من ربهم، وهم المنعم

قال الحاكم بعده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقد جاء مرفوعًا عن على بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصراط المستقيم كتاب الله: (تفسير ابن أبي حاتم: (30/1) رقم: (32).

قال ابن كثير: وقد رُوى عن علي وهو أشبه والله أعلم: تفسير ابن كثير: (42/1).

وهو مروي من طريق شقيق بن سلمة [الهيثمي، مجمع الزوائد ٣٢٩/٦]فيه] عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف.

ومن طريق معاذ بن جبل الذهبي، ميزان الاعتدال ٢٩١/٣ •[فيه] عمرو بن واقد هالك.

وقال العقيلي في الضعفاء الكبير: (٢٩٣/٣) [فيه] عمر بن واقد قال البخاري منكر الحديث وروي هذا بإسناد أصلح من هذا.

ومن طريق علي بن أبي طالب -ابن عدي، الكامل في الضعفاء ٨/٥ •[فيه] شعيب بن صفوان عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

ومن طريق آخر عن علي بن أبي طالب- الزيلعي، تخريج الكشاف ٢١١/١ •[فيه] الحارث الأعور قال الترمذي فيه مقال. ولعل كونه موقوفًا أصح. الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليهم والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالون: والذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم".(408).

لذا لما كانت الفاتحة مشتملة على مطلب الهداية لصراط المنعم عليهم، ذكر الله بعدها صراطين آخرين وهما صراط المغضوب عليهم وهم اليهود ومن شابههم، وصراط الضالين وهم النصارى ومن شابههم كما قال ربنا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)، ناسب أن تُفتتح سورةُ البقرة بما يدل على طريق الهداية لصراط المنعم عليهم ألا وهو: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: 2) والمتقون وصفٌ من أوصاف المنعم عليهم أهل الصراط المستقيم، وهو كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: 9)، ففيه دلالة واضحة وتأكيد على أنهم لما طلبوا الهداية دُلوا على هذا الكتاب المجيد الذي يهدي لأقوم طريق، وأوضح سبيل، ألا وهو الصراط المستقيم.

ثم تلي سبيل المنعم عليهم في سورة البقرة سبيل المغضوب عليهم وهم اليهود، وسبيل الضالين وهم النصارى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 6) والآية شملت أهل الصراطين من المغضوب عليهم والضالين، ذلك لأن أهل الصراطين المغضوب عليهم والضالين يشملهم وصف الكفر.

ومن هنا يتبين أوجه المناسبة بين خاتمة سورة الفاتحة مع مفتتح سورة البقرة.

408-أسرار ترتيب القرآن للسيوطي(2/1).المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ). أسرار ترتيب القرآن السيوطي، جلال الدين-عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع،1422هـ-2002م، عدد الأجزاء:1، وقد عزاه السيوطي لأبي القاسم الخوبي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: التناسب العام بين محتوى السورتين الكريمتين.

1- إن من أوجه التناسب بين السورة وتاليتها علاقته الإجمال والتفصيل، فما أُجمل في الأولى يرد مفصلًا في تاليتها، وقد سبق آنفًا الإشارة لشيء من البيان الموجز بشأن هذا الجانب وصدده.

هذا ولقد" افتَتح الله سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنَّها جمَعتْ مقاصد القرآن، ولأنَّ فيها إجمال ما يحويه القرآنُ مفصلًا؛ فجميع القرآن تفصيل لِمَا أجملتْه، وفي ذلك براعة استهلال؛ لأنَّها تنزل من سور القرآن منزلَ دِيباجة الخطبة أو الكتاب". (409)

2- هذا وعلى العموم، فإن سورة الفاتحة قد حوت معاني القرآن العظيم كله، واشتملت على مقاصده الأساسية، فقد أُجمِلَ فيها الدينُ كله أصوله وفروعه، عقيدة وعبادة، وشريعة ومنهاجًا، كما أنها حوت قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر مجملة، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ووجوب إفراده الله تعالى بالعبودية والاستعانة إجمالًا، وإفراده تعالى- كذلك- بالسؤال والدعاء والتوجه إليه سبحانه بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وسؤاله الثبات عليه، وسلوك سبيل المنعم عليهم واتباع نهجهم، وتجنب سبيل المغضوب عليهم وسبيل الضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم الغابرة، والاطلاع على معارج ومنازل أهل ودرجات السعادة، ومنازل ومدارك أهل الشقاء، وفيها التعبد لله بالاستجابة له سبحانه في فعل المأمور وترك المحظور، وغير ذلك مما حوته السورة من مقاصد وأهداف مجملةً.

أما سورة البقرة فهي أطول سور القرآن قاطبة، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع وتفاصيله، شأنها في ذلك شأن السور المدنية، التي تفصل الأحكام التشريعية وتبينها، عقائد كانت أم عبادات، معاملات كانت أم أخلاق وسلوكيات.

409- يُنظر: البرهان في تناسب سور القرآن للبقاعي: (ص:187)، البرهان فى تناسب سور القرآن-المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ) تحقيق :محمد شعباني- دار النشر :وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب-عام النشر1410هـ -1990 م - عدد الأجزاء :1

ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي: (ص:49-510)، تفسير ابن عاشور:135/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فهي تبين وتفصل الأحكام التشريعية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وكذلك تبين الحدود والفرائض والأحكام التي تنظّم حياة الفرد والجماعة، وهذا ما أُجمِلَ في الفاتحة وفُصِل هاهنا في البقرة.

3- قد ورد في الفاتحة التحذير من سلوك سبيل المغضوب عليهم وسلوك سبيل الضالين إجمالًا، فناسب ذلك أن يرد في البقرة ذكر ذلك تفصيلًا.

فجاء في البقرة بيان كفر وشرك وضلال أهل الكتاب وفضحهم وبيان صريح كفرهم، فاليهود والنصارى نسبوا لله تعالى الولد صراحة، وقال بعضهم عن المسيح عليه السلام: إنه نفسه هو الله، وقال البعض منهم: هو ابن الله، وقال البعض الآخر منهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (المائدة: 73). تعالى الله عما يقولوا الظالمون علوّا كبيرًا.

4- وكذلك لما أُجمِلَ في الفاتحة التحذيرُ من سلوك صرط المغضوب عليهم وهم اليهود وكل من عرف الحق ولم يعمل به، ولا شك في أن المنافقين يشملهم هذا الوصف.

فقد ناسب أن يأت هنا في البقرة مفصلًا ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وكشف عوارهم وفسادهم وإفسادهم في المجتمع المسلم، وبيان ضلالهم وإظهار فضائحهم والكشف عن خبثهم وكشف خبيئة نفوسهم الدنيئة وإظهار سوء طباعهم وخوارهم وجبنهم وأنهم لا ولاء لهم للدين أبدًا، وأنهم لا همّ لهم إلا الكيد للإسلام وأهله وقد ضموا لذلك حبهم للعرض الزائل والمتاع الفاني من الحياة الدنيا.

ولعل في ذلك الاختصار إيضاح، يغني عن التطويل وزيادة الإفصاح.

المسألة الثالثة: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.

أولًا: المناسبة في مطلع السورة.

"ولما أثبت بقوله: (الحمد لله) أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار ([410]) إلى أنه يستحقه أيضًا من حيث كونه ربًا مالكًا منعمًا فقال: (رب) وأشار بقوله: (العالمين) إلى ابتداء الخلق تنبيهًا على

الاستدلالات بالمصنوع على الصانع (411) وبالبداءة على الإعادة كما ابتدأ التوراة بذلك ". (412)

فلما كان حمده تبارك وتعالى مستغرقًا جميع النعم ناسب أن يأتي بعد حمده وصفه بالربوبية العامة التي عم بها جميع خلقه بنعمه الظاهرة والباطنة، مبينًا سبحانه استحقاقه جل في علاه وصف (رب العالمين).

ومما يؤيد ما ذكره الباحث آنفًا قول الطاهر بن عاشور(ت: 1393هـ) - رحمه الله-:

"وهو وصف لاسم الجلالة ([413])، فإنه بعد أن أسند الحمد إلى اسم ذاته -تعالى-تنبيهًا على الاستحقاق الذي عقب بالوصف وهو الرب ليكون الوصف متعلقًا به أيضًا؛ لأن وصف المتعلق متعلق أيضًا". ([414])

410- وعبارة: (أشار) تدخل في باب الإخبار لا في باب الوصف وباب الإخبار كما هو معلوم أوسع من باب الوصف. (الباحث).

411- و(الصانع) ليس من أسماء الله تعالى ولا من صفاته، وإنما هذا من باب الإخبار، وهذا الباب أوسع من

باب الصفات وهذا قول عموم أهل العلم، فأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى توقيفية، فلا يسم الربُ تعالى ولا يوصفُ إلا بما ثبت لذاته العلية من الأسماء والصفات في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، فالإخبار عن الله تعالى بأنه صانع، فهو من باب الخبر لا من باب الوصف وعليه جرى التنبيه حتى لا يظن أنه من أسماء الله أو من صفاته سبحانه وتعالى. (الباحث).

412- نظم الدرر للبقاعي: (17/1).

413- وقول ابن عاشور: "وهو وصف لاسم الجلالة"، يعني بذلك وصف الرب جل في علاه أنه رب (العالمين). (الباحث).

414- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: (ص: 166).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: مناسبة قوله: (الرحمن الرحيم) بالآية السابقة لها وهي قوله: (الحمد لله رب العالمين).

"ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة اتبع ذلك بصفتي (الرحمن الرحيم)ترغيبًا في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الحمد أصلًا". ([415])

والبقاعي يعني بذلك أن ربوبيته تبارك وتعالى مبنية على الرحمة، فلذلك جاءت صفتي (الرحمن الرحيم) بعد وصفه سبحانه ذاته العلية بأنه: (رب العالمين)، ليتبين ويتأكد أن تلك الربوبية مبناها على الرحمة التي هي من أخص صفات الرب الكريم سبحانه وتعالى.

ثالثًا: مناسبة قوله: (مالك يوم الدين) بالآية السابقة وهي قوله: (الرحمن الرحيم).

"ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكًا وكانت الربوبية لا تتم إلا بالمِلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله: (مالِك يوم الدين) ترهيبًا من سطوات مجده". ([416])

فدل كونه سبحانه وتعالى (مالِك يوم الدين) على كمال وتمام ربوبيته جل في علاه، فلا تتم الربوبية إلا بكمال الملك وتمامه، فجاءت مناسبتها تأكيدًا على عموم وشمولية وكمال ربوبيته جل في علاه.

ومن ذلك يتبين أنه سبحانه وتعالى(مالِك يوم الدين) فإذا تحقق ملكه سبحانه ليوم الدين وهو اليوم الأعظم الذي يجمع الله فيه الأوليين والآخرين ليجازيهم بأعمالهم، فلا شك في ثبوت ملكه لما هو دونه من ملك الدنيا وما فيها وما عليها، ومن كمال ملكه لهما وتمامه أنه مدبر الأمر وله التصرف الكامل فيهما لا ينازعه في أحد من خلقه، وبقوله سبحانه: (مالك يوم الدين) يتضح أن كل مُلكٍ في الدنيا ينسب لأحد من خلقه إنما هو ملك زائل لا محال كم قال ربنا: (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (غافر: 16).

"و(يوم الدين) في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بإمضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، وهو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد". ([417])

415- نظم الدرر للبقاعي: (17/1).

416- المرجع السابق: (29/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"فهو تعالى بمقتضى ذلك كله ملِك يوم الدين ومالكه مطلقًا في الدنيا والآخرة، وإلى الملك أنهى الحق تعالى تنزل أمره العلي لأن به رجع الأمر عودًا على بدء بالجزاء العائد على آثار ما جبلوا عليه من الأوصاف تظهر عليهم من الأفعال كما قال تعالى: (وسيجزيهم وصفهم)(الأنعام: 193) و(جزاء بما كانوا يعملون)(السجدة: 17). و(الأحقاف: 4)، و(الواقعة: 24) وبه تم انتهاء الشرف العلي وهو المجد الذي عبر عنه قوله تعالى: "مجدني عبدي". ([418])، ([419]).

"ولما لم يكن فرق هنا في الدلالة على الملك بين قراءة "مَلِك" وقراءة "مالك" جاءت الرواية بهما، وذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهرة وعرض، فلا يكون لأحد معه أمر ولا معنى للمَلِك سوى هذا.". ([420])

رابعًا: مناسبة قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) بالآية السابقة وهي قوله: (مالك يوم الدين).

لما تحقق وتبين أنه سبحانه وحده (مالك الدين) ناسب ألا يُعبد إلا إياه ولا يستعان إلا به، وفي هذا بيان لاستحقاقه سبحانه الإفراد بالعبودية والاستعانة.

وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب بكلمة(إياك).

"وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الاستعانة ثمرتها، وإعادة (إياك) مع الفعل الثاني تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات". (421)

وكلمة (إيَّاكَ) في الجملتين مفعول به حقه التأخير، لكنها تقدمت فعلي (نعبد) و(نستعين) لتفيد الحصر والاختصاص، وتقديم المعمول في اللغة كما هو معلوم يفيد الحصر والاختصاص، فتحصر العبادة لله ولا يختص به سواه سبحانه، وكذلك الاستعانة، فيكون المعنى: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك.

ومثله هذا قوله تعالى: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة، الآية: 40)

417- المرجع السابق: (30/1).

418- رواه مسلم -كتاب الصلاة-باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - حديث رقم: (633).

419- نظم الدرر للبقاعي: (31/1).

420- المرجع السابق: (32/1)

421-إعراب القرآن الكريم:(ص: 31).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومثله أيضًا قوله تعالى: (وَإِيَّايَ فَاتَّقُون) (البقرة، الآية: 41).

"فلما استجمع الأمر استحقاقًا وتحبيبًا وترغيبًا وترهيبًا كان من شأن كل ذي لب الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال عادلاً عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا، مقدمًا للوسيلة على طلب الحاجة، لأنه أجدر بالإجابة (إياك) أي يا من هذه الصفات صفاته! (نعبد) إرشادًا لهم إلى ذلك؛ ومعنى (نعبد) كما قال الحرالي ([422]): تبلغ الغاية في أنحاء التذلل، وأعقبه بقوله مكررًا للضمير حثًا على المبالغة في طلب العون (وإياك نستعين) إشارة إلى أن عبادته لا تتهيأ إلا بمعونته وإلى أن ملاك الهداية بيده: فانظر كيف ابتدأ سبحانه بالذات، ثم دل عليه بالأفعال، ثم رقي إلى الصفات، ثم رجع إلى الذات إيماء إلى أنه الأول والآخر المحيط، فلما حصل الوصول إلى شعبة من علم الفعال والصفات علم الاستحقاق للإفراد بالعبادة فعلم العجزعن الوفاء بالحق فطلب الإعانة". ([423]).

ولا شك في أن كلام البقاعي آنفًا كلامًا بديعًا يتبين من ثناياه عظم مكانة مناسبات الآية مع تاليتها وسابقتها، وجمال الترابط النصي في كتاب الله وما يظهر ويتجلى من معاني عظيمة تزيد المعنى وضوحًا وتجلى عيانًا عظم كلام الله تبارك وتعالى لأولي الألباب.

قال الحرالي(ت: 638هـ) – رحمه الله–:

422- الحَرَالِّيُّ (000 -638 هـ = 000 -1241 م)هو العلامة المتفنن أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي . وحرالة: قرية من عمل مرسية. ولد بمراكش، وأخذ النحو عن ابن خروف ، ولقي العلماء، وجال في البلاد، ولهج بالعقليات، وسكن حماة، وعمل تفسيرًا عجيبًا ملأه باحتمالات لا يحتمله الخطاب العربي أصلاً ، وتكلم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها ، ووعظ بحماة ، وأقبلوا عليه، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحسنى ، وكان شيخنا مجد الدين التونسي يتغالى في تعظيم تفسيره، ورأيت علماء يحطون عليه والله أعلم بسره، وكان يضرب بحلمه المثل . مات سنة سبع وثلاثين وستمائة .وممن يعظمه شيخنا شرف الدين بن البارزي قاضي حماة، فمن شاء فلينظر في تواليفه فإن فيها العظائم. سير أعلام النبلاء: (47/23).

وللاستزادة من ترجمته انظر: التكملة: (687/2) سبك المقال لفك العقال: (ص:29) خ. م. م. رقم 105وعنوان الدراية (ص: 144 وما بعدها) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص: 404).

423- نظم الدرر للبقاعي: (31/1-33).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وهذه الآيات أي هذه وما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريًا على لسان خلقه فإن القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق على اختلاف...ألسنتهم وأحوالهم وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه لقصورهم وعجزهم فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وُسع خلقه وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرًا منهم لطفًا بهم وإتمامًا للنعمة عليهم، لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه مما يكون أداء لحق فضله عليهم بذلك، وإذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله وتمجيده، فإذًا ليس لهم". (424)

وكلام الحرالي آنفًا كلامًا بديعًا ونفيسًا عز أن تجد مثاله.

خامسًا: مناسبة قوله: (اهدنا الصراط المستقيم)

بالآية السابقة وهي قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين).

لما أفرد العبادُ ربَهم بالعبودية وأذعنوا له، ولجأوا إليه وأفردوه سبحانه - كذلك - بالاستعانة احتاجوا إلى سبيل واضح وطريق قويم يهتدوا إليه ويسيروا عليه في تحقيق هذه العبودية وتلك الاستعانة، فناسب أن يدلهم ربُهم على طلب وسؤال الهداية والدلالة على هذا الطريق ليلهمهم التوفيق إليه ويعينهم على الثبات عليه فناسب أن يقول: (اهدنا الصراط المستقيم)وبذلك تتحقق لهم الهدايتين جميعًا، هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام. ولا شك في أن سؤال الله الهدايتين جميعًا هو استعانة به سبحانه لتحقيق عبودية الاستقامة على الصراط، ومن هنا يتبين المناسبة بين الآيتين.

وفي نحو ذلك قال ابن القيم(ت: 751هـ) - رحمه الله-:

"لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم

424- المرجع السابق: (134-35).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء". ([425])

وابن القيم رحمه الله يعني بما سبق ذكره أوجه التناسب بين آيات سورة الفاتحة.

"وفي الآية ندب إلى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام بحوله وقوته، فاقتضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال: (اهدنا الصراط المستقيم) تلقينًا لأهل لطفه وتنبيهًا على محل السلوك الذي لا وصول بدون". (426)

سادسًا: مناسبة قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بالآية السابقة وهي قوله: (اهدنا الصراط المستقيم).

"ولما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال: (صراط الذين أنعمت عليهم)، ولما كانت النعمة قد تخص الدنيوية عينها واستعاذ من أولئك الذين شاهدهم في التيه سائرين وعن القصد عائرين جائرين أو حائرين فقال: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)". (427)

وهو يعني بالجائرين كل من عرف الحق ولم يعمل به كاليهود لأنهم عرفوا الحق ولم يعملوا به فهم جائرون على أنفسهم ظالمون لها بعدم اتباعهم للحق والعمل به بعد أن علموه، وعنى بالحائرين كل من عبد الله على جهالة وضلالة كالنصارى الذين عبدوا الله على جهالة وضلالة فهم حائرون في وصفهم لعيس المسيح عليه السلام وأمه الصديقة تائهون عن عبودية الله وتوحيده.

كما قال تَعَالَى: (قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)(الْمَائِدَةِ: 77).

يقول أبو زهرة (ت: 1394هـ) - رحمه الله -: ([428])

425- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (48/1).

426- نظم الدرر للبقاعي: (37/1).

427- المرجع السابق: (45/1)

428- زهرة التفسير-محمد أبو زهرة، تفسير قوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) (الأعراف: 147) ، دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء: (6/؟؟؟؟).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وإنَّه لينطبق عليهم بلا ريب وصف الضّالين؛ لأنَّهم عند تخلِّيهم عن مبادئ المسيح أضلَّهم بولس وأشباهه، فضلّوا، ثمَّ أضلّوا غيرهم من بعدهم، وكفروا بما جاء به المسيح، وضلّوا ضلالاً بعيدًا، وكفروا، ولا يزالون يتيهون في أوهامهم، كما توهَّموا وأوهموا فيما سمّوه رؤية العذراء، وكذبوا وافتروا، وحاولوا الإضلال كثيرًا. ومع انطباق الضَّلال والتَّضليل عليهم، أولى بهم ثمَّ أولى أن يكونوا ممَّن غضب اللهُ تعالى عليهم، فغضب الله تعالى يحيط بهم من كل جانب؛ ولذلك نرى أن يدخلوا فيمن غضب الله تعالى عليه، ويصح أن نقول: إن فيهم الأمرين." ([429]).

ولعل فيما مضى بيان كاف لا نقص فيه ولا إجحاف.

والحمد لله لرب العالمين.

428- محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة، (ولد 6 ذو القعدة 1315هـ، المحلة الكبرى، وتوفي في (1394هـ) (عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين)، نقلًا عن: موسوعة ويكيبيديا.وللاستزادة يُنظر: الأعلام، للزِّركليّ: (25/6).

429- محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ) تفسير أبي زهرة: زهرة التفاسير، (70/1-71) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة - دار الناشر: دار الفكر العربي - عدد الأجزاء: 10.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المسألة الرابعة: علاقة السورة الكريمة بالسور المفتتحة بالحمد لله.

أولًا: ترتيب السور المفتتحة بالحمد لله على ضوء ترتيبها في المصحف الشريف على النحو التالي:

1- سورة الفاتحة

2- سورة الأنعام

3- سورة الكهف

4- سورة فاطر

5- سورة سبأ.

وهي متباعدة غير متجاورة في ترتيبها في المصحف وهي سور كلها مكية النزول.

وقد" فُصِلَ بين سورة (أمّ الكتاب) وسورة (الأنعام) بأربع سور، وبين سورة (الأنعام) وسورة (الكهف) بإحدى عشرة سورة، وبين سورة (الكهف) وسورة (سبأ) بخمسَ عشرة سورة، ولم يكن بين سورة (سبأ) وسورة (فاطر) فاصل، فليس لنا إلاَّ أن نعمد إلى السعي إلى تدبر واستبصار شيء"([430])

يعني (من التناسب بينها وبين بعضها البعض عامة وبينها وبين فاتحة الكتاب خاصة ([431]) وأسلافنا الأماجد كان منهم سعْيٌ إلى ذلك.

430-العزفُ على أنوار الذِّكر-معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة- محمود توفيق محمد سعد: أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر- شبين الكوم- 1424هـ. (57/1). - (غير مطبوع).

تنبيه هام:

فيه اعتراض على مسمى الكتاب بلفظة: (العزف) فالمؤلف -عفى الله عنا وعنه - أراد أن يستعمل المعاني البلاغية لأنه أستاذ في علم البلاغة، ولكن كتاب الله تعالى وكلامه يجب أن ينزه عن مثل هذه الألفاظ التي يستعملها أهل السماع والطرب والذي حرمه الله تعالى وحرمه رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى وإن كان المؤلف لا يقصد ذلك إلا إنه لا يعذر بوصف كلام الرحمن ووسمه بما يُوصف ويُوسم به غناءُ الشيطان، وعليه جرى التنبيه والحمد لله رب العالمين. (الباحث).

431-ما بين المعكوفين إضافة من الباحث ليستقيم المعنى.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: بيان بعض أوجه المناسبة بين السور المفتتحة بالحمد.

أبرز أوجه التناسب بين السور المفتتحة بالحمد كلِّها:

إن المتأمل في السورة المفتتحةٌ بالحمدِ يتضح ويتبين له عيانًا اقتران ذكر حمد الله تعالى في مطالع تلك السور الخمس بذكر نعمه تبارك وتعالى المستوجبة لحمده سبحانه، سواء كانت تلك النعم ظاهرة أم باطنة، عاجلة أم آجله، نِعَم الحياة الدنيا وما يتعلق بها من مقومات وأسس متمثلة في نعم الله على عباد التي بها صلاح معاشهم ولا غنى لهم عنها البتة، وَنِعَمَهُ العظيمة المتمثلة في بَعث الرسلِ والدلالة على ما بُعِثوا به بإنزال الكتبِ والهداية لشرعته التي شرعها على ألسنتهم، ثم نِعَم ذكر البعثِ والجزاءِ على الأعمال وبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب، فيطمئن بذلك أهل الإيمان إلى موعود ربهم بالجنة والنعيم المقيم لديه سبحانه فيزدادوا طاعة لربهم وإقبالًا وثباتًا ، وينزجر بذلك أهل الكفر والظلم والطغيان والعصيان فينزجروا ويرتدعوا ويعودوا إلى ربهم تائبين منيبين إليه ومستغفرين.

يقول السعد التفتازاني في مفتتح شرحه التلويح في أصول الفقه: (432)

"الحمد يكون على النعمة وغيرها، فالله تعالى يستحق الحمد،

أولًا: بكمال ذاته وعظمة صفاته.

وثانيًا: بجميل نعمائه وجزيل آلائه.

ونعمة الله – سبحانه وتعالى – على كثرتها ترجع إلى إيجاد وإبقاء أولًا، وإيجاد وإبقاء ثانيًا....

432- سعد الدين التفتازاني (722هـ -792هـ)، عالم وفقيه متكلم، وأصولي نحوي.

هو سعد الملة والدين أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي، الفقيه المتكلم النظار الأصولي النحوي البلاغي المنطقي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في صفر سنة722هـ في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالمًا وقاضيًا وكذا كان جده ووالد جده من العلماء.

وللاستزادة ينظر الدرر الكامنة: (350/4)، عجائب المقدور(467)، الدليل الشافي على المنهل الصافي(734/2).

شبكة الألوكة www.alukah.net

(وقد) أشير في الفاتحة إلى جميع النعم، وفي (الأنعام) إلى الإيجاد وفى (الكهف) إلى الإبقاء أولاً، وفى (سبأ) إلى الإيجاد وفى (الملائكة) ([433]) إلى الإبقاء ثانيًا، وهذا الذي قاله السعد فيه إجمال". ([434])

والتفتازاني بقوله آنفًا يُجمل ويشيرُ إلى أن ما يُحمد عليه اللهُ يكون بسبب النعم وبسبب غيرها.

مُشِيرًا ومفصلًا القول في أن استحقاق اللهِ للحمد يكون لسببين

الأول: لكمال ذاته وصفاته سبحانه وتعالى.

فهو سبحانه تعالى مستحق للحمد لكمال ذاته العلية، ولما اتصف به من صفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه تبارك وتعالى.

والثاني: لما أولاه لعباده من النعم ثانيًا.

وأن إحسان الله لعباده وإنعامه عليهم بسوابغ النعم الظاهرة والباطنة كل ذلك مُوجبٌ لحمد تبارك وتعالى.

ثم أشار إلى أن نعم الله مع كثرتها فإن مرجعها كلها إلى إيجاد وإبقاء أولًا، وإيجاد وإبقاء ثانيًا، وقد بين أن ذلك الإيجاد والإبقاء بأقسامهما كلها قد أشير إليه في السور المفتتحة بالحمد، ولا شك أن ذلك من أوثق أوجه التناسب بينها جميعًا.

وكان ": القرطبيّ ([435]) قد سبق "السعد" بإشارة عجلى إلى ذلك: قال في مفتتح تأويل سورة (الأنعام):

" ... فإن قيل: فقد افتتح غيرها بالحمد لله، فكان الاجتزاء بواحدة يغني عن سائره "، فيقال: لأنّ لكلّ واحدة منه معنى في موضعه لا يؤدي عنه غيره من أجل عقده بالنعم المختلفة، وأيضًا فلما فيه من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون "،

433- يعني بها سورة فاطر، وإنما سماها سورة الملائكة لذكر الملائكة في مطلعها. (الباحث).

434-السعد التفتازاني: التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لصدر الشريعة الحنفي: 1/ 4 – ط: محمد على صبيح: القاهرة-(د.ت).

435-أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الأندلسي القرطبيّ المصري المتوفي بصعيد مصر سنة671هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فانظر في قوله (من أجل عقده بالنعم المختلفة) فإنه هادٍ بإشارته إلى ما جاء " السعد" فمنحه بعضًا من البيان". ([436])

وقول القرطبيّ آنفًا يشير إلى أنه إن كانت السور الخمس كلها مفتتحة بالحمد، فكان مفتتح سورة واحدة يُغني عن الافتتاح في بقيتها بالحمد، فأشار أن لكل حمد في مفتتح كل سورة من تلك السور معنى خاص لا يقوم مقامه غيره لأن الحمد في مطلع كل سورة من تلك السور إنما أنزل ووُضِعَ وعُقِدَ لأجل نعمة مختلفة عن باقي المواضع في السور الأخرى، وإن كان كله يسمى حمدًا.

يوضح الباحث- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ - ويقول:

وكأنه يشير إلى أن كل حمد من تلك المحامد إنما هو متعلق بنعمة خاصة، وأن كل نعمة من تلك النعم تستوجب الحمد، فتكرار الحمد مبناها ومقصده وسببه إنما هو تكرار النعم في تلك المواضع.

ثالثًا: العلاقة الخاصة بين الفاتحة وبين كل سورة من تلك السور المفتتحة بالحمد.

1- سورة الأنعام:

يعمد البقاعي في (نظم الدرر) إلى تفصيله مبينًا احتواء سورة (أم الكتاب) على مقتضيات الحمد على كمال الذات وعلى جميع نعم الإيجاد والإبقاء.

فالحمد على كمال الذات قوله - سبحانه وتعالى - (الحَمْدُ للهِ) أي (أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات)

أما الإيجاد الأول في قوله - سبحانه وتعالى -: (رَبِّ العالَمينَ) فإنَّ الإخراج من العدم إلى الوجود أعظم تربية.

وأما الإبقاء الأول في قوله - سبحانه وتعالى -: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أي المنعم بجلائل النعم ودقائقها التي بها البقاء.

وأما الإيجاد الثاني في قوله - سبحانه وتعالى -: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وهو ظاهر (أي – لا يكون مالكًا لهذا اليوم إلا إذا أوْجَدَ الخلق مرة ثانية كمثل ما أوجدهم في الأول).

436- العزفُ على أنوار الذِّكر- مرجع سابق:(58/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الإبقاء الثاني في قوله - سبحانه وتعالى -: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إلى آخرها، فإن منافع ذلك تعود إلى الآخرة.

وأما سورة الأنعام فالحمد فيها على نعمة الإيجاد الأول: ولذلك ذكر فعل الخلق في مطلعها:

(... خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) (الأنعام: 1-3).

ثم انتشر الحديث عن الخلق والإيجاد فى آياتها:

في الآيات التالية: (14-38-73-79-94-95-97-98-99-100-101-102-136-141-164-101) ([437]) ([438])

وكلام البقاعي هنا موافق لكلام التفتازاني من جهة أسباب استحقاق الرب جل في علاه للمحامد كلها.

و"سورة الأنعام المكية عنيت بحمد الله - سبحانه وتعالى - على نعمة الإيجاد الأول الناظر إلى قوله - سبحانه وتعالى - في سورة الفاتحة (ربِّ العَالمين)، وقد نظرت في مواقع كلمة ربّ في السياق القرآني، فرأيت أنه يَعظم وقوعها في الآيات المكية، وقد جاءت في سورة (الأنعام) أكثر من خمسين مرة..

ولو أنَّا جمعنا معجم كلمات سورة (الأنعام) وتبصرنا المفردات المتعلقة بالخلق والإيجاد الأول لتبين لنا غلبة معنى الإيجاد الأول على هذه السورة المكية المقررة معنى التوحيد الذي هو أساس الدين الذي ارتضاه الله - عز وجل - لعباده.

وفى خاتمة السورة- أيضًا - تناغ وتاخ([439]) مع مطلَعِها المُعْلِنَ حمد الله على نعمة الإيجاد الأول: قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ

437- العزف على أنوار الذكر-مرجع سابق: (159/1)، وينظر: مصاعد النظر للبقاعي: (2 / 119).

438- تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها، (الباحث).

شبكة الألوكة www.alukah.net

نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (الأنعام: 164)

وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: 165)

فقد ختم السورة بما به ابتداءها فإن قوله -سبحانه وتعالى -: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام: 165) هو من مَعْدِنِ قوله -عز وجل -: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (الأنعام: 2)

وقوله -جل جلاله -: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام: 14)

وقوله -عز وجل -: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (الأنعام: 164)

هما من معنى قوله -سبحانه وتعالى -: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام: 1).

فدلَّ هذا كُلُّه على أن سورة (الأنعام) تتكفل بتفصيل ([440]) نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات والأرض وما بينهما وما فيها من آدمي وغيره المشار إليه في (الفاتحة) برب العالمين كما تقدم.

فالتحميد في الأنعام فرد من أفراد تحميد (الفاتحة) تحقيقًا لكونها أمًّا". ([441]).

وبهذا يتبين العلاقة والتناسب بين السورتين.

439-ومعنى تناغ: تَنَاغٍ، التَّنَاغِي-[نغو]، (مصدر: تَنَاغَى)، "تَنَاغِي العَاشِقَيْنِ": تَنَاجِيهِمَا، مُلاطَفَةُ أَحَدِهِما الآخَرَ. المعجم الغني (تَنَاغٍ)-عبد الغني أبو العزم-صدر: 1421هـ/2001م. ولعله يقصد الترابط والتآخي بين خاتمة السورة ومطلعها. الباحث.

440-الأولى أن يُقال متضمنة تفصيلًا لنعمة الإيجاد، وذلك تحاشيًا عن التوسع في وصف سور القرآن بأوصاف قد لا تتوافق مع كون القرآن كلام الله تعالى، الذي هو منزل غير مخلوق. الباحث.

441- العزف على أنوار الذكر:(161-164). وينظر نظم الدرر للبقاعي: (2/579-580).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"ومنزل سورة الأنعام من السور المكية منزل سورة (البقرة) من السور المدنية.

(ف) سورة الأنعام نزلت مبيّنةً لقواعد العقائد وأصول الدين ... فغيرها من السور المكية المتأخر عنها نزولًا مبنيٌّ عليها، وسورة البقرة قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الإنعام، فغير سورة (البقرة) من السور المدنية مبنيٌ عليها". (442)

2- سورة الكهف

(وأما سورة الكهف) فإنَّ الحمد فيها كان على كمال ذاته (الحمد لله) وعلى نعمة الإبقاء الأول: أي الإبقاء في الأرض بنعمة الهداية وذلك الإبقاء إنَّما يكون بالكتاب المنزل وبالنبيّ المرسل صلى الله عليه وسلم، ولذلك استفتح السورة بهذين قائلًا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا) (الكهف: 1-5)

فنصَّ على إنزال الكتاب على عبده مقدمًا قوله: (على عبده) تشريفًا للرسول -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا -وتباينًا لمنزلته، وأنّه أنزل عليه الكتاب هداية للناس إلى الحق استبقاء لهم في الأرض دون إهلاك، ولم يجعل لكتابه عوجًا، فهو المستقيم الذي لا عيب فيه مما يجعل أسباب البقاء متينة، فهو الهادي إلى كلِّ حقٍ وخير، وهو الكتاب القيم المهيمن على غيره والمقيم له ولكل من استمسك به. وغير خفيّ أن نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبيّ والكتاب". ([443]) وقد نصّ عليهما في مفتتح السورة.

وقد كثر الحديث عن أسباب البقاء الأول في الحياة الدنيا، فذكر قصة أهل الكهف الذين كتب الله -سبحانه وتعالى -لهم البقاء والعصمة من الهلاك بالفتنة في دينهم كما انتظم

442-ينظر الموافقات للشاطبي: (3/406-407) - الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م عدد الأجزاء: 7.

443-المرجع السابق: (4/442).

شبكة الألوكة www.alukah.net

بهم أمر من اطلع عليه من أهل زمانهم الذين كانوا على غير هُدى من الله -عز وجل - فأسلموا لما عرفوا من أمرهم: (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) (الكهف: 21)

وجاء الأمر بتلاوة ما أوحى فيه الهدى والحفظ: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) (الكهف: 27)

مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه والأمر بالصبر(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف: 28)

ففي ذلك تعاون على البر والتقوى الذين هما من أسباب البقاء الأول وذكر قصة صاحب الجنتين وصاحبه وما أحاط بصاحب الجنتين من فنائهما لعدم إيمانه واستمساكه بالهدى: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) (الكهف: 42-44)

وذكر من قصة العبد الصالح (الخضر) مع موسى عليهما السلام أحوال من حفظوا من الفناء والهلاك كحال أصحاب السفينة وحال الأبوين الصالحين بقتل غلامهما الطاغي الكافر استبقاء لهم على الإيمان والصلاح، وحال الغلامين اليتيمين ابني الرجل الصالح، وبناء الجدار استبقاء لكنزهما.

وهذه الحلقة من قصة " موسى" - عليه السلام - لم تذكر في غير سورة الكهف على الرغم من ذكر قصته - عليه السلام - في مواطن كثيرة من سور القرآن الكريم. ([444])

إذا ما تأملت الأحداث الثلاثة التي كانت من العبد الصالح (الخضر)، وما كان من شأن موسى - عليهما السلام - في الاستفهام عمَّا كان من العبد الصالح (الخضر) عليه

444- يُنظر تفسير ابن كثير: أول سورة الكهف، وأسباب النزول للواحدي ص:197-(1388).

أسباب النزول، الواحدي: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن، ط-العلمية، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، 1411هـ -1991م، ط1، عدد الأجزاء:1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

السلام ، وتأملت حال موسى – عليه السلام – من قبل لرأيت أنه قد كان موسى – عليه السلام – حال، وهو رضيع كمثل حال خرق السفينة: ألا ترى أنّ أمه رضي الله عنها قد ألقت به في اليم لينجو؟ أتكون بمنطق العقل البشري نجاة في إلقاء وليد في اليم؟ أتلحظ شيئًا من الإشارة إلى معنى (يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْمِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا) (الكهف: 16).

وكان منه قتل القبطيّ كمثل ما كان من العبد الصالح (الخضر) قتل الغلام الكافر.

وكان من موسى – عليه السلام – سقي الغنم للفتاتين دون أجر، وهو الذي كان في افتقار إلى ذلك، وهذا كمثل ما كان من العبد الصالح (الخضر)من بناء الجدار في قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما.

وهي قد نسقت في السورة كمثل ما نسقت نظائرها وقوعًا في حياة "موسى" –عليه السلام –: الأول فالأول.

تأمل هذا التقارب، وما فيه من لطائف الإشارات، ووجه البيان عنه في سورة الحمد على نعمة الإبقاء الأول، ومنزلة الفقه عن الله – عز وجل – وأثره في تحقيق كمال البقاء الأول".

وذكر من قصَّة ذي القرنين ما انتظم به من حال جميع أهل الأرض بما أقامه من الردم الحاجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج فحفظ لهم البقاء الأول

ويشير الباحث– عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ –:

"إلى أن هذا فيه من التناسب الشيء البين الواضح الذي لا تكلف فيه ولا تعسف ولا إعمال للنص وتوجيهه على غير وجهته، والحمد لله".

(... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف: من الآية98)

هذا القصص مشير إلى أسباب البقاء الأول، ولم يذكر في غير هذه السورة وهو لم يذكر معها قصة (الروح) وجعلها في سورة (الإسراء) (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلًا) (الإسراء: 85)،

على الرغم من أنَّ سؤال الكافرين كان عن الثلاثة: أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فجاء حديثه عن الروح في (الإسراء) لأنَّه به أليق وأنسب، وذكر قصة الكهف

وذي القرنين هنا لما فيهما من دلالة على نعمة الإبقاء الأول بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم.

وقد ختم السُّورة بما هو دالٌّ على ذلك -أيضًا - فكان متناغمًا متآخيًا مع ما استفتحت به إذ يقول - سبحانه وتعالى -: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: 109 -110). ([445])

3- سورة سبأ

(وأما سورة سبأ) فإنَّ الحمد فيها كان على كمال ذاته -جل جلاله-(الحمد لله) وعلى نعمة الإيجاد الثاني بالبعث من القبور ويوم القيامة (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (سبأ: 1) فقد جاء قوله: (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ) دون ذكر الأول، بينما جاء في سورة "القصص": (وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص: 70).

ولم يرد ما جاء في سورة " سبأ "من اختصاص الآخرة بالذكر فيأي سورة أخرى.

وذكر علمه بما يلج في الأرض وما يخرج وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهذا العلم الدقيق المحيط يستلزم القدرة على البعث وقد ذكر في السورة ما يدل على التبديل والبعث في مواطن عديدة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ) (سبأ: 3-5)

ويبين - سبحانه وتعالى - التعجيب من حال الذين كفروا في إنكارهم الإيجاد الثاني (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ

445-وفيما يتعلق بأوجه المناسبة في سورة الكهف فينظر: العزف على أوتار الذكر: (64/1) وما بعدها- بتصرف يسير جدًا من الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الْبَعِيدِ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) (سبأ: 7-9).

فمقصود السورة تقرير أمر الآخرة البعث والإيجاد الثاني للحساب " ولقصّة "سبَأٍ" التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة لاسيما عند العرب على قدرته - سبحانه وتعالى - على الإيجاد والإعدام للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال، والتصرّف بالحكمةِ في الإعطاءِ والمنعِ ابتداءً وجزاءً لمن شكر أو كفر. ([446])

فآيات السورة كما ترى يشيع فيها الحديث عن البعث والإيجاد الثاني وما فيه من حشر وحساب وعقاب فظهر أنَّ سياق الكلام إلى إثبات الحشر والرد على منكري الساعة ولا سيما في الآيات التالية: (16-21-30-31-5-28-40-42-46) ([447]).

وقد ازداد جلاء بما ختمها به من قوله - جل جلاله-(وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ). (سبأ: 51-54). ([448])

4- سورة فاطر

(وأما سورة فاطر) فإنَّ تسْتَهلُّها بقوله - سبحانه وتعالى -: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فاطر: 1) دالٌ دَلالة بيّنة على نعمة الإبقاء الثاني يوم القيامة فقوله: (يزيد في الخلق ما يشاء) يتجلى ظهوره لنا أعظم ما يتجلى في الجنة؛ لأنَّه لا شيء يعدل ما في الجنة من تجدد الخلق، فإنَّه لا يُأكل منها شيءٌ إلا عاد كما كان في

446- مصاعد النظر للبقاعي: (377/2).

447- تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها، (الباحث).

448- العزف على أنوار الذكر: (171:169/1). بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الحال، ولا يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت، فهي دار الإبداع والاختراع ([449]) بالحقيقة، وكذا النار(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) (النساء: من الآية56) ."

فكانت جديرة باسم (فاطر) الدّال على كمال تحققه في الدّار الآخرة دار البقاء الثاني.

ومن أعظم ما يتجلى فيه معنى قوله - سبحانه وتعالى -: (مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (فاطر: 2) (هو: أي المعنى)(أن) الدار الآخرة: دار البقاء الأخير. ([450])، ([451])

وقد توالت في السورة الآيات الدَّالة على ذلك الإبقاء الثاني، كما هو في الآيات:

(7-12-10-21-29-32) ([452])

ثم ختمَ السورةَ بما هو جِدُّ جلى في نعمة الإبقاء الثاني بإثابة الطائع ومعاقبة العاصي: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) (فاطر: 45)

يعلم الطائع، فيُثيبُه بطاعته ثوابًا لا ينقطع أبدًا، ويعلم العاصي، فيجازيه بعصيانه ما يستحق.

بهذا تبين لنا كيف أنَّ كلَّ سورة منها قد اختصت بغير ما اختصت به الأخرى من مقتضِيات الحَمْدِ، وكيف أنّها رتبت ترتيبًا مُحْكَمًا، فكانت (أمُّ الكتاب) جامعة للمحامد وكانت الأنعام للإيجاد الأول الذي يسبق الإبقاء الأوَّل الذي كانت له (الكهف) وكان الإيجاد الثاني بسورة (سبأ) وكانت آخر السور الخمس (فاطر) للنعمة العظمى والأخيرة (الإبقاء الثاني).

449- الأولى العدول عن مثل هذه الألفاظ إلى ما وصف الله تعالى به الجنة، مثل دار النعيم، وبمثل قوله: (أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) (الرعد: من آية: 35) ونحو ذلك مما ورد في وصف الجنة ونعيمها في الكتاب والسنة. الباحث.

450- نظم الدرر لبقاعي: (199/6).

451- وضمير الغائب المذكور: (هو) يعود على: المعنى لا على الدار الآخر، لئلا يُتوهم ذلك. الباحث.

452- تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها، (الباحث).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وبهذا يتبين لك عظيم دلالة الاستهلال على المقاصد المتصاعدة في السياق القرآنيّ، فلا يكون بِمَلْكِ أحد من العالمين أن يقدم سورة على أخرى (قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) (النساء: من الآية: 78). ([453])

ويُختمُ المبحثُ ببيان أبين أوجه التناسب بين السور المفتتحة بالحمد بأوجز عبارة وأسهل إشارة كما ذكر ذلك السيوطي في الإتقان:

نقلًا من عن تَفْسِيرِ الْخُوَيِّيِ ([454]) يقول: "ابْتُدِئَتِ الْفَاتِحَةُ بِقَوْلِهِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

453-العزف على أوتار الذكر: (171/1). وما بعدها.

454- الخُوَيِّي (583-637هـ= 1187 -1240م) - شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخُوَيِّي الشافعي .

ولد سنة ثلاث وثمانين. وخمس مائة. وقرأ العقليات على فخر الدين الرازي، والجدل على الطاوسي، وسمع من المؤيد الطوسي،وكان من أذكياء المتكلمين، وأعيان الحكماء والأطباء، ذا دين وتعبد، وله مصنف في النحو، وآخر في الأصول، وآخر فيه رموز فلسفية. قال ابن أبي أصيبعة قرأت عليه " التبصرة " لابن سهلان.

سمع منه المعين القرشي ، والجمال بن الصابوني ، وابنه قاضي القضاة شهاب الدين محمد وخوي :من إقليم أذربيجان.مات في شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة كهلا بحمى دقية، وولي قضاء دمشق فحمد .

سير أعلام النبلاء للذهبي: (64/23-65).

تنبيه حول التسمي بـ (قاضي القضاة) نقلا عن كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ) باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه كأقضى القضاة، وحاكم الحكام، أو سيد الناس ونحو ذلك.

أي: ما حكم التسمي بذلك هل يجوز أم لا؟

قال في "الصحيح" عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله"1. قال سفيان: "مثل شاهان شاه وفي رواية:"أغيظ رجل على الله وأخبثه".

قوله: "أخنع"، يعني أوضع.ش: قوله: "في الصحيح" أي: "الصحيحين".

قوله: "إن أخنع" ذكر المصنف أن معناه: أوضع. وهذا التفسير رواه مسلم عن الإمام أحمد، عن أبي عمرو الشيباني، قال عياض: معناه: إنه أشد الأسماء صغارًا، وبنحو ذلك فسره أبو عبيد. والخانع: الذليل، وخنع الرجل: ذل. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلاً. وقد فسر الخليل أخنع. أفجر، فقال: الخنع: الفجور. وفي رواية: "أخنى الأسماء"، من

شبكة الألوكة www.alukah.net

فَوَصَفَ بِأَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ .. وَفِي الْأَنْعَامِ وَالْكَهْفِ وَسَبَأٍ وَفَاطِرٍ لَمْ يُوصَفْ بِذَلِكَ؛ بَلْ بِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ صِفَاتِهِ، وَهُوَ خلق السموات وَالْأَرْضِ وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فِي الْأَنْعَامِ، وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ فِي الْكَهْفِ، وَمِلْكِ مَا فِي السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ فِي سَبَأٍ، وَخَلْقِهِمَا فِي فَاطِرٍ .. لِأَنَّ الْفَاتِحَةَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَمَطْلَعُهُ فَنَاسَبَ الْإِتْيَانَ فِيهَا بِأَبْلَغِ الصِّفَاتِ وَأَعَمِّهَا وَأَشْمَلِهَا". ([455]).

ودراسة هذا المبحث من الأهمية بمكان للباحث في علم التفسير، ولا سيما للباحث في التفسير الموضوعي، وجاء هذا المبحث بشيء من التفصيل وكان له مدخل بين يدي بحث المناسبات في سورة الفاتحة حتى يتسنى للباحث والدارس لهذا العلم الشريف تصور علم المناسبات وما قيل فيه بحسن تصور لا إفراط فيه ولا تفريط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يكون كالتدريب العملي على طريقة البحث في علم المناسبات عمومًا، وما يتعلق بالسورة أو الآيات التي يتعرض لدراستها خصوصًا.

ولعل في هذا كفاية لطالب سلوك طريق معرفة الحق ومريد الدلالة على سبل الهداية.

الخنا بفتح المعجمة وتخفيف النون مقصور، وهو الفحش في القول. نقله الباحث، وإتمامًا للفائدة يوضح الباحث أن بعض أهل العلم استثنى من ذلك تقيد مسمى قاضي القضاة بقيد معين كبلد أو قرية أو نحو ذلك كمذهب مثل الشافعي أو المالكي ونحوه ذلك، وذكر الباحث ذلك صيانة للتوحيد الذي هو حق الله تعالى على جميع العبيد، والله تعالى وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

1- البخاري: الأدب (6205، 6206) ، - ومسلم: الآداب (2143) ، والترمذي: الأدب (2837) ، وأبو داود: الأدب (4961) ، وأحمد (244/2، 315/2).

454-الإتقان في علوم القرآن: (231/2).الإتقان في علوم القرآن-السيوطي-جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، -دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 3، 1415هـ

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب السابع: بيان المعنى الإجمالي للسورة الكريمة

لقد «اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثّناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدّين، وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتّضرّع إليه، والتّبرّؤ من حولهم وقوّتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهيّة تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريكٌ أو نظيرٌ أو مماثلٌ، وإلى سؤالهم إيّاه الهداية إلى الصّراط المستقيم، وهو الدّين القويم، وتثبيتهم عليه حتّى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصّراط الحسّيّ يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنّات النّعيم في جوار النّبيّين، والصّدّيقين، والشّهداء، والصّالحين.

واشتملت على التّرغيب في الأعمال الصّالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتّحذير من مسالك الباطل؛ لئلّا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضّالّون (456).

ولقد افتتح الرب جل في علاه الله هذه السور، التي افتتح بها كتابه-بحمده سبحانه- بقوله سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الفاتحة: 2).

حمد الله نفسه العلية قبل أن يحمده حامد، فهو سبحانه المستحق للمحامد كله.

و﴿ الْحَمْدُ ﴾: مبتدأ مرفوع.

وقوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾ جار ومجرور [على التعظيم والإجلال والتبجيل لرب العزة والجلال] (457).

والجار والمجرور متعلق بمحذوف، خبر المبتدأ، تقديره: ثابت أو واجب (458)(459).

---

(456)تفسير ابن كثير (1/143-144).

(457)ما بين المعكوفين من إضافة الباحث تأدبًا مع الرب العظيم وذاته العلية سبحانه وتعالى.

(458) الجدول في إعراب القرآن (1/ 23).

(459) محمود بن عبد الرحيم صافي - مولده في: (1376هـ). من أعلام مدينة (حمص) السورية، وهو مؤلف أول كتاب كامل مفصّل في إعراب القرآن وصرفه وبيانه؛ ويعرف باسم (الجدول في إعراب القرآن، وصرفه، وبيانه، وكانت وفاته سنة (1405هـ).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويفهم من هذا وجوب لزوم الحمد دائمًا لله تعالى.

واللام في لفظ الجلالة لها معنيان:

المعنى الأول: الاختصاص، فيكون المعنى على ذلك أن الله تعالى مختص بجميع المحامد وحده سبحانه وتعالى.

والمعنى الثاني: الاستحقاق، فيكون المعنى: أن الله تعالى مستحق لجميع المحامد التي تليق بروبيته للعالمين، وتربيته لخلقه بنعمه وإحسانه وإنعامه وإفضاله.

وقد أشار لمثله هذا المعنى أو قريب منه بعض أهل التفسير، منهم العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره للفاتحة.

و«﴿ الْحَمْدُ﴾وصفُ المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ الكمال الذاتي والوصفي والفعلي؛ فهو كامل في ذاته وصفاته وأفعاله؛ ولا بد من قَيْد، وهو«المحبة والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرَّد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم، لا يسمَّى حمدًا؛ وإنما يسمى مدحًا» (460) اهـ.

و﴿ الْحَمْدُ ﴾يكون بالثناء على رب العزة بجميع صفات الجلال والكمال، والثناء عليه سبحانه وتعالى بأفعاله الكريمة والتي مدارها بين فضله سبحانه وتعالى وعدله، فالله سبحانه وتعالى له الحمد الكامل التام من جميع الوجوه.

«والحمد ضد الذم، والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذم خبر بمساوئ المذموم مقرون ببغضه، فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بُغضه، وهو -سبحانه-له الحمد في الأولى والآخرة.

وأول ما نطق به آدم: الحمد لله رب العالمين، وأول ما سمع من ربه: يرحمك ربك، وآخر دعوى أهل الجنة أن: الحمد لله رب العالمين، وأول مَن يدعى إلى الجنة الحمادون، ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه، وهو صاحب المقام المحمود الذي يَغبِطه به الأولون والآخرون؛ فلا تكون

---

(460) يُنظر: تفسير العلامة محمد بن صالح العثيمين (50/2).

شبكة الألوكة www.alukah.net

عبادة إلا بحب المعبود، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو - سبحانه - المعبود المحمود» (461)؛ اهـ.

والألف واللام في ﴿ الْحَمْدُ ﴾ للاستغراق، ليعم جميع المحامد، ولتكون كلها لله وحده لا شريك له، وفي ذلك إيذانًا لعباده أن يحمدوه على إنعامه وإفضاله ويشكروه على جزيل نعمه وآلائه، فيكون حمد العباد لخالقهم باللِّسان والجنان والأركان، فيكون نطقًا وإقرارًا وثناءً على الله المنعم المتفضل باللسان، وتصديقًا واعترافًا بالنعم بالجنان، وعملًا بالجوارح والأركان، وفيه حث لهم على تعبيد نعمه له سبحانه واستعمالها فيما يقربهم لديه ويرضيه، فلا يستعينوا بنعمه على معصيته، فيكون ذلك منهم جحودًا لها ونكرانًا وكفرانًا.

«فيجب على كلِّ مكلَّف أن يَعتقد أنَّ الحمد على الإطلاق إنَّما هو لله، وأنَّ الألف واللام للاستغراق لا للعَهد، فهو الذي يستحقُّ جميعَ المحامد بأسرِها، فنحمده على كلِّ نعمة وعلى كلِّ حالٍ بمحامده كلِّها، ما عُلِم منها وما لم يُعلم...، ثمَّ يجب عليه أن يسعى في خصال الحمد؛ وهي التخلُّق بالأخلاق الحميدة والأفعالِ الجميلة».اهـ (462).

والرب العظيم الغني عن خلقه أجمعين، يحب من عباده أن يحمدوه، فلما حمد الله ذاته العلية فإنه تعالى يحب ذلك أيضًا من عباده، ويدل على ذلك ما ثبت صريحًا من حديث الأسود بن سريعٍ (463) رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسُول الله، ألا أنشدُك محامِد

---

(461) منهاج السنة النبوية: (5 / 405).منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م عدد المجلدات: 9 .

(462) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (190/1)

(463)الأسود بن سريع التميمي،صحابي وفارس وشاعر، عاش في البصرة، وشهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أربع من غزواته. أسد الغابة (1/ 229) -أسد الغابة في معرفة الصحابة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

حمدتُ بها ربّي تبارك وتعالى، قال: «أما إن ربك تبارك وتعالى يحب أن يُحمد».زاد في رواية: «ولم يسترده على ذلك»(464)

يقول ابن المبرد الحنبلي(465):

احْمَدْ لِرَبّكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ... .وَافْزَعْ إِلَيْهِ فِي الصِّعَابِ يَحُلُّهَا

وَاقْرَعْ بِكَفِّ الذُّلِّ بَابَ عَطَائِهِ ... مَنْ فِي الْوُجُودِ سِوَى الإِلَهِ يَبُلُّهَا .... (466)

وقوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، العالمين جمع عالم، والعالم جمعٌ لا مفرد له من لفظه، وكل ما سوى الرب سبحانه وتعالى عالم، وكل منا واحدٌ من هذا العالم.

و(الرَّبُّ) هو المالك والصاحب والمتصرف في ملكه، المدبر لشؤون خلقه من الخلق والرزق وتدبير جميع أمورهم وإصلاح شأنهم ورعايتهم، فلفظ الربّ يطلق على تلك المعاني جميعًا.

وكلمة الرب: إذا أطلقت فإنها تكون علمًا على الذات الإلهية، ولا يجوز ولا يصلح إطلاقها أبدًا إلا على الرب العظيم جل في علاه، ولكن يجوز إطلاقها على غيره سبحانه من خلقه بشرط أن تكون مقيدة بالإضافة تقول: رب الدابة ورب البيت ونحو ذلك، ومنه قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي - صلى الله عليه وسلم - في خبره مع أبرهة

---

(464) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (7745)، وأحمد (430/3)، والطبراني في الكبير (820)، والحاكم (614/3) والزيادة له وقال: صحيح الإسناد! ووافقه الذهبي. وصححه الألباني الصحيحة (3179).

(465) ابن المِبْرَد (يوسف بن حسن)، (840-909هـ)يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد، علامة متفنن، من فقهاء الحنابلة، من أهل الصالحية، بدمشق ينظر ترجمته في: شذرات الذهب (8 / 42)، والضوء اللامع. والمبرد هذا يعرف أيضا:بابن عبد الهادي وهو غير ابن عبد الهادي الجماعيلي الصالحي، وهو غير المبرد (النحوي، اللغوي) (ت 286 هـ)، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس، ولد سنة (210هـ)، شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (3/ 380)، تاريخ دمشق (56 / 246)، سير أعلام النبلاء (576/13).

466-كتاب النجاة بحمد الله، لابن المبرد: (ص: 30).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الحبشي لما ساق الإبل وأراد هدم الكعبة المشرفة: «أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه» (467) (468).

وربوبية الله تعالى لخلقه على ضربين:

الضرب الأول: الربوبية العامة بخلقه أجمعين، فهو الذي خلقهم ورزقهم ودبر شؤونهم، وأنعم عليهم بكل النعم وملك أمرهم، ودبر لهم شؤون معاشهم، وهذه ربوبية عامة تشمل كل خلقه مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم.

---

(467)السيوطي: الدرر المنتثرة (122)، والأسرار المرفوعة ملا علي قاري (297).

(468)السيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. (849 -911 هـ) له نحو (600) مصنف، من أشهرها الإتقان في علوم القرآن، لباب النقول في أسباب النزول، تفسير الجلالين وغيرهم، ينظر: الزركلي، الأعلام، (3/ 302).

بيان موجز لعقيدة السيوطي: جاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (12 / 98)والعلماء الكبار- مثل السيوطي وغيره- ينبه على أخطائهم، ويستفاد من علمهم، ولهم فضائل تغطي على ما عندهم من أخطاء، لكن الخطأ لا يقبل منهم ولا من غيرهم.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في نقده لقول السيوطي في الإتقان:(إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد)هذه المقالة اغترّ بها الكثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي رحمه الله مع طول باعه وسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة، وهذه (المقالة) مبنّية على أصل فاسد وهو القول بخلق القرآن وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم، ويلزم هذه المقالة من الكفر والإلحاد الزندقة وإنكار الرسالة ووصف الله بالخرس وتشبيهه بآلهة المشركين الأصنام التي لا تنطق و غير ذلك من المحاذير الكفرية ما يعرفه أهل العلم. مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (1: 214-239).

وقد تطرقت بعض الدراسات المعاصرة إلى عقيدته منها رسالة لدكتور سعيد إبراهيم مرعي خليفة، وهي بعنوان: جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية عرض نقد على ضوء عقيدة اهل السنة والجماعة، وكذلك رسالة للباحث طلعت جبر المجدلاوي وهي بعنوان:مواقف الإمام السيوطي من الإلهيات والنبوات دراسة ونقدًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والضرب الثاني: ربوبية خاصة لعباده المتقين، يربيهم ربهم بالإنعام عليهم بهدايتهم سبل السلام، ويوفقهم لذلك، ويدفع ويمنع عنهم ما يصرفهم عن الهداية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعصمهم من الضلالة والغواية بعد الرشاد والهداية.

ويربيهم بصلاح شأنهم كله ورعايتهم وتسديدهم ونصرتهم وتوفيقهم في كل شؤونهم.

وربوبية الله تعالى تشمل المعنيين جميعًا.

و﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هو الخالق لجميع العوالم، ما علمنا منها وما لم نعلم، وهو ربّها الذي يدبَّر جميع أمرها قاطبة، فيسوق إليها أرزاقها وأقواتها، وهو المالك لجميع أمرها، المتصرف وحده في جميع شؤونها، فلا يملك أحد من تلك العوالم لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وكل تلك العوالم كلها لا غنى لها عن فضله ورحمته طرفة عين ولا أدنى من ذلك، فكلهم فقراء إليه وإلى فضله ورحمته فقرًا دائمًا، فكل ما هم فيه من نعم وفضل، فمن واسع جوده وكريم عطائه وواسع رحمته وإحسانه، وكل ما صرف عنهم من البلاء والشقاء والضنك فهو من تصريفه لشؤون خلقه بتدبيره ورحمته، ففقر جميع تلك العوالم لرب العالمين فقر دائم لا ينقطع، وهو مع ذلك سبحانه القيوم على شؤون تلك العالمين غني عنهم أجمعين، قائم بنفسه لا حاجة له لأحد من خلقه، كل ذلك يدعو المؤمن في إعمال فكره وقلبه وعقله في ربوبية رب العالمين وعظمته، ويقدره حق قدره بأن يعبده سبحانه حق عبادته، وألا يصرف شيئًا من تلك العبادة لأحد سواه، لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب، وألا يجعل معه إِلَهًا آخر، كما قال ربنا مخاطبًا جميع الناس في أول نداء في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21] .فأمرهم ربهم جميعًا بعبادته، ممتنًا عليهم بربوبيته بقوله سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿الرحمن والرحيم ﴾ هما اسمان عظيمان لله تعالى وصف بهما ذاته العلية.

واسم ﴿ الرحمن ﴾: يدل على صفة ذاتية لله تعالى، وهو سبحانه رحمن موصوف بتلك الصفة العظيمة الخاصة به سبحانه دون سواه من خلقه.

واسم ﴿الرحيم﴾: يدل على صفة فعلية للرب جل في علاه، وهي صفة فعلية مبناها على خصوص رحمته التي يرحم بها من يشاء من خلقه، وهي أخص بعباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: 43].

وهما اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن اسم ووصف لا يسمى ولا يوصف به غير الله تعالى أبدًا، واسم الرحمن فيه مبالغة أشد من اسم الرحيم، لأن الرحمن متعلق برحمته سبحانه العامة التي تشمل عموم خلقه مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] فذكر صفة استوائه على العرش مقرونة باسمه الرحمن ليعم بتلك الرحمة العامة عموم خلقه من مؤمن وكافر وبر وفاجر، فكما أنهم عمهم عرشه، فتعمهم كذلك رحمته.كما قال ربنا: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الأحزاب: 5]

أما الرحيم، فهذه رحمة خاصة بالمؤمنين، وقد نص على ذلك جمع من أهل التفسير، وهو كذلك مأثور عن بعض السلف، وذكر الاسمين الكريمين ﴿الرحمن والرحيم﴾ بعد قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فيه تنبيه أن تلك الربوبية مبناها على الرحمة.

ومما سبق يتبين أن اسما: ﴿الرحمن والرحيم ﴾اسمان ثابتان لله على الحقيقة لا المجاز، وقد دل عليهما النقل والعقل والحس، فلا يُلتفت لمن أنكر تلك الصفة العظيمة وأولها إلى الإفضال والإحسان والإنعام وإرادة الله تعالى ذلك بخلقه، فالحمد لله على نعمة الهداية للحق، ونعوذ بالله من الغواية بعد الهداية.

وقوله كما قال تعالى: ﴿ مَالِكِ﴾ (الفاتحة: 4).

والمراد بيوم الدين هنا يوم الحساب والجزاء على الأعمال، ففيه معنى الإقرار بإثبات المعَاد، وإثبات الجزاء والثواب والعقاب على الأعمال.

وإنما سمى بيوم الدين لأن الخلائق يحاسبون ويدانون بأعمالهم، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كما قال ربنا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾ [الزلزلة].

والمالك من له كمال الملك وتمامه، فهو سبحانه ملك مالك، أي مَلِكٌ له مُلكٌ، و(مالك) و(ملك)، قراءتان متواترتان(469).

ومن كان كذلك فإن له الأمر والنهى والثواب والعقاب، وهو سبحانه المتفرِّد بالحُكْم والفصْل والقضاء بين العباد في هذا اليوم العظيم، وفي يوم الدين يظهر ذلك عيانًا للخلائق أجمعين، فكل مُلك للمخلوقين قد زال، واستوى المالك والمملوك، أما مالك الملك الأعظم، فلا يبقى سواه.

كما قال تعالى: ﴿ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ(16)﴾ [غافر]، ومن ملك يوم الدين ذلك الملك الأكبر الباقي الدائم، فلا شك أن يملك ما دونه، فهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة كما هو معلوم من دين الله بالضرورة.

«وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام في الدنيا وفي الآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعى أحد هناك شيئًا ولا يتكلم أحد إلاّ بإذنه، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) ﴾ [النبأ].

وكما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[هود: 105](470).

وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5) ﴾

أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، وتقديم المعمول في﴿إِيَّاكَ ﴾ على فعلي(نعبد ونستعين)، يفيد الحصر والاختصاص، كما هو معلوم في اللغة، فيكون المعنى: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وتكررت كلمة إياك لتفيد الاهتمام والتعظيم للرب جل في علاه. ومثله قول الله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) الآية [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ(41)﴾ الآية [البقرة]. وقد سبق أن مر معنا ذلك في ثنايا البحث.

---

(469)مالك: قرأها عاصم والكسائي من السبعة، وكذا يعقوب وخلف العاشر من العشرة.
ملك: هي قراءة: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة من السبعة، وأبو جعفر من العشرة.

(470)تفسير ابن كثير (134/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإياك نعبد تنفي الشرك بأنواعه، وإياك نستعين تنفي الاغترار بالحول والقوة، وتثبت الافتقار الكامل التام لله والمذلة.

والآية متضمنة لتوحيد العبادة بأنواعها كلها، وأمثلة ذلك في كتاب الله كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: 60]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

«والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(471).

والعبادة لها عمودان وركيزتان لا تقوم إلا بهما وهما: كمال الذل وكمال المحبة.

و«العبادة المأمور بها تتضمّن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له... ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله»(472).

و«لفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب، فإنهم يقولون: قلب متيم إذا كان متعبدًا للمحبوب والمتيم المتعبد، وتيَّم الله عبده»(473).

قال ابن القيم(ت: 751هـ) -رحمه الله -:

وعبادة الرحمن غاية حبه .....مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر .....ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ...لا بالهوى والنفس والشيطان(474)

---

(471) العبودية (ص33-35). العبودية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م .

(472) المرجع السابق (ص33-35).

(473) العبودية (ص152).

شبكة الألوكة www.alukah.net

«والناس في هذا على درجات متفاوتةٍ، لا يحصي طرقها إلا الله، فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية لله من هذا الوجه» (475).

ولقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5)﴾ (الفاتحة) شبيهان في السنة المطهرة من كلام المعصوم - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى.

الأول: في قوله- صلى الله عليه وسلم - في خطبة الحاجة: «إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره» (476).

والثاني: في قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن عباس رضي الله عنهما - المشهور: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (477).

ولا سعادة للبشرية ولا طمأنينة ولا راحة ولا نجاة لها من الآفات والمهلكات إلا بتحقيق العبودية الكاملة التامة لرب البرية.

وإنما قدم العبادة وأخر الاستعانة مع دخولها في العبادة ضمنًا، لتأكيد أمر الاستعانة، ولبيان مكانتها وقدرها ولضرورة حاجة العبادة إليها، وأنه لا توفيق ولا هداية للعبد إلا بعون الله وتوفيقه تسديده.

«وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده» (478).

---

(474) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (ص32).متن القصيدة النونية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، 1417هـ عدد الأجزاء: 1.

(475)العبودية (ص133-134).

(476)سبق تخريجها في المقدمة.

(477) أخرجه الترمذي (2516)، وأحمد (2802)، وأبو يعلى (2556)، والطبراني (12820) (12989)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (419)، والبيهقي في شعب الإيمان (1074).

(478) تفسير ابن سعدي (31/1).تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م عدد الأجزاء: 1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول ابن القيم: (ت: 751هـ)- رحمه الله-:

«ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما العبد ترامیا به إلى التلف ولا بد، وهما الرياء، والكبر، فدواء الرياء بـ "إياك نعبد" ودواء الكبر بـ "إياك نستعين".

وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه (479).

يقول: إياك نعبد تدفع الرياء، وإياك نستعين تدفع الكبرياء.

فإذا عوفي من مرض الرياء بـ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة: 5) ومن مرض الكبرياء والعجب بـ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: 5) ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: 6) عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه.

وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يُسْتشْفَى بها من كل مرض، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين، كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى، فلا شيء أشفى للقلوب التي عقلت عن الله وكلامه، وفهمت عنه فهما خاصًا، اختصها به من معنى هذه السورة(480).

---

(479)فائدة: حول معنى: «قدس الله روحه»: أي طهرها، وهو بمعنى طلب المغفرة، هذا الدعاء مُستقى من اسم الله (القدوس) ومعناه أي: المبارك الطاهر الذي تعالى عن كل دنس، وقيل: تقدسه الملائكة الكرام وهو سبحانه الممدوح بالفضائل والمحاسن.

وفي ذلك يقول ابن القيم:(ت: 751هـ)- رحمه الله-في نونيته:

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـ تنزيه بالتعظيم للرحمن

وهو ها هنا بمعنى الدعاء، والمعنى المقصود هنا هو الدعاء بالتطهير من الذنوب والخطايا .. وينظر:اللسان، والنهاية، مادة (قدس) ..ففيها ذِكرُ هذا المعنى.. وعلى هذا فمعنى عبارة: قدس الله روحه هو الدعاء كما تبين معنى آنفًا. فلا يُمنع الدعاء بذلك.

وختامًا: فإنه لا شك أبدًا في أن الدعاء الذي ليس في محظور شرعي لا يمنع بتاتًا، وإن كان الدعاء للميت بعموم الثابت من الأدعية أفضل وأكمل وأسلم.

(480)مدارج السالكين (78/1)، بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.الصراط في المفهوم اللغوي: هو الطريق السهل(481). والسبيل الواضح(482).

والصراط هنا: هو الإسلام، والهداية إليه هي التمسك والاعتصام به، فما أوضحه وما أسهله.

والهداية إلى الصراط: هي معرفة دين الإسلام. وتعلمه والعمل به، وجحد كل دين سواه.

ومما يؤكد أن الصراط هو الإسلام ما ثبت في مسند أحمد من حديث النَّواس بن سمعان مرفوعًا في وَصف الصراط بأنه هو الإسلام، قوله ﷺ مفسرًا له: «والصِّراطُ: الإسلامُ، والسُّوران: حُدُودُ الله، والأبوابُ المُفتَّحةُ: محارمُ الله، وذلك الدَّاعي على رأس الصِّراط: كتابُ الله، والدَّاعي من فوق الصِّراط: واعظُ الله في قلب كُلِّ مُسلمٍ» (483).

ولقد «أجمعَت الأمَّةُ من أهل التأويل جميعًا على أنَّ الصراطَ المستقيمَ هو: الطريقُ الواضحُ الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب»(484).

إذن فـ«[الصراط] (485) المستقيم الذي ليس فيه عوج، قال الله - تعالى - لنبيه- صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ [الشورى: 52-53]؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بعثه الله ليهديَ إلى صراط مستقيم، وهكذا الرسل جميعًا، كلهم بعثوا ليهدوا إلى الصراط المستقيم يعني: يدعون الناس إلى الصراط

---

(481) والطريق عمومًا لا يقتضي السهولة؛ ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (298/1).

وقال في القاموس المحيط (ص675): «الصِّراطُ -بالكسر-: الطريقُ، وجِسْرٌ مَمْدُودٌ على متْنِ جَهَنَّمَ».

(482) لسان العرب (313/).

(483) أخرجه الحاكم (245)، والنسائي في الكبرى (11169)، والترمذي (2859) وأحمد (17909) وهو في صحيح الجامع (3887).

(484)تفسير الطبري(170/1).

(485)أضاف الباحث كلمة (الصراط) لاستقامة المعنى.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المستقيم وهو توحيد الله وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله المستقيم»(486).

«والذي هو أَولى بتأويل هذه الآية عندي – أعني: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6) ﴾ - (الفاتحة)أنْ يكونَ معنيًّا به: وَفِّقنا للثَّبات على ما ارتضيتَه [كما](487) وَفَّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك من قولٍ وعملٍ، وذلك هو الصِّراط المستقيم؛ لأن من وُفِّقَ لِما وُفِّقَ له مَن أَنعم اللهُ عليه من النبيّين والصدِّيقين والشهداء، فقد وُفِّقَ للإسلام وتصديقِ الرسلِ والتمسُّكِ بالكتاب والعملِ بما أمر الله به، والانزجارِ عمَّا زَجره عنه، واتّباعِ منهج النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ومنهاجِ أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وكلِّ عبدٍ لله صالحٍ، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم، وقد اختلفتْ تراجمةُ القرآن في المعنيِّ بالصراط المستقيم، يشمل معانيَ جميعِهم في ذلك ما اخترنا مِنَ التأويل فيه(488).

«وذكر الصراط المستقيم مُفردًا مُعرَّفًا تعريفين:

تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يُفيد تعيُّنَه واختصاصه، وأنه صراطٌ واحدٌ، وأمَّا طُرُقُ أهلِ الغضب والضلال، فإنه سبحانه يجمعها ويُفردها، كقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: 153]، فوَحَّدَ لفظَ الصراط وسبيله، وجمع السُّبُلَ المخالفة له(489).

وإنما الهداية: هدايتان مستقلتان، ولا تتم سعادة البشرية إلا بتحقيق الهدايتين جميعًا:

أما الهداية الأولى: فهي هداية دلالة وإرشاد إلى الصراط المستقيم، ولا تكون هذه الهداية إلا بمعرفة الحق وطريق الرشاد، ولا يتم ذلك إلا بالعلم، ولا يتم العلم إلا بالوحي المتضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

أما الهداية الثانية: فهي هداية التوفيق والإلهام والرشاد واتباع الحق والتمسك والاعتصام به، وتلك الهداية لا يملكها إلا الله، لا يملكها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

---

(486)مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (168/24).

(487)زاد الباحث كلمة(كما) ليستقيم الكلام.

(488) ينظر: تفسير الطبري: (1 /171).

(489) مدارج السالكين: (37/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فبالهداية الأولى: وهي هداية الدلالة والإرشاد يُعرف الحقُ من الباطل، والتوحيدُ من الشرك، والسنةُ من البدعة، والخيرُ من الشر، والهدى من الضلالة والعمى والغواية.

وبالهداية الثانية: وهي هداية التوفيق والإلهام والرشاد يُتبع الدينُ الحق الذي أُرسلت به الرسلُ وأُنزلت به الكتبُ ويُتمسك به، ويُنبذ ويُجحد ويُترك كلُ دين سواه.

ومما ينبغي أن يُعلم: أن الهدايتين متلازمتين لا تنفك واحدة عن الأخرى، ولضرورة حاجةِ العبدِ للهدايتين أُمِرَ العبدُ أن يقف بين يدي ربه في صلاته ضارعًا خاشعًا متذللًا مستكينًا سائلًا لأعظم مطلوب وأجل مرغوب، ألا وهو هداية علام الغيوب فيدعوه قائلًا: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6)﴾ (الفاتحة)، وهو في ذلك يسأل ربه سؤال اضطرار إلى هدايته التي لا غنى له عنها طرفة عين أو أقل من ذلك أبدًا، ويسأل ربه سؤال مذلة، ويسأله سؤال حاجة وفاقة، ويسأله الهدايتين جميعًا، ويسأله سلوك الصراط والسير والثبات عليه حتى الممات.

ولا شك أن مطلب الهداية أعز مطلب فهو مبنى على رحمة الله وتوفيقه وفضله وإحسانه.

ومن رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمته فإنه يصف لهم حال السائرين على الصراط، تحذيرًا لهم، فيقول - صلى الله عليه وسلم - : «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فتقومانِ جَنَبَتَي الصِّراطِ يمينًا وشمالًا، فيمرُّ أَوَّلُكُم كالبرقِ» قال: قُلتُ: بأبي أنتَ وأُمِّي، أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قالَ: «ألم تَروا إلى البرقِ كيفَ يمرُّ ويرجعُ في طَرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ، ثمَّ كمرِّ الطَّيرِ، وشدِّ الرِّجالِ، تَجري بِهِم أعمالُهُم، ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ، يقولُ: ربِّ سلِّم سلِّم، حتَّى تَعجزَ أعمالُ العبادِ، حتَّى يجيءَ الرَّجلُ فلا يَستَطيعُ السَّيرَ إلا زَحفًا، قالَ: وفي حافتي الصِّراطِ كَلاليبُ مُعلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ من أُمِرَتْ بِهِ؛ فمَخدوشٌ ناجٍ، ومَكْدوسٌ في النَّارِ» (490).

فـ«تفكَّر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقَّته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرَع سمعَك شهيقُ النار وتغيُّظُها، وقد كُلِّفت أن تمشي

---

(490) أخرجه البخاري (3340)، ومسلم (194).وهو مروي من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

شبكة الألوكة www.alukah.net

على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلًا عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدَّته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثانية، والخلائق بين يديك يزِلُّون ويتعثرون، وتتناولهم زبانيةُ النار بالخطاطيف والكَلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعَه، ومرتقًى ما أصعبَه، ومجال ما أضيقَه فاللهم سلِّم سلِّم (491).

وقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6)﴾ (الفاتحة)، «يتضمَّن بيان أن العبد لا سبيلَ له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما أنه لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، ولا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته»(492).

و«على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطيف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردس(493).

فعلى العبد الناصح لنفسه، المكرم لها، الحريص على فكاك رقبته من النار، أنْ يجد في طلب الهدايتين جميعًا، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام والرشاد، وعليه أن يبذل عمره كله في هذا المطلب العظيم، وأن يبذل دونه الهمم العوالي والمهج الغوالي، ذلك لأنه أعز مطلوب، وأجَل مرغوب، وأن يلح على الله في سؤال الهداية، وقد أمر الله عباده بذلك، كما ثبت ذلك في أشرف حديث لأهل الشام عند مسلم من

---

(491) التذكرة للقرطبي (755).

(492) ينظر: الفوائد؛ لابن قيم الجوزية (ص: 19) بتصرف يسير.

(493) مدارج السالكين (16/1).

شبكة الألوكة www.alukah.net

حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعًا، وهو حديثُ قدسيُّ: «يا عِبَادِي، كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هَديتُه، فاسْتَهدُوني أَهدِكُم» (494).

-والسورة قد «جمعت بين التوسل إلى الله تعالى بالحمد والثناء على الله تعالى وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة»(495).

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾ (الفاتحة).

فقَوْلُهُ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾. «أَيْ مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام، وَقِيلَ: هُمْ كُلُّ مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النِّسَاءِ: 69]»(496).

فالمنعم عليهم إذن: هم الذين قال الله تعالى عنهم في سورة النساء: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) (69) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (70) ﴾ [النساء].

«وفيه الإشارةُ إلى الاقتداء بالسلف الصالح»(497) (498).

وقوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾«أي: غير الذين غَضِبت عليهم، وهم اليهود.

﴿ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.؛ أي: ولا الذين ضلُّوا، وهم النصارى، فكأن المسلمين سألوا الله -تعالى-أن يهديَهم طريق الذين أنعم عليهم، ولم يغضب عليهم كما غضب على اليهود، ولم يضلوا عن الحق كما ضلَّت النصارى»(499).

---

(494) رواه مسلم(2577) من حديث أبي ذر الغفاري.

(495) مدارج السالكين (24/1).

(496) تفسير البغوي (54/1).

(497) فتح البيان في مقاصد القرآن:(52/1) أبو الطيب محمد صديق خان.

(498) وهو الشيخ محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحسيني ولد1248هـ - ببلدة (بانس بريلي). نقلًا عن الموسوعة الحرة.

(499)الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي(1/2).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الضحاك، وابن جريج، عن ابن عباس﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ هم اليهود، ولا ﴿ الضَّالِّينَ﴾. هم النصارى، وكذلك قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد، وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، قوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ(90) ﴾ [البقرة]، وقال في المائدة:

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ(60) ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ(78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(79) ﴾ [المائدة](500).

وفي المسند وسنن الترمذي من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»(501).

والحاصل من جراء ذلك كله أن السبل المذكورة ثلاثة سبل:

الأول: سبيل المنعم عليهم.

الثاني: سبيل المغضوب عليهم.

الثالث: سبيل الضالين.

ويتبين من ذلك أيضًا:

أن أهل السبيل الأول هم الذين قال الله فيه: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾أي: من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويدخل ضمنًا معهم المؤمنون المهتدون الذين أنعم الله تعالى عليهم بطاعته وعبادته.

---

(500) تفسير ابن كثير (143/1).

(501) أخرجه البخاري (1413)، ومسلم (1016).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأن أهل السبيل الثاني هم: ﴿ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ﴾وهم اليهود، وكل من سلك سبيلهم ممن عرف الحق ولم يتبعه ولم يعمل به.

وأن أهل السبيل الثالث هم: ﴿الضالين وهم النصارى، ومن سلك سبيلهم ممن عبد الله على جهالة وضلالة، لذا فكل من عرف الحق من علمائنا ولم يعمل به ففيه شبه من اليهود، وكل من عبد الله على ضلالة من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

ولما كان اليهود أمة عناد خُصوا بما يناسبهم ألا وهو الغضب، ولما كانت النصارى أمة جهل خُصوا أيضًا بما يناسبهم ألا وهو الضلال.

ولذلك «فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم.

والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله فيهم:

﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 60] وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال سبحانه فيهم: ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْقَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار. وذلك واضح بين»(502).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ(ت: 198هـ) – رحمه الله–:

«كَانُوا يَقُولُونَ مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ الْيَهُودِ وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ النَّصَارَى .وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ يَقُولُ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ.

فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَشْبَهَ الْيَهُودَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

---

(502) تفسير ابن كثير (1/ 141).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ بَلْ بِالْغُلُوِّ وَالشِّرْكِ أَشْبَهَ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(44)﴾ [المائدة] فَالْأَوَّلُ مِنْ الْغَاوِينَ وَالثَّانِي مِنْ الضَّالِّينَ(503).

الكلام حول قول آمين بعد انتهاء السورة:

و«يستحبّ لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين (مثل: يس)، ويقال: أمين. بالقصر أيضًا (مثل: يمينٍ)، ومعناه: اللّهمّ استجب» (504).

و(آمين): اسم فعل أمر بمعنى: اللهم استجب. فمن قالها بعد الدعاء فكأنه دعا بما أمَّن عليه، فإن كان هو الداعي فيكون قد دعا مرتين.

و«التَّأْمِينُ قَائِمٌ مَقَامَ التَّلْخِيصِ بَعْدَ الْبَسْطِ، فَالدَّاعِي فَصَّلَ الْمَقَاصِدَ بِقَوْلِهِ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6)﴾ (الفاتحة) إِلَى آخِرِهِ، وَالْمُؤَمِّنُ أَتَى بِكَلِمَةٍ تَشْمَلُ الْجَمِيعَ، فَإِنْ قَالَهَا الْإِمَامُ فَكَأَنَّهُ دَعَا مَرَّتَيْنِ: مُفَصِّلًا ثُمَّ مُجْمِلًا»(505).

و«اتفق العلماء على أنه يسن للمنفرد والمأموم أن يقول: آمين، فالمنفرد يؤمّن بعد قراءته للفاتحة، والمأموم يؤمن بعد قراءة الإمام»(506).

والإمام كذلك يجهر بالتأمين لما دلت عليه السنة الثابتة الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه سلم - يَقُولُ: آمِينَ»(507)(508).

---

(503) مجموع الفتاوى (198/1).

(504) تفسير ابن كثير (144/1-147).

(505) فتح الباري(307/2).

(506) ينظر: الموسوعة الفقهية (11/1-12).

(507)البخاري (738)، ومسلم (618).

(508) وللاستزادة، فقد بُسط البحثُ في التأمين بعد الفاتحة في ثنايا المبحث الأول من الفصل الثاني من كتاب عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب،مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ . ولذا ذُكِرَ هنا مقتضبًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

تنبيه مهم ومن الأهمية بمكان

ومن البدع الظاهرة التي سرت في كثير من بلدان المسلمين، وانتشرت بين العامة انتشار النار في الهشيم، قراءة الفاتحة في مواطن شتى، مثل أن تُقرأ عند عقد صفقات تجارية من بيع أو شراء، أو عند عقود الأنكحة، أو عند التعزية في وفاة ميت، وفي غير ذلك من المواطن، معتقدين حدوث البركة في تلك المواطن بسبب تلك القراءة، ولا شك أن القرآن كتاب مبارك حيثما تُلي وحيثما قُرِئ، ولا يُشكُ في ذلك أبدًا، لكن هذه المواطن وأمثالها لم يرد فيها قراءة للفاتحة أبدًا، لا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن خلفائه الأربعة، ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ولا عن أحد من الأئمة الأربعة، ولا عن أي أحد من القرون الثلاثة المفضلة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

و«أهل السنة والجماعة يقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها»(509) انتهى.

ولو كان هذا الأمر مشروعًا لبينه النبي ﷺ لأمته وهو مأمور بالبلاغ عن الله كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)﴾ [المائدة: 67].

وهنا «يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - باسم الرسالة، وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام»(510).

يقول فضيلة شيخنا العلامة صالح الفوزان- حفظه الله -: (511)

---

(509) تفسير ابن كثير (7/279،278)

(510) تفسير ابن كثير (3/151)

(511)هو فضيلة الشيخ الدكتور العلامة: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. ولد (1354 هـ)، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

شبكة الألوكة www.alukah.net

«والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدًّا، منها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات...» (512) انتهى.

ويقول فضيلة شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين (ت: 1421هـ) - رحمه الله-:

و«قراءة الفاتحة عند التعزية بدعة، فما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعزي بقراءة الفاتحة أبدًا، ولا غيرها من القرآن»(513).

فينبغي للمسلم أن يحرص على اتباع هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه واجتناب البدع عملًا بعموم قول الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ ﴾ [الحشر: 7].

ولعل في هذا الإيجاز المختصر ما يغني بالإشارة عن العبارة لأهل البحث والنظر. (514)

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة:

أ- خاتمة البحث

في ختام هذا البحث يسأل الباحثُ ربَه العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم موافقًا لشرعه القويم، وأن ينفع به كاتبه والناظر فيه والساعي في نشره بين الناس، وأن يجعله ذخرًا له يوم لقائه فيجد عنده أجره وجزيل ثوابه ويوفيه حسابه.

ب- بيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة

لقد توصلت تلك الدراسة لنتائج جمة جليلة ولعل من أبرزها ما يلي:

1- أن هناك فرق بين التفسير والتأويل وأن لكل منهما أحكامه وشروطهوضوابطه الخاصة تتعلق به

والإفتاء، وإمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في الملز. ينظر: الموسوعة الحرة.

(512) البدعة أنواعها وأحكامها(14/15) من مجموعة مؤلفات الفوزان.

(513)مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (1283/13).

514-يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، مرجع سابق: الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ. (ص: 180- وما بعدها).

شبكة الألوكة www.alukah.net

2- أن التفسير ينقسم إلى أنواع:

وتنقسم هذه الأنواع باعتبارات منها:

الأول: باعتبار المصادر التي يُستَمَدُ منها التفسير

الثاني: باعتبار التوسع والإيجاز في التفسيرِ

الثالث: باعتبار عموم موضوعات التفسير

وأن تقسيم التفسير لأنواعه واعتباراته السابقة يندرج تحته تقسيم باعتبارات أخر على النحو التالي:

الأول: تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني

الثاني: تقسيم باعتبار طريقة المفسر ومنهجه في التفسير

الثالث: باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته وطريقة تناوله

3- توصلت تلك الدراسة لعرض تعاريف الباحثين للتفسير الموضوعي ومناقشتها وبيان ما تميزت به تلك التعاريف، وما أُخِذَ عليها من مآخذ، وبعد عرضها ومناقشتها، وضع الباحث تعريفًا شاملًا في ضوء التعاريف سالفة الذكر، راجيًا أن يكون تعريفه جامعًا مانعًا.

4- كما أوصى الباحث المجامع العلمية المعنية بالتفسير قائلًا:

ونطمع من المجامع العلمية المعنية بالتفسير وعلومه وشؤونه ودراساته، محاولة الوصول لتعاريف جامعة مانعة لما جد من قضايا ومناهج ومباحث في الدراسات المتعلقة بالقرآن وعلومه وما يحتاجه الباحثون فيها وذلك على غرار مجمع اللغة العربية، ومجمع الفقه الإسلامي، وغيرها من المجامع العلمية ذات الشأن، كما أرجو وآمل أن يصل هذا الاقتراح للجهات المعنية بتلك الدراسات لعلها تجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية.

5- أن للتفسير الموضوعي منهج خاص له أهميته ومكانته

6- أن للتفسير الموضوعي فوائد لا تقل عن أنواع التفسير الأخرى، ويتجلى ذلك في كثرة الحاجة إليه وتجددها مع تجدد متطلبات الأبحاث الموضوعية ولا سيما في العصر الحاضر

شبكة الألوكة www.alukah.net

7- أن للتفسير الموضوعي أسباب ظهور دعت الحاجة إليها، وأن نشأته بزغ فجرُها مع إشراق شمس الرسالة، وأن حداثته في مسماه، لا في مضمونه وفحواه

8- أن للتفسير الموضوعي أقسام من حيث الرابطة ومناهج المفسرين

9- أن هناك فروق بين التفسير الموضوعي وبين أنواع التفسير الأخرى

10-أن للباحث في التفسير الموضوعي مناهج وطرق وأسس وضوابط وأصول يجب عليه التزامها وعدم الحيد عنها

11- أن التفسير الموضوعي لا يستقل بنفسه بل لابد من تناوله بطريقة التفسير التحليلي إذ هي الأصل المعول عليه في طريقة تناول التفسير

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

الرياض في: 1440/11/26هـ

البريد:

- واتساب: arafatantawy@hotmail.com

00966503722153

مجموع الفهارس:

أ- فهرس المراجع والمصادر

1- أسرار ترتيب القرآن؛ للسيوطي، أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: 1.

2- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر؛ المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي؛ الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (1407هـ / 1986م).

3 - أسباب نزول القرآن؛ المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجًا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

4- أساس البلاغة؛ المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 2 .

5-الإحكام في أصول الأحكام؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت عدد الأجزاء: 8.

6- الإتقان في علوم القرآن؛ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م عدد الأجزاء: 4 .

شبكة الألوكة www.alukah.net

7- البرهان في علوم القرآن؛ المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: 4.

8 - البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية" - مطبعة الحضارة العربية – ط 2 – 1397هـ-1977م .

9- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 24.

10- تفسير الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1407 هـ عدد الأجزاء: 4.

11- تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ.

12- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

13- تفسير الفخر الرازي: التفسير الكبير: الفخر الرازي: فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة النشر: 2004م – 1425هـ، عدد الأجزاء: ستة عشر مجلد ا.

14- تفسير البحر المحيط، البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.

15- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419هـ.

16- تفسير السيوطي: الدر المنثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: 8 .

17- تفسير الشوكاني: فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1255هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

18- تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، 1415هـ عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس).

19- تفسير القاسمي: محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

20- تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 1.

21- تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد رضا- سنة النشر66هـ 13 - 1947م - عدد المجلدات: 12-رقم الطبعة: 2.
22- تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).
23- تفسير أبي زهرة: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة-دار الناشر: دار الفكر العربي - عدد الأجزاء: 10.
24- التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة عدد الأجزاء: 3 (الجزء 3 هو نُقول وُجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د. محمد الأنور البلتاجي).
25- تفسير ابن العثيمين: تفسير الفاتحة والبقرة؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)؛ الناشر: دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (1423هـ)، مقدمة الجزء.
26- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د صلاح عبد الفتاح الخالدي. الطبعة الثانية 2008م. دار النفائس للنشر والتوزيع.
27- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: الأعداد 85 -100 السنوات 22 - 25 المحرم1410هـ - ذو الحجة 1413 هـ - عدد الأجزاء: 1...
28- تناسق الدرر في تناسب السور الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة 849 هـ/1445 م-القاهرة 911 هـ/1505 م) - مخطوط-المكتبة الأزهرية.

29- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1408هـ عدد الأجزاء: 4.

30- درء تعارض العقل والنقل المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م عدد الأجزاء: 10.

31- صحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين -بيروت. الطبعة: الرابعة 1407 ه -1987 م.

32- علل الوقف والابتداء، المؤلف: محمد بن طيفور السجاوندي أبو عبد الله، المحقق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1427هـ- 2006م، عدد المجلدات: 3، رقم الطبعة: 2.

33- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم" -لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي – تحقيق- د. محمد التونجي – عالم الكتب – بيروت – ط 1 – 1414هـ-1993م.

34- العقيدة الواسطية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ) الناشر: مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: بدون طبعة أو عام نشر عدد الأجزاء: 1.

35- العبودية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

شبكة الألوكة www.alukah.net

(المتوفى: 728هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م.
36- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، دَلاَئِلُ التَّوْفِيقِ لِأَصَحِ طَرِيقٍ لِجَمْعِ الصِّدِّيقِ: (بحث محكم) منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) في العدد الثالث عشر بعد المائة، الصادر في شهر جمادى الأولى من عام 1442هـ.
37- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، "صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُول فِي مُنَاقَشَةِ ثَلاثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِبَت عَلى غَيْرِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ" (بحث محكم) مجلة البحوث والدراسات الشرعية (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) في عددها: الثالث والسبعين، الصادر في شهر ربيع الآخر لعام: 1443هـ.
38- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة تحليلية موضوعية، بحث نال به المؤلف درجة الدكتوراه بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات، من الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، عام 1439هـ، الطبعة الأولى صادرة عن دار المأثور- الرياض المملكة العربية السعودية، ودار الأمل- الإسكندرية- جمهورية مصر العربية-عام 1441هـ.
39- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير مبادئ علم التفسير، وفيه (تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين).
40- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء:
13.

41- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء-بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد للنشر والتوزيع- الرياض، 1424هـ، ط2، عدد المجلدات: 26.

42- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي، شرح العلامة المخللاتي على ناظمة الزهر، رضوان بن محمد بن سليمان أبوعيد المخللاتي، تحقيق: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، مطابع الرشيد، 1412هـ-1992م.

43- القول المفيد على كتاب التوحيد المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، محرم 1424هـ عدد الأجزاء: 2.

44- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ عدد الأجزاء: 15.

45- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م.

46- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م عدد الأجزاء: 2.

47- متن القصيدة النونية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، 1417هـ عدد الأجزاء: 1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

48- الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م عدد الأجزاء: 7

49- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور-للبقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي برهان الدين أبو الحسن؛ المحقق: عبد السميع محمد أحمد حسنين؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة المعارف؛ سنة النشر: 1408هـم-عدد المجلدات: 3؛ رقم الطبعة: 1.

50 - مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز- رحمه الله - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر عدد الأجزاء: 30 جزءًا.

51- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1420 هـ عدد الأجزاء: 2.

52- الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -مصر؛ عام النشر: 1423هـ / 2002م.

53- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: 2 .

54- مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م عدد الأجزاء: 1.

شبكة الألوكة www.alukah.net

55- المدخل إلى التفسير الموضوعي، د عبد الستار فتح الله سعيد. الطبعة الثانية 1991. دار التوزيع والنشر الإسلامية.
56- مباحث في التفسير الموضوعي"، تأليف: الدكتور/مصطفى مُسْلِم محمد: (ت: 1442هـ) الناشر: دار القلم الطبعة: الرابعة 1426هـ - 2005م عدد الأجزاء: 1.
57- مناهج المفسِّرين: (القسم الأوّل: التفسير في عصر الصحابة)، تأليف: د. مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط1، 1415هـ.
58- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: 22 .

ب - فهرس الموضوعات

أولًا: أهمية موضوع البحث 10
ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها 10
ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث 15
رابعًا: أهداف البحث 15
خامسًا: منهج البحث 17
المطلب الأول: مفهوم التفسير في اللغة 17
المطلب الثاني: مفهوم التفسير في الاصطلاح 18
المطلب الأول: مفهوم التأويل في اللغة 20
المطلب الثاني: مفهوم التأويل في الاصطلاح 21
المطلب الأول: بيان معاني التأويل في القرآن إجمالًا 22
المطلب الثاني: بيان معنى التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية 25
المطلب الثالث: بيان معنى التأويل عند المفسرين 26
المطلب السادس: بيان شروط التأويل الصحيح عند المتأخرين 32
المطلب الأول: بيان اختلاف العلماء في بيان الفَرْق بين التفسير والتأويل، 35
المطلب الثاني: بيان القول الراجح من أقوال العلماء في بيان معنى 37
المطلب الثالث: بيان الخلاصة التي توصلت لها الدراسة 38
المطلب والاعتبار الأول: من حيث المصادر التي يُستَمَدُ منها التفسيرُ 39
المطلب والاعتبار الثاني: من حيث التوسع والإيجاز في التفسير 39
المطلب والاعتبار الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير 39
المطلب والتقسيم الأول: تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني 40
المطلب والتقسيم الثاني: تقسيم باعتبار طريقة المفسر ومنهجه في التفسير 41
أما المسألة الأولى: بيان أنواعه 42
المسألة الثانية: بيان مكانته 42
المسألة الثالثة: بيان أسباب الضعف الواردة عليه 43
المسألة الرابعة ذكر جملة من أشهر ما صُنِف فيه 43

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما المسألة الأولى وهي: تعريفه..... 45
المسألة الثانية: موقف العلماء تجاهه..... 46
المسألة الثالثة: ضوابطه..... 50
المسألة الرابعة: بيان حكم الأخذ به..... 51
المسألة الخامسة: ذكر جملة من أشهر المصنفات فيه..... 51
أما المسألة الأولى وهي: تعريفه:..... 52
المسألة الثانية: ذكر جملة من أهم ما صُنِفَ فيه..... 54
شروط وضوابط التفسير الإشاري:..... 58
المطلب والتقسيم الثالث: باعتبار طبيعة التفسير وطبيعة اتجاهاته..... 65
تمهيد:..... 88
المطلب الأول: بيان مفهوم لفظة "منهج" في اللغة والاصطلاح..... 89
المطلب الثاني: بيان مفهوم لفظة" الموضوعي" في اللغة والاصطلاح..... 91
المطلب الثالث: تعريف التفسير الموضوعي:..... 95
المطلب الأول: بيان أهميته وأوجه الحاجة إليه..... 101
المطلب الثاني: بيان أهم فوائده..... 104
المطلب الثالث: أهم مميزات التفسير الموضوعي..... 108
المطلب الرابع: بيان أسباب ظهوره ونشأته..... 108
المطلب الأول: أقسام التفسير الموضوعي من حيث الرابطة..... 123
المطلب الثاني: بيان أقسام التفسير الموضوعي بمعناه الحديث..... 125
المطلب الأول: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي..... 129
المطلب الثاني: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير الإجمالي..... 131
المطلب الثالث: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير المقارن..... 131
المطلب الأول: منهج البحث في التفسير الموضوعي من خلال القرآن..... 132
المطلب الثاني: منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة بعينها..... 136
المطلب الأول: اسم السورة..... 139
المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها..... 146
المطلب الثالث: بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها،..... 152

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: بيان محور مواضيع السورة وبيان أهم مقاصدها وأغراضها.....162
المطلب الخامس: بيان سبب وزمن نزولها 168
المطلب السادس: بيان المناسبات في السورة الكريمة 179
المسألة الأولى: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة. 186
المسألة الثانية: مناسبة سورة الفاتحة مع تاليتها. 188
المسألة الثالثة: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.....196
المسألة الرابعة: علاقة السورة الكريمة بالسور المفتتحة بالحمد لله. 203
المطلب السابع: بيان المعنى الإجمالي للسورة الكريمة.....217
مجموع الفهارس:.....240
ب - فهرس الموضوعات 249

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعدُ علومُ القرآن من أجلّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفسٍ لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وينزل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهَذه ضِمْن مُؤَلَّفَات العَبد الضَعيف الفَقير إلى عَفْو رَبِّه وَرَحْمَته وَمَغْفرته:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّه عَنْهُ

الرَّئيسُ العَامُ لِمَرْكَز تَأْصِيل عُلوم التَنْزِيل للبُحوث العِلْمية وَالدِّرَاسَات القُرآنية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١- **مَعَالمُ التَّوْحيد في فَاتحَة الكتَاب**ـ (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه)
(مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٤١هـ)

٢- **عنَايَةُ الإسْلام بتَرْبيَة الأبْنَاء كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ**، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣- **التقرير لأصول وقواعد علم التفسير** - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤- **تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين** - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥- **المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦- **المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧- **دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨- **الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْع العُثْمَانيّ وَالأَحْرُف السَّبْعَة** في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩- **أَحْسَنُ المَنَاحي في إثْبات أَنَّ الرَّسْمَ العُثْماني تَوْقيفي لا اصْطلاَحي**

١٠- **الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١- **صيَانَةُ كَلَام الرَّحْمَن عَنْ مَطَاعن أَهْل الزَّيغ والرَّوَغَان** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢- **موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣- **الذَّهَبُ الإبْرِيزُ في خَصَائص الكتَاب العَزيز**

١٤- **جَنَى الخُرْفَة في إبطال القول بالصَرْفَة** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥- **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في إعْجَاز القُرْآن في إخْباره عَنْ المُغَيَّبَات (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)**

١٦- **التِّبْيَانُ في بَيَان وُجُوه الإعْجَاز التَّشْريعيّ في القُرْآن**

١٧- **إيجاز القول في الإعجاز**

١٨- **التحدي في القرآن**

١٩- **صَحيحُ المَنْقُول المُوافقُ لصَريح المَعْقُول في مُنَاقَشَة ثَلاَثَة تَفَاسير رُتِّبَتْ على تَرْتيب النُّزُول.**

٢٠- **البُرْهَانُ فِي حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- وَأَصْحَابِهِ لِلقُرْآنِ**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرآنِ**

٢٣- **بُلوغُ المَرَامِ فِي قِصَّةِ ظُهُورِ أَوَّلِ مُصْحَفٍ مُرَتَّلٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآنِ**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِيَّةُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّةِ**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصرَة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ**

٣١- **قَطْعُ العَلَائِقِ لِلتَّفَكُّرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلَائِقِ**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- (**التوحيد من الكتاب والسنة**) (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف**: (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية